السلسلة المشتركة للبحوث والمصادر
في تاريخ الجزيرة العربية
وبلدان الخليج
رقم (4)

مركز جمعة الماجد
للثقافة والتراث
دبي

الدول الأوروبية في الخليج العربي
من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر

تأليف: نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش

ترجمة: سمير نجم الدين سطاس

تقديم ومراجعة:
قسم الدراسات والنشر والشؤون الثقافية بالمركز

السلسلة المشتركة للبحوث والمصادر
في تاريخ الجزيرة العربية
وبلدان الخليج
رقم (4)

مركز جمعة الماجد
للثقافة والتراث
دبي

الدول الأوروبية في الخليج العربي
من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر

مركز جمعة الماجد
للثقافة والتراث

تأليف: نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش
ترجمة: سمير نجم الدين سطاس

تقديم ومراجعة:
قسم الدراسات والنشر والشؤون الثقافية بالمركز

٩٥٩ ت و م د

تومانوفيتش، نتاليا نيكولايفنا

الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن ١٦ إلى القرن ١٩/ تأليف نتاليـــا نيكولايفنـــا تومانوفتيش ؛ ترجمة سمير نجم الدين سطاس. - دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٦.

ص.؛ ٢٤سم.- (السلسلة المشتركة للبحوث والمصادر في تاريخ الجزيرة العربيـــة وبلـــدان الخليج ؛ ٤)(مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ؛ ٧٦)

ببلوغرافيا : ص.

يتضمن ملاحق : ص.

ردمك ٧-٢٥٢-٠٣-٩٩٤٨

دول الخليج العربي/ الاستعمار الأوروبي/ التاريخ/ القرن التاسع عشر. أ. سطاس، سمير نجم الدين، مترجم ب. العنوان ج. السلسلة.

حقوق الطبع محفوظة

لمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بمـــا في ذلك التصوير بالنسخ "فوتوكوبي" أو التسجيل، أو التخزين أو الاسترجاع، دون أذن خطي من الناشر.

No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission of the publishers.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم وبعد:

في إطار التعاون العلمي والثقافي القائم بين مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ومعهد الدراسات الشرقية للمجمع العلمي الروسي فرع سان بطرسبورغ قررت المؤسستان الاشتراك في ترجمة سلسلة من البحوث والدراسات الروسية المتعلقة بالجزيرة العربية، وبلدان الخليج ونشرها، ومن بينها هذا الكتاب الذي نقدمه اليوم للباحث العربي والمسلم في جميع أنحاء المعمورة، والموسوم بـ: الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن ١٦ إلى القرن ١٩- تأليف: نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش؛ ترجمة: سمير نجم الدين سطاس.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن ما يرد من الآراء في هذه البحوث والدراسات، لا يعبر عن رأي المركز، ولا اتجاهه، وإنما القصد من التعاون في نشرها تمكين الباحث العربي والمسلم من الاطلاع على وجهة النظر الروسية في تقييمها وتحليلها للقضايا محل الدراسة والبحث، إضافة إلى وجهة النظر الغربية التي يدركها من قبل.

ومثل هذا العمل نعتقد أن له أثراً كبيراً في إثراء الفكر، وتوسيع مجال التفكير والإستنباط، والتمكن من فهم الأمور بشمولية أكبر من ذي قبل، الوصول إلى تفاصيل ما كان لها أن تظهر لولا الله ثم الرأي الآخر المعاكس.

ونحن نأمل أن يتحقق من إصدار هذه السلسلة الغاية والأثر الذي قصده المركز، والمشار إليه أعلاه، خدمة للأمة والإنسانية، وتقريبها من الحقيقة أقصى ما يمكن.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

قسم الدراسات والنشر والشؤون الثقافية

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

مقدمة المترجم

بعد الانتهاء من قراءة الكتاب لاحظت أن المؤلفة اعتمدت في إعداده على وثائق متنوعة لاسيما الروسية والفارسية منها، وعكست وجهة نظر روسية في تاريخ المنطقة، مقابل وجهة النظر الغربية، مما يفيد الباحث العربي وغيره لتشكيل صورة متوازنة عن تاريخ المنطقة. وقد عالجت المؤلفة في هذا الكتاب حقبة حساسة من تاريخ إيران والخليج، وفضحت تزييف الإنكليز بشكل خاص لتاريخ المنطقة، وذلك من خلال نفيها أسطورة القرصنة عن القواسم وأهل الخليج، وتأكيدها أن الخليج تعرض منذ القديم إلى هجمات أجنبية، وأطماع دولية للسيطرة عليه، ولاتخاذه طريقاً للتجارة بين الشرق والغرب، لما له من موقع استراتيجي مهم. وأنه من أجل ذلك روج الأوربيون الطامعون بخيراته الشائعات المغرضة عن سكان قبائله، وكان أولها أنها قبائل لا تستطيع العيش دون سلب ونهب، حتى إنهم استبدلوا الاسم الحقيقي لساحله باسم ساحل القراصنة. وكان ذلك ذريعة اتخذها المستعمرون لتجريد حملاتهم العسكرية ضد سكان الخليج. ولهذا انتشرت على شواطئه الشرقية وبعض جزره القواعد الأجنبية البرتغالية والهولندية والبريطانية، حتى كانت المقاومة من القبائل العربية التي أجلت المستعمرين عن أرضها.

ولأن البحث عن الوثائق والمعلومات التاريخية المسندة يبقى هاجساً دائماً يراود كل باحث ودارس في هذا الميدان، لربط الأحداث والكشف عن الحقائق والتوثيق التي جلها ذات مصادر إنكليزية، فقد جاء هذا الكتاب ليسلط الضوء على تاريخ التوسع الاستعماري للدول الأوربية البرتغال، وهولندا، وفرنسا، وإنكلترا في عصر اكتناز رأس المال الأولي في منطقة الخليج العربي، ودراسة مراحل التوغل الإنكليزي في هذه المنطقة،

وتعزيز مواقع إنكلترا فيها، وطرق تأثيرها سياسياً، واقتصادياً، وعسكرياً من وجهة نظر روسية.

وأرى أن الكتاب مفيد بشكل خاص للدارسين في تاريخ العلاقات الفارسية الأوربية وانعكاسها على تاريخ الخليج العربي.

ولقد أضفت بعض التعليقات في الحاشية لما رأيته مناسباً، ووضعت ما بين المعقوفتين [ ] تميزاً عن كلام المؤلفة لما رأيته صواباً، كما أضفت العناوين الفرعية للكتاب زيادة في التوضيح.

ورأيت أن أقدم تعريفاً موجزاً بمؤلفة الكتاب.

المترجم

مركز جمعة الماجد
للثقافة و التراث

تعريف بالمؤلفة

نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش

مستشرقة روسية ولدت لأسرة كادحة في ١٩٢٨/٦/٩م، درست في كلية الاستشراق في جامعة لينينغراد الحكومية وتخرجت منها عام ١٩٥٠م.

حصلت على درجة مرشح في التاريخ عام ١٩٥٤، (موضوع الأطروحة: التوسع البريطاني في الخليج العربي في القرن التاسع عشر).

حصلت على درجة الدكتوراه بالتاريخ عام ١٩٦١؛ (موضوع الأطروحة هرات في الفترة من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر).

باحثة في معهد التاريخ في أكاديمية العلوم (من عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٥٨).

باحثة في معهد الاستشراق في أكاديمية العلوم منذ عام ١٩٥٨. صدر لها أكثر من خمسين عملاً.

من أهم أعمالها:

- تنظيم التحالفات والتكتلات العسكرية كوسيلة للتوسع البريطاني في الشرق الأوسط في النصف الأول من القرن التاسع عشر(صدر عام ١٩٥٥).

- من تاريخ التوسع الاستعماري التجاري في الشرق الأوسط (صدر عام ١٩٥٧).

- الدول الأوربية في الخليج العربي من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر(صدر عام ١٩٨٢).

- هرات في الفترة من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر (صدر عام ١٩٨٩).

- تاريخ خراسان في سفر تأريخ الاسكندر مونشي (صدر عام ١٩٨٩).

- حملة عباس الأول على قندهار/ أفغانستان: تاريخها، اقتصادها، زراعتها.

بالإضافة إلى المشاركة في إصدار ٩ مجلدات في تاريخ الشرق الأوسط، وكذلك تأليف العديد من الروايات؛ وترجمة روايات من اللغة الفارسية. وغير ذلك من الأعمال.

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

المقدمة

تتزايد على مر السنين الأهمية التجارية الاقتصادية، والاستراتيجية العسكرية، والسياسية لمنطقة الخليج العربي[1]. وتسعى الدول الإمبريالية: الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وألمانيا، واليابان وغيرها من الدول الأوربية للحصول على ثرواته النفطية، وعلى مواقع استراتيجية مهمة فيه. ومن أجل ذلك تلجأ لاستخدام أساليب الضغط المختلفة: الوجود العسكري الكثيف، والحصار الاقتصادي، وتكتيك الإنذارات، والتخويف. وتعمل هذه الدول على خلق مواقف متأزمة تهدد بالانفجار، وتلجأ إلى الدسائس، والعمل من وراء الكواليس، وإلى تقديم الرشاوى، والخداع لتحقيق مآربها. ولا تتورع حتى عن القيام بحرب إبادة ضد السكان الذين يناضلون دفاعاً عن حقوقهم.

وإذا نظرنا إلى أحداث اليوم من وجهة نظر تاريخية، فسنلاحظ بالتأكيد، وعلى الرغم من تنوع المصالح وتعدد طرق التأثير الحديثة للإمبريالية، أنّ الأهداف الأساسية، والاتجاهات، والأساليب التي تتبعها الدول التي تصبو إلى السيطرة على منطقة الخليج العربي باقية على حالها على مدى أربعة قرون.

١. تستخدم الباحثة اسم الخليج الفارسي بدلاً من الخليج العربي. والاسم الأول هو الاسم الذي أطلقه الإسكندر المقدوني في أثناء حروبه التي خاضها ضد الإمبراطورية الفارسية، عندما أرسل قائد أسطوله البحري نيرخوس إلى شمال الخليج وشاطئه الشرقي عام ٣٢٥ ق.م، ووجد نفسه قرب السواحل الفارسية، واعتقد أن جميع سكان البلاد في هذه المنطقة من الفرس فقط، فأطلق اسم الخليج الفارسي. وقد استخدم هذا الاسم بعد ذلك المؤرخون الغربيون. إلا أنه "في القرن الأول الميلادي ظهر المؤرخ الروماني بليني **Pliny** الذي ولد سنة ٦٢، وتوفي سنة ١١٣، وسمى الخليج باسمه الصحيح؛ أي الخليج العربي". للمزيد من الاطلاع حول تسمية الخليج انظر قدري قلعجي، الخليج العربي بحر الأساطير، ط٢، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٢، ص ٨؛ وعليه وانطلاقاً من أن الدول العربية المطلة على سواحل الخليج هي الأكثر عدداً ومساحة ابتداء من جنوب العراق في رأس الخليج حتى عمان بعد رأس مسندم جنوباً سنستخدم اسم الخليج العربي بدلاً من الخليج الفارسي.....المترجم.

يقع الخليج العربي على تقاطع طرق تجارية عالمية. وبفضل موقعه الجغرافي الملائم، حيث تتلاقى أوربا وآسيا وأفريقيا، استطاعت طبقة التجار المحلية الاغتناء منذ القدم من الوساطة التجارية بين بلدان الشرق الأدنى والأوسط: جزيرة العرب، وتركيا [الدولة العثمانية]، وفارس، والهند. وكانت أقصر الطرق بين أوربا والهند والشرق الأقصى وأفضلها في القرون الوسطى تمر من الخليج العربي. وفي عصر اكتناز رأس المال الأولي جذبت ثروات هذه المنطقة وصلاتها التجارية الواسعة الأوربيين الباحثين عن الثروة، والناس من الوظائف، والرتب المختلفة: كالتجار، والرهبان، والساسة، والعسكريين، والرحالة وغيرهم.

وسرعان ما أصبح الخليج العربي، بعد اكتشاف الطريق البحري إلى الهند، منطقة مهمة للتوسع الاستعماري للدول الأوربية في النصف الشرقي من الكرة الأرضية. فهنا، وكما في بقية أصقاع العالم، خاضت هذه الدول صراعاً من أجل الهيمنة. وكان التفوق فيه سجالاً بينها. وقد توقف ذلك على وضع المحطات التجارية لهذه الدول، وقواعدها العسكرية في الخليج العربي. فالهولنديون أبعدوا البرتغاليين، وبعد الهولنديين ظهر الفرنسيون، ثم الإنكليز، الذين فرضوا سيطرتهم على التجارة والملاحة في الخليج العربي في منتصف القرن التاسع عشر.

ومع مضي بريطانيا في طريق التطور الإمبريالي فرضت حمايتها على الساحل الجنوبي للخليج العربي كله وبعض جزره، واحتكرت عمليات نقل البضائع، وتوظيف رؤوس الأموال. وبذلك حولت منطقة الخليج العربي فعليًا إلى شبه مستعمرة. إلا أنه بقدر ما تطورت الرأسمالية في البلدان الأخرى اشتدت المنافسة بين الدول الاستعمارية على هذه المنطقة. ومع نهاية القرن التاسع عشر دخلت ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية في منافسة مع بريطانيا في منطقة الخليج.

كان الصراع على الخليج العربي عقدة من عقد الخلاف بين الدول الإمبريالية التي أشعلت الحرب العالمية الأولى. وأدت هزيمة ألمانيا إلى خروجها من بين الدول المنافسة لبريطانيا على المكاسب الاستعمارية. وعند ذلك اشتدت التناقضات بين بريطانيا والدول الأخرى، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية. واشتد صراع التنافس بين هذه الدول للاستيلاء على موارد النفط في بلدان الشرق الأوسط.

كانت منطقة الخليج العربي ولا تزال حتى يومنا هذا نقطة ساخنة في كوكبنا. وتؤكد على ذلك ما شهدته المنطقة في السنوات الأخيرة من أحداث سياسية وعسكرية. ولهذا نرى أن من الأهمية بمكان دراسة سياسة الدول الأوربية في منطقة الخليج العربي منذ اللحظة الأولى لظهورها.

ويسلط الضوء في هذا الكتاب بشكل مختصر على مراحل التوسع الاستعماري للبرتغال، ومن ثم هولندا، ففرنسا، فبريطانيا في منطقة الخليج العربي. والباحثة إذ تدرك أنه ليس من السهولة بمكان الوصول دائماً إلى الأرشيفات الأجنبية، لاسيما الإنكليزية، والهندية، وأن الضرورة تستدعي الاستفادة من المواد التي يتم نشرها، والتي كثيراً ما تكون متحيزة، وقد لا تتضمن تفاصيل جوهرية ومعلومات مهمة؛ تأمل أن يفيد هذا الكتاب القارئ بما يقدمه من معلومات؛ إذ على الرغم من كثرة الإصدارات المكرسة للخليج العربي، التي تدفقت في الأعوام الأخيرة على أسواق الكتب العالمية ومعارضها، إلا أن المسائل الأساسية التي عالجتها الباحثة لم يسبق أن عولجت على مدى ثلاثة عقود من بدء العمل بهذا البحث، أو أن معالجتها تمت في المراجع السياسية التاريخية البرجوازية، ولكن بشكل جانب الصواب. عدا عن أنه لا يوجد بين الأبحاث العلمية الروسية أي بحث علمي يتناول هذا الموضوع بصورة خاصة.

والخاصية التي يتميز بها هذا العمل أنه أعار أهمية كبرى لمسألة التوسع الأوربي في إيران[1]. وهي الأهمية التي يوليها التعليم الحكومي الإيراني في دراسة التصدي لهذا التوسع في الخليج العربي خلال المدة الزمنية قيد البحث.

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

١.تستخدم الباحثة اسم إيران بدلاً من اسم فارس، مع العلم أنه "في آذار ١٩٣٥ غير رضا بهلوي شاه اسم بلاد فارس إلى إيران". انظر مصطفى النجار، وحسين القهواتي، وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط ١، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٤ (الحاشية) ص ١٩٩؛ وعليه سنستخدم "حيث يجب" اسم فارس بدلاً من اسم إيران.... المترجم

الفصل الأول

الدراسات التاريخية

كان الخليج العربي موضع طمع في جميع الأوقات لما له من أهمية جغرافية، وتجارية اقتصادية، واستراتيجية عسكرية. ولهذا كثرت المراجع التي تتحدث عنه وتنوعت. وفيما يخص بحثنا تجدر الإشارة إلى أن الدراسة التاريخية للتوسع الأوربي في منطقة الخليج العربي بدأت من قبل المستعمرين أنفسهم. فقد نشر البرتغاليون، ومن بعدهم الهولنديون، مذكرات فاتحيهم وغُزاتهم ورحالتهم من راكبي البحر، ووضعوا الخرائط الجغرافية، ووصفوا طرق هذه المنطقة وأراضيها لأهداف عملية تخصهم. وبعد أن أبعد الإنكليز أسلافهم عن سواحل الخليج تابعوا عملهم في المضمار نفسه.

وفي أوائل القرن التاسع عشر بدأت تظهر في إنكلترا، إلى جانب الكثير من مذكرات الرحالة والمغامرين، أعمال تتسم بعرض للوقائع والأحداث. وكان الإنكليز يعملون على تعميم الوقائع التاريخية بصورة متحيزة للغاية، ولم يتورعوا لاحقاً عن التزييف الساخر للحقائق بغية إيجاد مسوغ للعدوان البريطاني على المنطقة.

كان مؤلفو الكتب الإنكليزية، التي تسلط الضوء على سياسة بريطانيا الاستعمارية في بلدان الشرق الأوسط، ولاسيما منطقة الخليج العربي حتى مطلع القرن العشرين، وممن يمارسون هذه السياسة ميدانياً، أو ممن يشرفون عليها من لندن وكلكتا. لذا يبدون في مؤلفاتهم من المدافعين بصورة سافرة عن الاستعمار البريطاني.

مما يؤسف له أن معظم المؤلفات التي تمت بصلة، بشكل أو بآخر، إلى التوسع البريطاني في الخليج العربي، التي تم نشرها في روسيا، أو فرنسا، أو إيران، أو غيرها من البلدان، لا تسلط الضوء بدرجة كافية على تاريخ استعمار منطقة الخليج العربي.

مصادر الكتاب

تقسم المصادر التي تم الاعتماد عليها لإعداد هذا البحث العلمي إلى فئتين:

١- الوثائق، وتشمل نصوص المعاهدات والمراسلات الرسمية، والمراسلات والمذكرات التي كتبها أشخاص ممن شاركوا بشكل مباشر في صناعة الأحداث.

٢- المراجع العلمية التاريخية المتعلقة بدائرة القضايا قيد البحث.

صحيح أن نصوص المعاهدات الموقعة بين الدول الأوربية والبلدان المطلة على الخليج العربي تم نشرها مرات عديدة. لكن الناشرين كانوا يختارون ما يطيب لهم من وثائق لنشرها لأهداف خاصة يضعونها نصب أعينهم. وما يهم موضوع بحثنا هو المعاهدات والاتفاقيات الموقعة بين الدول الأوربية وفارس، وعمان، وبعض مشيخات الخليج العربي في المدة الزمنية من القرن السادس عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر. ويمكن العثور على الوثائق التي تمس بشكل أو بآخر سياسة الدول الأوربية في الخليج العربي في الطبعات الفرنسية لأعمال ج. تيري (Thieury J.) (١٨٦٦)[١]، و ج. مارتينس(Martens G)[٢] وأتباعه (١٨٧٦-١٩٠٠). كما توجد مجموعة اتفاقيات تقع في عدة مجلدات باللغة الإنكليزية، نشرها ايتشيسون (Aitshison) في كلكتا عام ١٨٩٢، ثم أعيد نشرها مع بعض الإضافات في عام ١٩٣٣[٣]. غير أن

١. Thieury J. Documents pour servir à l'history des relations entre la France et la . Perse. Evreux, ١٨٦٦.

٢. Martens G. F. Table generale du recueil des traites de Martens et des ses continuateurs ١٤٩٤-١٨٧٤. Gottingue, ١٨٧٦.

٣. [Aitchison C. U.] A Collection of Treaties, Engagements and Sanads, Relating to . India and Neighbouring Countries. Vol. ١-١٢. Calcutta, ١٨٩٢.

هذه المجموعة تتطلب شيئاً من الحذر في التعامل معها. فهي تتضمن حالات جرى فيها إغفال مواد كاملة من بعض الاتفاقيات بشكل ليس له مسوغ، وغير متفق عليه، مما أدى إلى التحريف في معانيها.

وهناك بعض الاتفاقيات الموقعة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نشرها مؤتمن الملك (Mothamen ol - Molk) في طهران في عام ١٩٠٨ باللغتين الفارسية والفرنسية في وقت واحد[١]. ومما يؤسف له أنه لم يتم نشر سوى قسم قليل من الاتفاقيات باللغة الفارسية، ومن ضمنها الاتفاقيات الخاصة بالخليج العربي. أما المذكرات، والتعليمات، والتقارير، والمراسلات الرسمية التي جرت بين الوزراء والسفراء وغيرهم من الشخصيات المسؤولة في فارس، وبريطانيا، وروسيا، وغيرها، فقد تم نشر معظمها باللغة الإنكليزية. ويمكن إيجاد أكثر الوثائق قدماً لحكام فارس، وملوك بريطانيا، ورسائل لوكلاء شركات تجارية إنكليزية في فارس في القرنين السادس عشر والسابع عشر في كتاب (Hakluyt Society) الذي يقع في اثني عشر مجلداً[٢]. ومن بين أكثر من مائة وثيقة مهمة بالنسبة لموضوعنا، تعد أعلاها قيمة تقارير الوكلاء الإنكليز في فارس، التي تعكس تطلع بريطانيا إلى الخليج العربي.

والذي تجدر الإشارة إليه بشكل خاص "التعليمات حول اكتشاف البحار والجزر والأراضي الصالحة للبلاد كافة ". وهو ما يهمنا من أجل وصف أسباب توسع بريطانيا العظمى وأهدافها وطرقها في عصر اكتناز رأس المال الأولي في الشرق بأكمله.

---

١. [Mothamen ol-Molk]. Recueil des traités de l'Empire Persane avec les. Paysetrangers. Teheran, ١٩٠٨.

٢. Hakluyt R. The Principal Navigations, Voyages and Discoveries of the English Nation. Vol. ١-٢. Glasgow, ١٩٠٣-١٩٠٥ (Hakluyt Society).

لقد نشر سير جون كَي (Sir John Kaye) قسماً من المراسلات الرسمية، التي جرت بين السفراء الإنكليز في فارس والسلطات البريطانية في لندن و كلكتا، وهي تعود إلى المدة الواقعة بين أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، في كتاب من مجلدين عن سيرة حياة سير جون مالكولم (Sir John Malcolm)، وهو الشخص الذي أنجز في بلاط الشاه الخطط البعيدة المدى للحكومة البريطانية[1]. وإذا صنفنا هذه الوثائق على أنها مراجع، يجب الأخذ بالحسبان أن هذا الكتاب صدر في عام ١٨٦٥، بعد مدة قصيرة نسبياً من نشوب الحرب الإنكليزية – الفارسية عام ١٨٥٦ –١٨٥٧.

وكان الهدف العام الذي توخاه كَي من نشره لهذه المراسلات إيجاد مسوغ للعدوان الإنكليزي على فارس والهند، وغيرها من دول الشرق، وكذلك تمجيد عمل مالكولم. وقد اختار من أجل ذلك ما يناسبه من أوراق. ولهذا تم نشر تقارير مالكولم، والتوجيهات الصادرة إليه غير كاملة، وتم تقديمها إلى القارئ وفقاً للصياغة والتوقيت المطلوبين. ولكن على الرغم من هذه النقائص، إلا أن الوثائق التي نشرها كَي تتسم – رغماً عن إرادته– بقيمة كبيرة للغاية، كونها تفضح مطامع الإنكليز التوسعية في منطقة الخليج العربي ومساعيهم في أوائل القرن التاسع عشر.

بغية إنجاز بحثنا تمت في الوقت نفسه الاستفادة من مراسلات السفراء الفرنسيين في فارس في أواخر العقد الأول من القرن التاسع عشر، وهم الجنرال

١. Kaye J. W. The Life and Correspondence of Sir John Malcolm. Vol. ١-٢. L., ١٨٦٥.

جاردان(Gardane)، وجوانين مع وزارة خارجية فرنسا، التي تم نشرها في كتاب حفيد جاردان بشكل ملحق يشمل أكثر من نصف المجلد[1].

ولتتبع السياسة البريطانية في فارس والخليج العربي بصدد ما يسمى قضية هرات من المهم الاطلاع على مرجع يحتوي على رسائل، وتقارير، وأوراق لشخصيات رسمية في كل من بريطانيا وفارس. وقد تم نشر تلك الرسائل والتقارير أولاً في لندن بتوجيهات من وزير الخارجية ج. بالميرستون في أثناء الحرب الإنكليزية – الأفغانية (١٨٣٧-١٨٤٢). وتم الانتهاء من نشرها في عام ١٨٥٧. وكانت التسمية الدارجة لها الكتب الزرقاء.

وتجدر الإشارة إلى أنه توجد مجموعتان مختارتان من محتويات هذه الكتب من الرسائل والتقارير تحملان عنوانين فيهما شيء من الاختلاف. المجموعة الأولى بعنوان: مراسلات خاصة بفارس وأفغانستان (مجموعة تقع في مجلد واحد)[2]، والثانية بعنوان: مراسلات خاصة بالعلاقات العامة مع فارس (مجموعة تقع في مجلدين)[3]. وقد ضمت المجموعة الأولى ما يقرب من ٣٠٠ وثيقة تعود للسنوات من ١٨٣٤- ١٨٣٨، في حين ضمت المجموعة الثانية نحو ١٥٠ وثيقة، تواصل سلسلة من حيث التتابع الزمني.

وإضافة إلى التزوير المخزي للحقائق المنشورة في إصدار بالميرستون، تسترعي النظر واقعة أنه على الرغم من أن الكتاب الثاني من الكتب المذكورة قد خرج إلى النور في عام ١٨٥٧، إلا أن التاريخ الأخير المسجل على إحدى الوثائق التي يتضمنها

---

١. Gardane A. Mission du general Gardane en Perse sous le Premier Empire. P., ١٨٦٥

٢. Correspondence, Relating to Persia and Afghanistan. L., ١٨٣٩

٣. Correspondence Respecting Relations with Persia. Vol. ١-٢. L., ١٨٤١-١٨٥٧.

الكتاب هو إبريل عام ١٨٤٠. والواقع أن هذه التناقضات لم تكن من باب المصادفة إطلاقاً؛ ففي هذا الوقت بالتحديد كانت حكومة الشاه مضطرة، بسبب دسائس الإنكليز في هرات، إلى قطع علاقاتها مع بريطانيا. وبدلاً من إيجاد مسوغ لذلك عمل الناشرون على فرض فكرة الترعة العدوانية لدى الحكومة الفارسية، ومحبة الحكومة البريطانية للسلم. والحقيقة أن ذلك لم يكن له أي أثر في موضوع بحثنا. ولكن أشرنا إلى هذه الواقعة لنبين أن نشر إصدار بالميرستون من الوثائق تم من أجل الدعاية لسياسة الاستعمار البريطانية[١].

لم تتوافر لدينا المواد من الأرشيف الإنكليزي والهندي. وحصلنا على بعض المعلومات فقط من عدد من المؤلفين، الذين تسنى لهم الوصول إليها. ومن الوثائق المهمة جداً تلك التي نشرها جون كيلي، والتي سيرد ذكرها لاحقاً.

تعد وثائق الأرشيف الروسي، التي لم تنشر بعد، من الأهمية بمكان بالنسبة لعملنا الحالي، على الرغم من أنها تعود بشكل عام لمدة متأخرة – ابتداءً من الستينات من القرن التاسع عشر[٢].

وهناك مؤلفات قيمة تعود للنصف الأول من القرن التاسع عشر، تم جمعها في الكتاب المفصل والكبير جداً، الذي أصدره لوريمر (Lorimer)، وتم نشره في أوائل القرن العشرين[٣]. وهذه المؤلفات تحتوي على معلومات تاريخية وجغرافية، ومعلومات حول العلاقات السياسية لمشيخات منطقة الخليج العربي وإماراتها. شكلت تقارير رجال

١. في عام ١٨٥٧ تم للهدف نفسه إصدار ما يقرب من ٤٠٠ وثيقة تتعلق "بتراع هرات" الثاني ١٨٥١– ١٨٥٧.

٢. أرشيف: مواد ووثائق أرشيف سياسة روسيا الخارجية، والأرشيف التاريخي – العسكري الحكومي المركزي

٣. **Persian Gazetter.- Lorimer J.G and Birdwood L. Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia. Vol. ١-٢. Calcutta, ١٩٠٨-١٩١٥**

الاستخبارات وأعوان الإنكليز الرسميين والسريين وتبليغاتهم، الذين كانوا ممثلين في موانئ الخليج العربي، أو كانوا مرسلين إلى المناطق المتاخمة لهذا الخليج أساس هذه المؤلفات. ولا حاجة للتذكير بأن الكثير من المعلومات، على الرغم من أهميتها، تتطلب توخي الحذر، والتمحيص ولاسيما ما يتعلق منها بتفسير الأحداث ذات الطابع السياسي، ومراعاة أنها قد تكون متحيزة، وأن تفسيرها جاء بما يتناسب مع السياسة البريطانية.

إلى جانب الوثائق الرسمية تعد المذكرات واليوميات والمراسلات الخاصة من المواد الأساسية التي تم الاعتماد عليها لإعداد هذا البحث. وسيشار بشكل مختصر إلى أهم هذه الوثائق في متن البحث وأين تكمن قيمتها.

في أواخر القرن الخامس عشر قام التاجر الروسي أفانسي نيكيتين بزيارة إلى الخليج العربي، عاد منها إلى روسيا بمعلومات عن المركز التجاري الرئيس في جزيرة هرمز. وهذه المعلومات أعطت تصوراً عن التجارة في الخليج العربي في المرحلة التي سبقت ظهور البرتغاليين في المنطقة[١].

في مطلع القرن السادس عشر، وتحديداً في عام ١٥٠٣، وقبيل الغزو البرتغالي للخليج العربي، قام الإيطالي فارتيما (**Varthema**) بزيارة إلى هذه المنطقة. والمعروف عن هذا الرجل أنه أحد الرحالة الأوربيين الذين وصلوا إلى الخليج العربي دون التفاف حول القارة الأفريقية. وقد وصل فارتيما إلى الخليج العربي مباشرة عقب زيارة قام بها إلى الموانئ الهندية، ومن ثم مسقط. وقد أولى هذا الرحالة في وصفه للخليج العربي أهمية خاصة لهرمز[٢].

---

١. نيكيتين أ: رحلة عبر ثلاثة بحار، لأفانسي نيكيتين من ١٤٦٦ إلى ١٤٧٢، موسكو، ١٩٤٨.

٢. **[Varthema L. de]. The Travels of Ludovico di Vartema, ١٨٦٣ (Hakluyt Society).**

يذكر الفونسو دي البوكيرك (Albuguergue A.de)[1]، وهو أول وأهم قائد برتغالي يغزو الخليج العربي في يومياته التي نشرت في مجموعة هاكليوت (Hakluyt) بأسلوب منظم قصة ظهور العمارة البحرية البرتغالية التي قادها في مياه الخليج، والأحداث التي تلت ذلك. وقد وصف بصورة مفصلة احتلال قواته لمدن مسقط، وقلهات، وقريات، وهرمز، والطرق التي تم بها فرض السيطرة البرتغالية على هذه المناطق[2].

حاول الإنكليز في منتصف القرن السادس عشر التوغل إلى الخليج العربي من الشمال عن طريق روسيا وفارس. وتعد مذكرات أعوان ووكلاء الإنكليز وتقاريرهم مراجع على درجة كبيرة من الأهمية لمعرفة طرق التوسع الاستعماري الإنكليزي وأساليبه في منطقة الخليج العربي في مرحلته الأولى. ومن المراجع المهمة بمكان يوميات جينكينسون، وبيرود، وإدواردز وغيرهم، التي تم نشرها في مجموعة هاكليوت آنفة الذكر. ففي هذه اليوميات يتجلى بشكل واضح سعي البرجوازية الإنكليزية إلى الاستيلاء على الطرق التجارية الرئيسة بين أوربا والشرق.

---

١. الفونسو دي البوكيرك (١٤٥٣– ١٥١٥)، ينتمي إلى سلالة عائلية مرموقة في البلاط البرتغالي، فجده كان سكرتيراً للملك جون الأول. وللملك دورات أيضاً. ولكنه أعدم شنقاً لقتله، متعمداً، زوجته عام ١٤٣٧م؛ وكذلك والده كونزالو البوكيرك كان من المقربين للبلاط. شارك الفونسو خلال شبابه في حروب البرتغال ضد المسلمين في مراكش حتى تشبع بالروح الصليبية ضد العرب خاصة والمسلمين عامة، ومما زاد من تلك الروح وأجج أوارها في نفسه مقتل شقيقه في حروب المغرب على أيدي المسلمين............. (المترجم)

انظر محمد حميد السلمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين ١٥٠٧ – ١٥٢٥م؛ مركز زايد للتراث والتاريخ (العين– أبو ظبي، ٢٠٠٠م) في هامش ص ١٤٥– ١٤٦ نقلاً عن:

The Commentaries of the Great Afonso D Lbequerque, Op. Cit., Vol. ١, p. ١١; Bell, Op. Cit., p. ١٠٥.

٢ **Albuquerque A. de. The Commentaries of the Great Alfonso Dalboquerque. Vol.١- ٤, ١٨٧٥ (Hakluyt Society).**

لقد أدى توطيد مواقع الرأسمالية البريطانية، ونجاح الصراع ضد البرتغاليين والهولنديين، إلى تنامي اهتمام الإنكليز بالسفر إلى الشرق عبر الطرق التجارية القديمة.

صدرت في عام ١٦٢٥؛ أي بعد سقوط هرمز بعامين، مجموعة أسفار قام بجمعها وتصنيفها القديس صمويل بيرتشيس (Purchas)[١]. والواقع أن هذا الرجل لم يسبق له أن غادر الجزر البريطانية إطلاقاً. وظل جل حياته يجمع المعلومات عن البعثات البحرية والبرية المختلفة. وأعير في هذه المجموعة اهتمام خاص للهند، ولجزر التوابل، وللأسطول البريطاني، ولتمجيد قوته. وظهرت أهمية مجموعة بيرتشيس في إصدار عدة طبعات منها.

ويمكن للقارئ أن يجد في هذه المجموعة معلومات عن النير البرتغالي البغيض بالنسبة لسكان منطقة الخليج العربي، ومعلومات عن الصراع بين إنكلترا والبرتغال، وبعض التفاصيل عن استيلاء القوات الفارسية على هرمز، وغير ذلك من المعلومات.

يعد الرحالة الفرنسي جاردان، الذي تتضمن يومياته معلومات مهمة عن التاريخ الداخلي لفارس، من أشهر الرحالة الذين جابوا هذه الدولة في القرن الثامن عشر. غير أن هذا الرحالة لم يتطرق – مع الأسف- إلى القضايا المرتبطة بالتوغل الأوربي إلى المناطق الجنوبية في فارس والخليج العربي. بيد أن أقواله العامة عن فارس تغني معارفنا حول التعامل بين التجار الفرس والأوربيين في تلك الحقبة[٢]. والواقع أن زيارة العديد من الأوربيين إلى الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر كانت تتم لأسباب وأهداف مختلفة.

---

١. [Purchas]. His Pilgrims. Vol. ١-٢٠. Glasgow, ١٩٠٥.

٢. Chardin J. Voyage en Perse ١٧١١.T. ١-١٠. P., ١٨١١ .

تضم كتب ج. كَي, و جاردان آنفة الذكر رسائل، ومدونات، وملاحظات وردت في يوميات مالكولم و جاردان. وتعد هذه الكتب مادة جيدة لإلقاء الضوء على الاقتحام العسكري الإنكليزي لمياه الخليج العربي في عامي ١٨٠٨-١٨٠٩. ومن المذكرات المهمة بمكان تلك التي دونها الإنكليزي ج.موريير(**Morier J.**) في أثناء زيارته إلى فارس في عامي ١٨٠٨و١٨٠٩ ضمن بعثة جونز، وعودته إليها مرة أخرى في عام ١٨١٠ بصفته سكرتيراً في بعثة أوزلي[١]. وقد تحدث في هذه المذكرات بصورة عفوية عن وقائع استثارة جونز للاضطرابات التي شهدها بوشهر.

بإجراء موازنة بين هذه المذكرات ويوميات الرحالة الآخرين في ذلك الوقت يمكن فضح العامل الخفي الذي تستر خلفه الإنكليز من أجل التوسع البريطاني في الخليج العربي بحجة مكافحة القرصنة. كما أن مذكرات الإنكليزي بكنجهام (**Buckingham**) تعد من الأهمية بمكان، كونها تلقي الضوء على الحملة التأديبية التي جردتها بريطانيا عام ١٨١٦ ضد من أسمتهم "بالقراصنة". وكان بكنجهام أحد المشاركين المباشرين في هذه الحملة. ولهذا يورد بعض التفاصيل بوصفه شاهد عيان. وقد تحدث في مذكراته عن الأساليب التي اتبعت للقيام بمثل هذه الحملات. وذكر باستهتار ووقاحة أن "الإبادة الكاملة للسكان المحليين هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن إسكاتهم بها"[٢]. ولتحقيق ذلك جابت السفن البريطانية سواحل الخليج العربي على امتدادها، ودمرت بالقصف المدفعي، وبقوات الإنزال كل ما وجدته في طريقها.

---

١. Morier J. A. A Journey through Persia, Armenia and Asia Minor. ١٨٠٨-١٨٠٩. L., ١٨١٢.

Morier J. A. A. Second Journey through Persia. ١٨١٠-١٨١٦. Vol. ١-٢. L., ١٨١٨.

٢. Buckingham. Travels in Assiria, Media and Persia. Vol. ١-٢. L., ١٨٣٠. (p.١٤٤)

على الرغم من سعي أصحاب المذكرات لإقناع القراء بعدم مبدئية القرصنة التي مارسها سكان منطقة الخليج العربي، والقصص عن أولئك الذين أطلقوا عليهم اسم القراصنة، إلا أنها تُظهر، رغماً عن إرادة كاتبيها، أنّ السكان في هذه المنطقة هبوا في القرن التاسع عشر للنضال ضد المستعمرين الغاصبين.

وصف القبطان ف. لوخ (**Locke F.**)، قبطان السفينة البريطانية "إيدن"، الذي قاد عمليات إحدى الحملات التأديبية التي جردتها بريطانيا عام ١٨١٩-١٨٢٠ في يومياته هذه الحملة وصفاً دقيقاً. وهذه اليوميات تم حفظها لدى عائلة لوخ ما يقرب من ١٥٠ سنة، قبل أن يحصل ممثل بريطانيا في البحرين بيلجريف (**Belgrave**) على الإذن بنشرها. وكان هدفه من وراء ذلك إقناع القارئ بحجم التضحيات التي قدمها البريطانيون بأرواحهم في سبيل القضاء على القرصنة في الخليج العربي[1]. غير أن ما يؤسف له أن بيلجريف لم ينشر النصوص الكاملة ليوميات لوخ كدأب الناشرين النزيهين، بل اتبع طريقة جديدة في إعادة سرد مضمون تلك اليوميات عن الخليج العربي، فأضاف لها مقدمة، ومعلومات تاريخية عن الخليج العربي، وسير حياة عدد من الأشخاص الذين ذكرهم لوخ في يومياته.

وقد أمضى بيلجريف في جمع المعلومات الإضافية ما يقرب من ثلاثين سنة أمضاها في البحرين. ونتيجة لهذا التبديل لم يحصل القارئ على المعلومات من مصدرها الحقيقي، إنما حصل على كتاب لشخص له مصلحة معينة، اجتهد بعد مضي قرن ونصف على وصف لوخ للأحداث في إثبات قضية ملفقة وأحداث [قرصنة] لا أساس لها من الصحة، وكذلك إثبات أن الإنكليز لم يكن لهم في ذلك الوقت أو بعده أيّ مطامع إقليمية في الخليج العربي.

---

١. **Belgrave. The Pirate Coast. L., ١٩٦٦.(p.١٩٢).**

ونحن نحتفظ بهذا الكتاب بين المراجع بسبب موضوعه الرئيس، واحتوائه على عرض تفصيلي ومتسلسل لسير الأحداث خلال حملة عامي ١٨١٨-١٨١٩ حيث يتابع بيلجريف دراسة آثار لوخ، وكذلك من أجل الاقتباس من يوميات هذا الأخير.

تعكس مذكرات هؤلاء وغيرهم من المؤرخين الإنكليز، وكذلك يوميات الروسيين "أ. سوكولوف، وف. بوروزدنا"، اللذين شاركا في بعثة الجنرال يرمولوف في فارس في عام ١٨١٧ الوضع العام في فارس في الربع الأول من القرن التاسع عشر. وتتحدث هذه المذكرات واليوميات عن حالة الصناعة والتجارة في فارس[١].

وتعد يوميات سوكولوف – المستشار في بعثة يرمولوف ذات قيمة؛ كونه أثبت فيها معلومات دقيقة عن سياسة إنكلترا في فارس في ذلك الوقت. وهذا ما يساعد على إدراك حقيقة نشاط أعوان البريطانيين في بلاط الشاه، وعلى حدود فارس – على سواحل الخليج العربي مثلاً– بصورة صحيحة.

عند بحث موضوع العدوان الإنكليزي على فارس بسبب قضية هرات استرعت انتباهنا مذكرات ضابط المخابرات الإنكليزي بيرنز(**Burnes**) في الإمارات الأفغانية، والهند، وآسيا الوسطى[٢].

---

١. سوكولوف. مذكرات يومية حول سفر سفارة روسيا الإمبراطورية إلى فارس عام ١٨١٦-١٨١٧، سانت بطرسبورغ. د.ت.

بوروزدنا ف. ملخص عن رحلة سفارة روسيا الإمبراطورية إلى فارس عام ١٨١٦-١٨١٧، سانت بطرسبورغ، د.ت.

٢. **Burnes A. Voyage de l'embouchire de l'Indus à Lahor, Caboul, Balkhet à Boukhara et retour par la Perse pendant les annèes ١٨٣١-١٨٣٣. T. ١-٣. P., ١٨٣٥**

يعد كتاب تاريخ أئمة عمان وسادها بقلم سليل بن رزيق من المراجع الشرقية القيمة جداً. وكان الإنكليزي بادجر (Badger J.) قد حصل على هذه المخطوطة باللغة العربية عام ١٨٦٠، عندما كان عضواً في لجنة شكلتها إنكلترا لتقسيم أراضي عمان بين مسقط وزنجبار. وفي عام ١٨٧١ قام بنشر هذه المخطوطة في لندن مترجمة إلى اللغة الإنكليزية مع شروحاته وتعليقاته[١].

يعد سليل بن رزيق، المؤلف الوحيد بين المؤلفين الشرقيين الذي كرس عمله لتاريخ عمان – إحدى الإمارات [الدول] الكبيرة في منطقة الخليج العربي. ومن المعروف أن عمان تحولت قبل غيرها من المشيخات إلى قاعدة حربية بريطانية. ويساعد كتاب سليل بن رزيق على وصف السياسة الإنكليزية في منطقة الخليج العربي كسياسة استعمارية.

وهذا يجعل كتابه يحتل مكانة خاصة بين الأعمال الأخرى للمؤلفين الشرقيين، الذين لم يتناولوا قضية التوسع الإنكليزي، ولم يتطرقوا كثيراً في كتاباهم إلى القضايا العامة في العلاقات الإنكليزية– الفارسية من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر.

يقسم كتاب سليل بن رزيق على ثلاثة أقسام: الأول يشمل المرحلة من عام ١٦١٦ إلى عام ١٧٧٤، والثاني من عام ١٧٤١ إلى عام ١٨٢٠، والثالث من عام ١٨٠٤ إلى عام ١٨٥٦.

يتناول سليل بن رزيق في كتابه الحديث عن نضال سكان الخليج العربي ضد البرتغال، وعن حملة نادر شاه عام ١٧٣٧ على ساحل الخليج، وعن أهم الأحداث

---

١ .Salil-ibn-Razik. History of the Imams and Seyids of Oman Transl. by G. P. Badger. L., ١٨٧١.

التي جرت في تاريخ الخليج العربي. وتعد الفصول التي تمت بصلة إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر من الفصول القيمة جداً.

والواقع أننا لم نستطع أن نستمد المعلومات عن الحملات التأديبية على امتداد سواحل الخليج العربي عام ١٨٠٩ وعام ١٨١٦، وفي الأعوام الأخرى؛ وكذلك عن نضال السكان المحليين ضد المستعمرين؛ ودسائس الإنكليز في عمان؛ والمعاهدات غير المتكافئة التي فرضها الإنكليز على شيوخ الخليج العربي إلا من كتاب سليل بن رزيق "تاريخ أئمة وسادة عمان".

تعد تعليقات المترجم والناشر ج. بادجر لكتاب سليل بن رزيق بدورها من الأهمية بمكان؛ ذلك أنه كثيراً ما أشار في حاشيات تحت السطور إلى معلومات إضافية (Bombey government selections) من التي يصعب علينا الحصول عليها، حيث نشرت تقارير عن حملات الإنكليز البربرية على امتداد سواحل الخليج العربي وخليج عمان، ومذكرات أعوان الإنكليز وغير ذلك من التقارير. وقد كان لذلك قيمة عظيمة ساعد على إنجاز بحثنا الحالي.

من المراجع المكتوبة باللغة الفارسية التي تمت لإتمام هذا العمل مؤلفات لمؤرخين إيرانيين في القرن التاسع عشر. وكان من المتوقع أن ينعكس في أعمالهم دور السياسة الاستعمارية للدول الغربية، ولاسيما إنكلترا في حياة فارس. إلا أن المأخذ على هذه الأعمال أنها لا تتضمن الكثير من المعلومات التي تمت بصلة إلى علاقات فارس مع دول أوربا بصورة عامة، ولاسيما التوسع الإنكليزي في منطقة الخليج العربي.

غير أن كتاب محمد حسن خان: "تاريخي منتظمي ناصري"[1] يخرج بفكرته عن إطار المؤلفات العادية لمؤرخي البلاط الإيرانيين. وكان الهدف المتوخى لمحمد حسن خان في كتابه عرض تاريخ بلدان آسيا وأوربا في وقت واحد مع التطرق إلى علاقة فارس مع الدول الأوربية.

وقد تمت طباعة هذا الكتاب في طهران في الأعوام ١٨٨٠-١٨٨٣. وهو يقع في ثلاثة مجلدات. يعرض المجلد الأول الأحداث بدءًا من العام الهجري الأول وحتى القرن الثالث عشر الميلادي حسب نظام تعداد التواريخ الأوربي، والثاني من القرن الثالث عشر حتى عام ١٧٦٩، والثالث يعرض الأحداث التي دارت إلى ما قبيل نشره.

لندع جانباً المجلد الأول من كتاب محمد حسن خان لكونه يخرج عن إطار عملنا الحالي. ولكن قبل الحديث عن المجلدين الثاني والثالث لابد من الإشارة إلى قلة المعلومات التي تضمنها هذان المجلدان حول التغلغل الأوربي في منطقة الخليج العربي.

فقد اكتفى الكاتب في المجلد الثاني بالإشارة بشكل عابر إلى ظهور أسطول الفونسو د البوكيرك (Albuguergue A.de) في الخليج العربي في أوائل القرن السادس عشر دون أن يصف الأحداث المرتبطة بتثبيت البرتغاليين لنظامهم الاستعماري. علماً بأنه كانت تحت تصرفه، كونه مؤرخاً فارسياً، وثائق تبين سير الغزو البرتغالي. وحتى إنّ كتابه خلا من التذكير بثورة سكان الساحل وسكان جزر الخليج العربي ضد السيطرة البرتغالية التي تسهب المراجع الأخرى في الحديث عنها. كما أن المؤلف لم يتطرق أيضاً إلى تلك المراحل المهمة في تاريخ فارس، كطرد البرتغاليين من

[1]. محمد حسن خان، "تاريخي منتظمي ناصري"، طهران، د. ت.(باللغة الفارسية)

هرمز في عام ١٦٢٢، وسياسة نادر شاه، وكريم خان في منطقة الخليج العربي في القرن الثامن عشر.

يتحدث محمد حسن خان في المجلد الثالث من كتابه عن البعثات الأوربية المتعددة التي زارت فارس في أوائل القرن التاسع عشر. غير أنه لم يتحدث عن ذلك أكثر من جاردان ومالكولم وجونز وغيرهم، ولم يكشف أسباب هذه الحملة أو تلك على فارس وأهدافها. وعليه لا يمكن الاستفادة من كتابه "تاريخي منتظمي ناصري" إلا بصورة عامة. ويمكن الاستفادة من المعلومات التي يتضمنها الفصل الذي يتحدث فيه عن دسائس الإنكليز في هرات بصورة ملموسة أكثر.

أما كتاب حسن فيسائي "فارس نامه وناصري"[1] فيقسم على جزأين: تاريخي وجغرافي. يسلط الضوء في الجزء الأول من هذا الكتاب على تاريخ ولاية فارس منذ القرن السابع حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، في حين يقدم وصفاً مفصلاً لفارس في الجزء الثاني. تكمن القيمة الأساسية لكتاب حسن فيسائي في إيراد عرض منهجي لتاريخ ولاية فارس، والساحل الشمالي للخليج الذي يدخل ضمنها، مع الجزر المتاخمة له مع ربط هذا الخليج بالتاريخ العام لفارس. إلا أن الصفحات التي خصصها للحديث عن الخليج العربي لا تزيد عن ثلاث صفحات (٣١٥-٣١٨).

[1]. فيسائي، "فارس نامه وناصري"، طهران، ١٣١٣/١٩٣٤ , و١٣٤٠/١٩٦١.(باللغة الفارسية)

تعد مؤلفات المؤرخين الإيرانيين: حقائق الأخبار، وروضة الصفا، ونسخ التواريخ، ذات أهمية لعملنا، لاسيما في تلك الفصول التي يتناول فيها المؤلفون الأحداث المرتبطة بقضية هرات[١].

أما فيما يخص المراجع التاريخية الغربية التي استخدمناها فقد وجدنا أن الأقرب إلى موضوع بحثنا تلك التي كتبها أ. ويلسون (Wilson A.)، وج. كيلي (Killy J.)[٢]. وتكمن أهمية كتاب ويلسون في ما يأتي: أولاً– أن مؤلفه مارس في هذه المنطقة سياسة إنكلترا بصورة مباشرة؛ ثانياً– يعد الكتاب، حسب ما هو معروف، التعميم الأول لتاريخ منطقة الخليج العربي؛ ثالثاً– يعكس الكتاب وجهة نظر الإنكليز حول التوسع الاستعماري في منطقة الخليج العربي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بوقت قصير؛ رابعاً– يلخص الكتاب بعض أعمال المؤلفين الإنكليز، الذين تطرقوا إلى مسألة التوسع البريطاني في الخليج العربي كجزء من سياسة الإنكليز الاستعمارية؛ وأخيراً شمل كتاب ويلسون مجموعة كبيرة من المعلومات حول تاريخ تغلغل الدول الأوربية في منطقة الخليج العربي، ولاسيما في زمن ما قبل القرن التاسع عشر حسب التسلسل التاريخي[٣].

تكمن الفكرة الأساسية التي تخيم على جل عمل ويلسون في إيجاد حقوق للإنكليز في الخليج العربي. وسعى الكاتب إلى إيصال القارئ إلى فكرة مفادها عدم

---

[١] ميرزا جعفر خان، "حقائق الأخبار ناصري"، طهران، ١٢٨٤/١٨٦٧–١٨٦٨.، ص٦٥ (باللغة الفارسية)؛ رضا كولي خان، "روضة الصفا"، طهران د.ت. (باللغة الفارسية)؛ ميرزا تاهي خان – نسخ التواريخ، طهران، د.ت. (باللغة الفارسية).

[٢] شغل ويلسون منصب الوكيل السياسي البريطاني في الخليج العربي مدة ١٨ عاماً. وحول كتاب كيلي انظر أدناه.

[٣]. Wilson A. T. The Persian Gulf. An Historical Sketch from the Earliest Times to the Beginning of the Twentieth Century. Ox., ١٩٢٨.

وجود الـ "نظام المطلوب"؛ أي "النظام الذي يروق للإنكليز في هذه المنطقة من العالم"، ووجود "رسالة تاريخية" للإنكليز قضت الأقدار، دون رغبة منهم، أن يقدموا التضحيات من أجل تثبيت هذا النظام.

وبغية سهولة تعليل الأفكار المطروحة لجأ ويلسون في كتابه إلى تحريف مقصود للوقائع التاريخية. ويظهر التحيز في عرض المادة واضحاً في بنية عمله نفسه؛ إذ إنه خصص ٢٠٠ صفحة من كتابه الذي يقع في **٢٧٥** صفحة للحديث عن تاريخ هذه المنطقة قبل القرن التاسع عشر. وأسهب في الحديث عن توسع البرتغال، وهولندا، دون تفويت الفرصة لإظهار دور الإنكليز في هذه المرحلة بشكل نافع لهم. فمثلاً ذكر في كتابه أنه تم طرد البرتغاليين من هرمز من قبل حفنة من البواسل الإنكليز، بينما كان الدور الحقيقي لهؤلاء الأخيرين في هذه القضية إن لم يكن الغدر، فهو ذو معنيين.

وخصص القسم الخامس من كتابه للحديث عن قصة التوسع الإنكليزي في الخليج العربي في القرن التاسع عشر. وهو التوسع الذي حول هذه المنطقة عملياً إلى مستعمرات لبريطانيا العظمى. وفي غضون ذلك استبدل قصة التوسع الإنكليزي بقصة عن كفاح الإنكليز المزعوم ضد القرصنة أولاً، ومن ثم ضد تجارة العبيد بدوافع نزيهة.

وحاول الكاتب تصوير حملات الإنكليز التأديبية على السواحل والجزر على أنها حملات هدفها إعادة النظام القانوني، في حين صور الالتزامات اللصوصية التي تم إجبار الشيوخ على توقيعها على أنها معاهدات صداقة. ولدى تطرقه إلى مدة أواخر القرن التاسع عشر، عندما فرضت إنكلترا حمايتها على شيوخ الخليج العربي، بالغ ويلسون متعمداً في تصوير سلطة الشيوخ الفعلية، وصورهم كشيوخ مستقلين وأصحاب سلطة مطلقة.

وبذلك حاول أن يسدل النقاب على إخضاع مسقط، والبحرين، والكويت لسلطة بريطانيا العظمى. وكان يتوخى من ذلك هدفاً آخر، هو إنكار أيّ حقوق لفارس، ليس في جزر الخليج العربي وسواحله فحسب، بل في الملاحة فيه أيضاً. ولهذا تعد رواية ويلسون عن هذه المنطقة مشوهة. ومع ذلك لا يخلو بحثه من الأهمية بالنسبة لعملنا الحالي، ليس لأنه يكشف بجلاء أساليب التزييف التي يمارسها المؤلفون الإنكليز فحسب، بل لأنه عند الاطلاع على المراجع التي استمد شواهده العديدة منها عند تأليفه لكتابه تصادفنا وقائع غالباً ما تفضحه.

جدير بالذكر أن كتاب ويلسون تم اعتماده سنوات عديدة دليلاً ومرجعاً للإنكليز الذين كتبوا عن الخليج العربي. وعادة لا يستغني أي مؤلف من المؤلفين الذين يتناولون في كتاباتهم بشكل أو بآخر موضوع السياسة الإنكليزية في البلدان المتاخمة لحوض المحيط الهندي عن اقتباس شواهد من كتاب ويلسون. وقد ظهر في العقد الأخير عدد ليس بالقليل من هؤلاء المؤلفين. فبعد ويلسون بأربعين عاماً نستخلص النتائج نفسها في كتاب ج. كيلي المكرس خصيصاً للحديث عن سياسة إنكلترا تجاه بلدان منطقة الخليج العربي في القرن التاسع عشر[١].

والإطار الزمني لهذا العمل يجعلنا نعده بمترلة متابعة وتعميق للموضوع الذي اختاره ويلسون للحديث فيه. إلا أن هذا الأخير كتب من موقع صاحب خبرة، في حين كان الهدف الذي توخاه كيلي من عمله تحقيق مهام بحث علمي خالصة. قد أمضى سنوات عديدة وهو يدرس جيداً مواد الأرشيف الإنكليزي والهندي ومراجع أخرى كثيرة. وقد قدم بحثه من أجل نيل لقب علمي.

---

١. **Kelly J. B. Britain and the Persian Gulf, ١٧٩٥-١٨٨٠. Ox., ١٩٦٨**

يستند كتاب كيلي على أساس متين. وتعد المقتطفات الكثيرة والمفصلة من وثائق الأرشيف بالنسبة لنا الوسيلة الوحيدة أحياناً لتعرّف هذه الوثائق. وانطلاقاً من ذلك يصعب تقييم أهمية العمل الذي قدمه كيلي. ومن الأمور المهمة في كتاب كيلي، التي قد لا نجدها في كتاب آخر، وجود تفاصيلات للعمليات والأحداث التي شهدها الخليج العربي في المدة الزمنية التي يتناولها. ولكن يجب الأخذ بالحسبان أن هذا البحث كتب من وجهة نظر المستعمر المحارب.

وتبرز من خلال كتاب كيلي المفكر عقلية كيلي المستعمر، الذي يرى أن سكان منطقة الخليج العربي غير قادرين على تقرير مصيرهم بأنفسهم. وتكفي قراءة أسطر كيلي "الحائرة- الساخطة"، حول رفض حكومة الشاه التنازل عن جزيرة قشم أو خرج للإنكليز الذين يدعون أنهم سيجعلونها مزدهرة، حتى تحضرنا في الذاكرة "تعليمات حول اكتشاف البحار" لعام ١٥٨٠.

وتساورنا القناعة بأن أسلوب تفكير الإنكليز المحافظين في مسائل الاستعمار البريطاني لم يتغير أبداً في خلال أربعة قرون، بين مرحلة حكم اليزابيث الأولى واليزابيث الثانية. وهنا يُظهر كيلي عجزاً غريباً لدى محاولته تفسير موقف حكومة الشاه مثلاً، بأن هذا الموقف ليس نابعاً من حرصه على سيادة بلاده، وإنما بسبب ظروف عابرة. وعلى الرغم من القاعدة الثمينة بلا ريب، التي يستند عليها الكاتب كيلي، إلا أننا لا نقبل كلياً تقييمه وتأويله للأحداث بالشكل الذي يريده.

من المؤلفات الكثيرة جداً التي تناولت تاريخ الخليج العربي كتاب "بلدان وقبائل الخليج العربي" لـ س.مايلز (Miles S.) الذي شغل منصب المعتمد السياسي لبريطانيا في عمان لسنوات عديدة. يتبين من عنوان هذا الكتاب، الذي يقع في مجلدين، أنه يتسم بطابع وصفي على الأغلب أكثر من الطابع البحثي. وقد خرج إلى النور بعد

وفاة صاحبه. وعلى الرغم من خلوه من مصادر البحث إلا أنّ ما يميزه عن غيره أنه جُمع من عدة مراجع ومقتطفات. ويعد هذا الكتاب من الكتب المهمة بمكان، لاحتوائه على عدد من المعلومات المدعمة بالوقائع عن مشيخات الخليج العربي. والذي يؤكد على أهميته أنه يعاد إصداره حتى في وقتنا الحاضر[١]. والإصدار الذي استخدمناه في عملنا هو الأول.

تم التطرق إلى مسألة التوغل الأوربي إلى هذه المنطقة في عدد من المؤلفات الإنكليزية التي تمت بصلة إلى سياسة بريطانيا في المشرق. وكذلك هناك مؤلفات عن تاريخ فارس أيضاً، منها مؤلف يقع في مجلدين يستحق الاهتمام عنوانه "تاريخ فارس"، بقلم جون مالكولم[٢]. وكاتب هذا العمل، الذي ورد ذكره بصدد نشر سيرة حياته بعد وفاته من قبل "كي"، هو نفسه المنظم والمشرف العام على أعمال بريطانيا العدوانية في الخليج العربي في العقد الأول من القرن التاسع عشر. وهو من أعد خطة الاستيلاء على قواعد الاستناد الرئيسة على الساحل، وإخضاع البلدان المتاخمة للخليج للنفوذ البريطاني. وقد اعتمدت خطته أساساً للسياسة البريطانية في منطقة الخليج العربي في الربع الأول من القرن التاسع عشر.

عندما تحدث مالكولم في كتابه عن محاولات الإنكليز الاستقرار في الخليج العربي في أوائل القرن السابع عشر حرّف الأحداث بشكل واضح. فقد صور اشتراك الإنكليز في طرد البرتغاليين من هرمز على أنه مساعدة كريمة قدمتها بريطانيا لفارس. إلا أن الهدف الحقيقي لهذا العمل وقتئذ لم يكن مساعدة فارس، إنما إزاحة المنافسين لإنكلترا وشغل مواقعهم. والمغزى من هذا التأويل واضح تماماً، وهو إثبات ادعاء

---

١. Miles S.p. The Countries and Tribes of the Persian Gulf. Vol.١-٢. L., ١٩١٩ (٢-nd ed.: ١٩٦٦).

٢. Malcolm J. A History of Persia. Vol. ١-٢. L., ١٨٢٣ .

الإنكليز السيطرة على المنطقة، وإيجاد مسوغ لضغوطها العسكرية على البلدان المتاخمة للخليج.

على الرغم من أن كتاب مالكولم لا يعطي الكثير فيما يخص تاريخ دراسة مسألة التوسع الإنكليزي في الخليج العربي، إلا أن المبادئ العامة لنظرية هذا الناطق بلسان حال سياسة بريطانيا الاستعمارية هي المبادئ الأولية التي يعتمد عليها الكثير من المؤلفين الإنكليز، الذين يكررون نظرية التهديد المزعوم للهند، بغية تسويغ الغزو الاستعماري البريطاني لهذه المنطقة من العالم. ووفقاً لهذه النظرية التي تصور السياسة الإنكليزية العدوانية على أنها سياسة "دفاعية"، يعدّ توسع إنكلترا في أرض شاسعة: من البنجاب حتى مصر، ومن رأس الرجاء الصالح حتى القوقاز، برأي الإنكليز أمراً ضرورياً للحيلولة دون توغل الدول الأوربية الأخرى إلى هذه البلدان؛ ورأيهم أن وجود هذه الدول في هذه البلدان يمكنها من تهديد السيادة الإنكليزية على الهند.

ومن بين أبرز القائلين بهذه النظرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ر. واتسون (.Watson R)[١]، وج. ماركهيم (.Markhaim G.A)[٢] وقد تابع الأول، باعترافه شخصياً "تاريخ فارس" لجون مالكولم. وفي غضون ذلك غض النظر بالشكل نفسه عن أعمال العدوان الإنكليزي الواضحة في الخليج العربي في الربع الأول من القرن التاسع عشر. لقد صور كل من واتسون وماركهيم غزو القوات الإنكليزية للخليج العربي في الثلاثينات من القرن التاسع عشر، كما لو أن ذلك حدث عادي قليل الأهمية. كما صور الاثنان هذا الغزو، والحرب الإنكليزية – الفارسية في عامي ١٨٥٦– ١٨٥٧ على أنها من الأعمال الضرورية للدفاع عن الهند. واعتذرا

---

١. Watson R. A History of Persia from the Beginning of XIX Century to Year ١٨٥٨. L., ١٨٦٦.

٢. Markham G. A General Sketch of the History of Persia. L., ١٨٧٤ .

عن الحملات التأديبية التي قام بها الأسطول الإنكليزي في الخليج ضد القبائل المحبة للحرية بضرورة مكافحة القرصنة، وتجارة العبيد، وغير ذلك. حتى إنّ ماركهيم ادعى أن الهدف من امتياز"ريتر" في فارس هو تخليص البلد من الجوع ومن "الدسائس الروسية"[١]. وكرر الإمبريالي المتعصب ج. رولينسن (Rawlinson H.) في عمله الذي "زينه بالهجمات الحاقدة على روسيا"، والذي يشكل خاتمة منطقية لأفكار أسلافه، معزوفة الدفاع عن بريطانيا في الخليج من الروس، والفرنسيين، وتجار العبيد وغيرهم[٢].

وقد انضم إليه في هذه المعزوفة رجل السياسة الإنكليزي اللورد كيرزون المعروف بمواقفه المعادية لروسيا، الذي تدرَّج في النشاط الاستعماري إلى أن شغل منصب نائب الملك في الهند والحاكم لها. ويزعم في كتابه "فارس والقضية الفارسية" بمراءاة ونفاق أن الفرس والعرب والعثمانيين يرغبون بأن يفرض الإنكليز الحماية على الخليج العربي. ويزعم أن هؤلاء يرون أن "اسم بريطانيا يعني النظام والحرية"[٣].

ظلت مفاهيم "السياسة الدفاعية" لإنكلترا في الخليج العربي الشيء المسيطر على عقول المؤلفين الإنكليز حتى القرن العشرين، ومن ضمنهم، ذوي الاتجاه التقدمي الذين فضحوا سياسة بريطانيا العدوانية في منطقة الخليج العربي في القرن العشرين[٤].

١. Markham G. A General Sketch of the History of Persia. L., ١٨٧٤ (p٥٢٤).

٢. Rawlinson H. C. England and Russia in the East. L., ١٨٧٥.

٣. Curzon G. Persia and the Persian Question. Vol. ١-٢. L., ١٨٩٢.(v.١, p.١١).

٤. م. بروكس، النفط والسياسة الخارجية، موسكو، ١٩٤٩، ص ٥٦. (باللغة الروسية).

بالطبع لا تقتصر المراجع الإنكليزية التي تناولت بشكل أو بآخر مسألة التوغل الأوربي في منطقة الخليج العربي على الكتب التي ورد ذكرها فقط. والمؤلفون الذين ورد ذكرهم هم الذين بينوا بدقة الاتجاهات الأساسية للتوسع الأوربي. أما البقية من أمثال تشيرول، وتشرشل، وسايكس والكثير غيرهم فقد قاموا بتكرار ما كتبه السابقون دون أن يضيفوا أو ينقصوا في كتاباتهم أي شيء يذكر. حتى إنّ كتاباتهم كانت خالية من النقد، وكان هدف البعض منهم تزييف الحقائق.

ومن بين هؤلاء الأخيرين يبرز بشكل خاص اسم لوه (**Low**)، قائد الأسطول الإنكليزي في الخليج العربي في الأربعينات من القرن التاسع عشر، الذي حاول أن يتخذ من مكافحة القرصنة وتجارة الرقيق حجة لقصف سفنه البلدات الساحلية بوحشية[1].

إن افتقار الفرس الفعلي لأسطول سفن حربية، وتصرف الدول الأوربية بشؤون الخليج العربي بالشكل الذي تريده ويخدم مصالحها، واستثمار مواطن النفط في منطقة الخليج، وقيام دول عربية فتية على ساحله الجنوبي، وما إلى ذلك من قضايا كان لا بد من أن يسترعي انتباه المؤرخين الإيرانيين.

ومع ذلك كان من النادر الوقوف على كتاب بقلم مؤلف إيراني يتحدث عن الخليج العربي حتى في الثلاثينات والأربعينات من قرننا الحالي [القرن العشرين]. أما في الستينات والسبعينات فقد بات بالإمكان العثور على مثل هذه الكتب بالعشرات. إلا أن ذلك لا يعني أن المؤلفين الإيرانيين قد أدركوا فجأة حقيقة سياسة الدول الأوربية في منطقة الخليج؛ إذ كثيراً ما كانوا يجدون أنفسهم وقد سقطوا في شباك نظريات الإنكليز ومفاهيمهم.

---

1. Low C. R. History of the Indian Navy. Vol. ١-٢. L., ١٨٧٧ .

كان الأميرال الإيراني "بياندور" من أوائل من نشر عملاً حول تاريخ الخليج العربي (١٩٣٨). ويلاحظ من كتابه أنه، على الرغم من التكرار غير النقدي لافتراءات الإنكليز المتحيزة حول "الخطر الذي يتهدد الهند"، يحاول تعليل نظريته "فرض السيادة الإنكليزية تلقائياً". وحين يتحدث عن تعسف بريطانيا الصارخ حيال الأهالي المحليين يفسر هذا التعسف بشكل غير صائب. ومع أنه لا ينفي محاولات الإنكليز الاستيلاء على أراض في منطقة الخليج العربي، يرى أن "ضعف الحكومة الفارسية هو الذي دفع إنكلترا إلى فرض سيطرتها على الخليج سواء طوعاً أو كرهاً"[١].

وبهذا الشكل وضع بياندور مسألة ضعف إيران في المقام الأول من الأهمية بدلاً من أن يقوم بفضح حقيقة العدوان الإنكليزي. وبدلاً من أن يبين العامل الخفي وراء سياسة الإنكليز العدوانية راح يموه هذه السياسة ويصور التوسع الاستعماري، وإن كان خلافاً لإرادته، على أنه ضرورة لفرض النظام القانوني المزعوم. وهذه النظرية المضرة في أساسها تكرار لتزييف الحقائق الذي مارسه الإنكليز، حيث كانوا يدعون أن كفاحهم نزيه جاء لمكافحة القرصنة، وتجارة الرقيق، وأن فرض حماية بريطانيا العظمى ما كان إلا لخير السكان المحليين.

وهناك كتاب نموذجي جداً يقع في ١٦٠ صفحة خرج إلى النور عام ١٩٥٤ بعنوان "كاليدي خليج فارس" - [مفاتيح الخليج العربي] "لكاتبه "مقتدر"[٢]، تناول بشكل عابر جداً تاريخ ألفي عام من عمر هذه المنطقة. وقد استعان مقتدر في إعداد بحثه بكتاب ويلسون، مما انعكس سلباً على العقائد التاريخية التي أوردها في الكتاب.

---

١. بياندور أ. "خليجي فارس"، طهران، ١٣١٧/١٩٣٩ (باللغة الفارسية)

٢. غ.خ.مقتدر، "كاليدي خليج فارس" [مفاتيح الخليج العربي]، طهران، ١٣٣٣/١٩٥٤، (باللغة الفارسية).

وهناك عدد من الكتب تتحدث عن الوضع الراهن للخليج العربي من تأليف "إسماعيل نوزاده بوشهري"[١]. يتطرق هذا المؤلف في كتابه الذي يحمل عنوان "الساحل وجزر الخليج الفارسي" إلى الأحداث التاريخية التي شهدها المنطقة.

ويشير بصورة خاصة إلى نضال سكان الخليج ضد البرتغاليين. ويورد تفاصيل استيلاء القوات الفارسية على هرمز في عام ١٦٢٢. والممتع في كتابه إعادة سرده لمؤلَّف نجهله بعنوان" التحفة النبهانية" للشيخ محمد النبهاني الطائي، والمكرس كما يبدو لتاريخ البحرين[٢]. ولكن ما يؤسف له حقاً أن بوشهري لم يكشف مضمون هذا المرجع الشيق والهام جداً. إلى جانب ذلك كثيراً ما كان يميل هو أيضاً لتكرار مفاهيم الإنكليز.

ولعل كتاب "مانشور غورغاني" الذي يحمل عنوان: "السياسة الإنكليزية في الخليج الفارسي وجزر البحرين"[٣] يستحق اهتماماً أكثر من الأعمال الأخرى للمؤلفين الإيرانيين المعاصرين. الواقع أن هذا الكتاب لم يكرس لتاريخ التوسع الإنكليزي في الخليج العربي عموماً، وإنما كُرس بشكل خاص لموضوع احتلال الإنكليز لجزر البحرين.

---

١. يبدو من الاسم أن المؤلف من بوشهر، الميناء الذي يقع على الخليج العربي. من مؤلفاته:

ي. ن.بوشهري، "إيران قانوني وخليجي فارس"، طهران، ١٣٢٥/١٩٤٦(باللغة الفارسية).

ي. ن.بوشهري " نظاري بإيران وخليج فارس " طهران (بدون تاريخ) (باللغة الفارسية).

ي.ن. بوشهري، " فيلات هاري جزائر خليج فارس "، طهران، ١٣٣٨/١٩٥٩(باللغة الفارسية).

٢. يوجد كتاب بعنوان التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية على أجزاء، لمؤلفه محمد بن خليفة بن حمد النبهاني الطائي المكي، يتحدث الجزء الأول منه عن تاريخ البحرين، وهناك كتاب آخر للمؤلف نفسه بعنوان التحفة النبهانية في تاريخ الخليج العربي يتحدث عن دول الخليج العربية......(المترجم)

٣.م. غورغاني "سياسة إنكليز دار خليجي فارس وجزائري بحرين"- [السياسة الإنكليزية في الخليج الفارسي وجزر البحرين]، طهران ١٣٢٥/١٩٤٦(باللغة الفارسية).

يشير الكاتب في المقدمة إلى أن إنكلترا استولت على هذه الجزر في القرن التاسع عشر منتهزة فرصة افتقار الفرس لأسطول حربي، وضعف الحكومة الفارسية. وهي "لا تزال متمسكة بهذه الجزر حتى الآن (أي حتى عام ١٩٢٨)" نتيجة لضعف نشاط عصبة الأمم. و الكاتب يهدف من وراء ذلك إلى فضح الدور الاستعماري لبريطانيا العظمى في المنطقة.

على الرغم من أن عمل مانشور لا يلبي المتطلبات العلمية العالية من وجهة النظر المنهجية (لوجود أخطاء في التواريخ، وعدم تسلسل عرض الأحداث، ولعدم وجود شرح لأسباب التوسع الإنكليزي)، إلا أن كتابه يعد وثيقة اتهام موجهة ضد فظائع المستعمرين الإنكليز في الخليج العربي. وقد أصاب مانشور عندما أشار إلى أن هدف الإنكليز من توقيع المعاهدات مع الشيوخ المحليين (التي في الواقع تم إرغامهم على توقيعها) هو ترسيخ سلطتهم في منطقة الخليج العربي.

ولم يكن الهدف المحدد للمؤلف إيراد الأسباب والمبادئ الأساسية للتوسع الإنكليزي في الخليج في مراحل معينة، بربطها بالتوسع في فارس وغير ذلك، وإنما إظهار، بشكل صائب، سياسة بريطانيا تجاه أرخبيل البحرين بوصفها سياسة التسلط، وحياكة الدسائس، والابتزاز، والاستيلاء. ومن وجهة النظر هذه يستحق عمل "مانشورغورغاني" تقديراً عالياً. ولم يكن من العبث أن توجَّه في مقدمة كتابه إلى الوطنيين في إيران وإلى الشعب بأكمله بنداء لمساعدته على جمع المعلومات عن قصة ضم جزر البحرين.

ومن المؤلفين الذين يستحقون الثناء المؤرخ الإيراني "أ. فاروقي"(**Faruqhy A.**)، صاحب كتاب "حول تاريخ أرخبيل البحرين خلال ١٢٠٠ سنة"، الذي صدر باللغة الإنكليزية في نيويورك عام ١٩٥١. لقد ذكر هذا المؤلف، الذي يتسم، مثل

مانشور غورغاني، بالنزعة الوطنية، أن وعد البرتغاليين لفارس بتقديم أسطول حربي لمساعدتها في الصراع ضد الدولة العثمانية في البحر ما هو في الواقع إلا كلام عابر يخلو من الصدق. ويعيد إلى ذاكرة القراء الانتفاضات الكثيرة التي أشعلها السكان ضد نظام البرتغاليين الاستعماري. كما يذكرهم أيضاً بالدور الحاسم الذي لعبه الجيش الفارسي عند احتلال هرمز.

والكتاب يعرض معلومات شيقة عن تدخل الأوربيين في العلاقات المتبادلة بين فارس وعمان، ووضعهم العقبات أمام فارس لمنعها من امتلاك أسطول خاص بها في أواسط القرن الثامن عشر. والجدير بالذكر أن فاروقي يشير للقارئ بأن تأكيدات الإنكليز بخصوص مكافحة القرصنة وتجارة الرقيق في منطقة الخليج العربي وفرض النظام ما هي إلا أقوال منافقة، وأن هدفهم الحقيقي هو جني الأرباح من التجارة من ناحية، وإقامة رأس جسر حربي من ناحية أخرى. وأصاب فاروقي تماماً عندما أشار إلى أن المعاهدات التي جرى التوقيع عليها في أوائل القرن التاسع عشر مع شيوخ منطقة الخليج العربي حولت الأسطول البريطاني إلى قوة بوليسية في الخليج، وساعدت الإنكليز على الانتقال تدريجياً من ممارسة دور الشريك إلى ممارسة دور الحكم"[١].

وبالشكل نفسه تقريباً بنى "مصطفى خوجستا" أيضاً كتابه الذي (صدر باللغة الفارسية في شيراز عام ١٩٥٩ [٢]. بعد أن قيد المؤلف نفسه بأطر زمنية (قرنين)، استطاع التحدث بإسهاب عن العلاقات العمانية– البحرينية، ومحاولات فارس تثبيت

[١]..Faroughy A. The Bahrein Islands (٧٥٠–١٩٥١). A Contribution to the Study of Power Politics in the Persian Gulf. N. Y., ١٩٥١.(p. ٧٧).

[٢] – خوجستا، م.– [بحرين دار دو غاري أخير]، شيراز، ١٩٥٩/١٣٣٨، ص ٤٤ (باللغة الفارسية).

– إضافة إلى التحفة النبهانية ذكر مصطفى خوجستا مؤلَّف: " الله سيد غلاب ومحمد علي سديد السلطانة كبابي". وهذا الأخير سيرد ذكره في هذا الفصل.

سلطتها على الخليج في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وتدخل الموظفين الإنكليز من جميع المستويات في هذا الشأن. وقد استفاد مصطفى خوجستا، شأنه شأن بوشهري، من مؤلّف "التحفة النبهانية"، على الرغم من عدم وجود شواهد محـــددة في كتابه من هذا المؤلّف.

يعد كتاب مصطفى خوجستا من الأهمية بمكان بالنسبة لبحثنا الحـــالي، كونـــه يتضمن أمثلة دقيقة أوردها عن الفتن التي أثارها الإنكليز في الخليج، ويشير إلى عـــزم إمام مسقط على التخلص من الوصاية الإنكليزية عام ١٨٣٨، وكذلك إلى الأهداف الحقيقية للإنكليز من توقيع معاهدات دورية مع شيخ البحـــرين (١٨٤٦- ١٨٤٧) الزمته الكف عن ممارسة تجارة الرقيق.

وهناك كتب لباحثين حقوقيين تم تكريسها لبحث وضع أرخبيل البحرين. مـــن بين هؤلاء الدكتور في الحقوق "إسماعيلي"، الذي ألف كتاباً باللغة الفرنـــسية عنوانـــه "الخليج الفارسي وجزر البحرين"، وكان هدفه من هذا الكتاب الذي صدر في عـــام ١٩٣٦ إثبات حق فارس في البحرين بعد ما يسمى بـــ"حادثة البحرين". وكتابه هذا يعد رداً على ويلسون وغيره من المزيفين الإنكليز.

غير أن ما يؤسف له أن ضيق الأفق البرجوازي للمؤلف ودراســـته للعـــدوان الإنكليزي على الخليج العربي من وجهة النظر الحقوقية بشكل أساسي منعه من إدراك الأحداث من الناحية السياسية بصورها الصحيحة. إلا أن إسماعيلي كان على صواب حين أشار في أثناء معالجته، لأساليب الدبلوماسية والطغمة العسكرية بمناسبة محاولات الإنكليز الاستيلاء على جزر البحرين في القرنين التاسـع عـــشر والعـــشرين إلى أن الإنكليز استخدموا شتى أنواع الحيل والحجج (بما في ذلك القرصنة وتجارة الرقيـــق) لتسويغ قيامهم بالاغتصاب الحقيقي لمنطقة الخليج.

ويؤكد إسماعيلي على أن الإنكليز يخفون وراء عبارات عن "دولة البحرين المستقلة مساعيهم للاستيلاء على هذا الأرخبيل"[١]

وهناك عمل مهم آخر لعالم إيراني من الجيل الجديد هو "فريدون آدميات"، عالج فيه مشكلات جزر البحرين من وجهة نظر قانونية. وهنا سندع هذه الناحية من الكتاب جانباً كونها تخرج عن إطار موضوعنا، وسنتوقف عند وجهات النظر التاريخية التي أظهرها في الكتاب. خلافاً للعديد من الفارسيين الذين اعتمدوا في كتاباتهم على المراجع الأوربية، لجأ آدميات إلى المراجع الأولى ودرس الأوراق والوثائق الرسمية الإنكليزية والفارسية المخزونة في أرشيف كلتا الدولتين. وقد مكنه ذلك من التعمق في دراسة مسألة التدخل الأوربي في شؤون الخليج العربي.

وعلى الرغم من أن آدميات لم ينتقد مزاعم الإنكليز بأن هجوم قراصنة الخليج العربي على السفن الإنكليزية هو ما "أجبر البريطانيين على القيام بما قاموا به من أعمال"، وخلط بين الحجج والأسباب في بعض الأفعال الإنكليزية والسياسية عموماً، إلا أنه سار أبعد من مواطنيه بكثير في فضح السياسة البريطانية في الخليج العربي بوصفها سياسة عدوانية استعمارية. فمثلاً وصف ظهور الأسطول الإنكليزي في الخليج العربي على أنه تدخل، ووصف مرابطته في مياه الخليج العربي عام ١٨١٩ بالاحتلال.

وأشار في كتابه بشكل خاص إلى تدخل الموظفين البريطانيين في الشؤون الداخلية للمشيخات، وإلى أساليب الرشوة التي استخدموها لإخضاع الشيوخ. كما أعطى تقييماً واعياً أيضاً إلى المعاهدات التي جرى توقيعها بين الإنكليز والشيوخ. واستطاع آدميات أن يدرك أن تكوين المشيخات "كوحدات سياسية مستقلة" في

---

١. Esmaili M. Le Golfe Persique et les îles de Bahrein. P., ١٩٣٦.(p.١٦٠-١٦١).

العشرينات من القرن التاسع عشر، أخفى قيام بريطانيا بفرض حمايتها على هذه المشيخات وفقاً للسياسة القديمة "فرق تسد"[١]. والواقع أن هذه الأمور كان لها الأثر في إبراز كتاب آدميات بين كتب المؤلفين الإيرانيين الأخرى التي تتحدث عن الخليج العربي.

وصدرت أيضاً كتب جديدة تتحدث عن اعتراضات الحكومة الفارسية على التصرفات القديمة للإنكليز في أرخبيل البحرين عام ١٩٥٧. وقد سلطت هذه الكتب الضوء على أوضاع هذه الجزر، وتاريخها، واقتصادها. ومن هذه الكتب كتاب للدكتور غلام رضى تاج باخش (.Tadjbakhche G. R) أصدره في باريس باللغة الفرنسية، تحدث فيه عن الناحية القانونية لهذه القضية.

والواقع أن هذا الكتاب لا يتضمن معطيات جديدة من أجل عملنا الحالي؛ لأن المؤلف اتبع من الناحية التاريخية نهج أسلافه، حيث أعطى هذا الاستعراض، كما يبدو، دوراً ثانوياً.(ومما يؤكد على هذا الرأي بصورة مباشرة تسمية أحد الأبواب" مشهد من التسلسل التاريخي"). غير أن ما يتسم بأهمية ملموسة في استنتاجات المؤلف قوله إنّ الاستقلال قد فرض على شيخ البحرين "بوساطة يد مسلحة."[٢].

ومن أجل كتابة عمل مماثل حول هذا الموضوع استخدم المهندس العسكري "جيهانكير قائممقامي" وثائق وزارتي خارجية فارس وفرنسا، ما مكنه من عرض نظرة جديدة حول قضية البحرين. وأشار الكاتب إلى أنه كرس عمله للمرحلة الممتدة من

---

١ Adamiyat F. Bahrain Islands. A legal and Diplomatic Study of the British-Iranian Controversy. N. Y., ١٩٥٥

٢.Tadjbakhche G. R. La question des îles Bahrein. P., ١٩٦٠ (Publication de “La Revue générale de Droît International Public”, sér. No١ (p.٢٤٢).

عام ١٨٠٥ إلى عام ١٨٩٥، لأن الأحداث التي شهدها الخليج العربي في القرن التاسع عشر لم تدرج ضمن مؤلفات من سبقه بقدر كاف.

تكمن قيمة كتاب قائممقامي في إظهار الأساليب المميزة التي اتبعها الإنكليز على مدى نصف قرن، واستطاعوا التحكم من خلالها بمصائر شعوب الخليج العربي. ومن مثل هذه الأساليب، حسب قول المؤلف، إنشاء القنصليات، والوكالات [المحطات] التجارية، وإثارة الضجة حول القرصنة وتجارة الرقيق، والمطالبة بمراقبة الملاحة، وقيام الأسطول الإنكليزي بتنفيذ أعمال بوليسية في الخليج، واستثارة النزاعات بين الشيوخ. "والأخطر من هذا وذاك تقسيم ساحل الخليج إلى مشيخات مستقلة موجودة "تحت الحماية المباشرة" للحكومة البريطانية" [1].

يلاحظ أن المؤلفين الإيرانيين أعاروا أرخبيل البحرين أهمية خاصة في أعمالهم التي تتحدث عن جزر الخليج العربي. كما توجد مؤلفات استعراضية عامة، ومراجع مكرسة لجزر أخرى مثل جزيرة خرج[2]. وهناك العديد من الكتب التي تتحدث عن موانئ الخليج العربي تعرض المسائل المختلفة ابتداءً من التحف الأثرية، وانتهاءً بصيد الأسماك. لكن ما يهمنا في بحثنا هو كل ما يتعلق بالجانب التاريخي. كالقول مثلاً إنه "قام موظف كبير يهتم بمسائل تاريخ الخليج العربي وجغرافيته، واقتصاده وهو "محمد علي سديد السلطانة كبابي"(١٨٧٤- ١٩٤٧) بجمع معلومات عن مدينة بندر عباس التي أمضى فيها سنواته الأخيرة للاستعانة بمراجع لمؤلفين شرقيين وأوربيين[3].

---

[1] ج. قائممقامي " بحرين ومسائلي خليجي فارس "، طهران، ١٣٤١/١٩٦٢ (باللغة الفارسية).

[2] جزيرة خارك، طهران، ١٣٣٩/١٩٦(باللغة الفارسية).

[3] كما شغل هذا المنصب الرسمي الهام والد سديد السلطانة كبابي (١٨٣٥-١٨٩٨) والذي بوساطته جرت الاتصالات بين حكومة الشاه وشيوخ الخليج العربي. تحتفظ وزارة خارجية فارس بالرسائل والتقارير والمراسلات حول الأوضاع السياسية والاقتصادية في الخليج العربي، وأوراق أخرى لأحمد خان. أنظر:

لقد تم نشر هذه المعلومات في مجلدين في عام ١٩٦٣ من قبل "أحمد اقتداري". ولكن مع الأسف لم تكن المعلومات في الإصدار مصنفة إقليمياً، أو زمنيـــاً، أو حـــتى موضوعيًّا. الأمر الذي يحول دون إعطاء الكم الكبير من المعلومات حق قدره، ويزيـــد من صعوبة تناول هذا العمل الكبير والمهم. وفيما يخص دائرة المراجع التي اســـتخدمها جامع المعلومات من ناحية موضوعنا المختار فهي معروفة لدينا.

وبسبب الاهتمام الكبير بقضايا الخليج العربي أخذت أعداد الكتب المخصـــصة للشباب المعاصر، وكذلك المراجع، ووصف رحلات السنوات الأخيرة، وخطط إعادة إنشاء الموانئ وغير ذلك تتزايد وتتنوع. في عام ١٩٦٣ دارت حلقة مناقـــشة حـــول قضايا الخليج العربي، اجتمع فيها عدد من العلماء الإيرانيين. وكانـــت نتيجـــة هـــذه المناقشة إصدار مجموعة من المقالات عن الخليج العربي تقع في مجلدين، وتضم ٢٤ مقالة خاصة بجغرافيا هذه المنطقة وتاريخها، واقتصادها.

وهناك مقالة استعراضية للدكتور علي أكبر بيناي كرسها للحديث عن ٢٥٠٠ سنة من تاريخ الخليج العربي. غير أن المؤلف أعطى الاهتمام الأكبر إلى مسألة توســـع الدول البحرية الأوربية في هذه المنطقة. وهو يعتمد على الآراء الـــواردة في المراجـــع الإنكليزية، التي تظهر بصدق الوضع الحقيقي، وتشير إلى أن شيوخ الخليج العربي غالباً ما كانوا منفذين لسياسة بريطانيا[1].

وتتضمن المقالة: "بضع كلمات عن التاريخ السياسي للخليج العربي"، للدكتور عزيزي، حقائق شيقة، وأسماء جديدة لم تصل إلى أسماعنا، وهي مأخوذة على ما يبـــدو

سديد السلطانة م. أ.– بندر عباس وخليج فارس، طهران، ١٩٦٣/١٣٤٢(باللغة الفارســـية)، ص ١٠. يـــذكر خوجستا أن مؤلِّف "مفتاح الأدب" الأصلي مكتوب بقلم سديد السلطانة. خوجستا، المرجع السابق، ص ٤٠

[1]. خليج فارس، مجلدان، طهران ١٣٤٢/ ١٩٦٣ (باللغة الفارسية)، (المجلد الأول، ص ٢٢٣).

من مراجع لم نصل إليها. وتكمن السلبية الرئيسة في هذه المقالة في غياب نقد المؤلف للنظريات التي تسوغ سياسة الإنكليز الاستعمارية. وظهر كاتب المقالة موضوعيًّا أكثر في تقييم التوسع الاستعماري الهولندي والبرتغالي، وأشار بشكل سريع إلى حقيقة أن الأساليب التي مارسها المستعمر، كقمع انتفاضات السكان المحليين وثوراتهم، وممارسه السلب والنهب، وحتى المطالبة برخص تجارية، وقيام أسطوله بأعمال بوليسية، كانت من الأساليب التي ورثها عنه الإنكليز، الذين يراهم عزيزي " قنوعين ومتساهلين"[١].

ومع الأسف لم تعطِ نتائج حلقة البحث عموماً ما يبعث على التفاؤل بأن العلماء الإيرانيين سيقدمون على خطوة ملموسة في السنوات المقبلة فيما يخص دراسة مسألة الاستعمار الإنكليزي.

لقد صدرت في إيران مؤلفات عامة تتناول بشكل أو بآخر قضية التوسع الأوربي في منطقة الخليج العربي. وفيما يخص العلاقات الإنكليزية الفارسية مثلاً أورد بعض المؤلفين وقائع للعدوان الإنكليزي على الخليج، وفضحوا زيف مزاعم الإنكليز حول التوغل السلمي في هذه المنطقة. والواقع أن مثل هؤلاء المؤلفين لا يصوغون دائماً وجهات نظرهم العادلة بدقة.

يعد كتاب "تاريخ العلاقات السياسية بين فارس وإنكلترا في القرن التاسع عشر" لمحمود محمود من الأعمال الشاملة للمؤلفين الإيرانيين[٢]. وقد لجأ هذا الأخير في عمله إلى مراجع ومصادر إنكليزية دون إيراد نقد كاف لها. وعند تتبعه لمفاهيم

---

١ خليج فارس، المرجع السابق(ص ١٩ – ٢٠).

٢ محمود محمود. "تاريخي روابطي سياسية إيران وإنكليز دار هارن نوزداخوم ي ميلادي " مج ١-٣. – طهران، ١٣٢٨– ١٣٢٩/١٩٤٩– ١٩٥٠.(ويوجد إصدار جديد يقع في ٨ مجلدات. طهران، ١٩٥٠–١٩٥٧)،(باللغة الفارسية).

توسع الإنكليز، واقتصاره على دراسة المادة المزورة "الكتب الزرقاء"، أغفل محمود وقائع مهمة تصف حقيقة السياسة البريطانية في فارس. وعلى الرغم من أنه عمل على فضح هذه السياسة كسياسة استعمارية، إلا أنه كان كثيراً ما يقع أسير الدعاية الإنكليزية. فعند حديثه عن السياسة الإنكليزية في فارس في أوائل القرن التاسع عشر اعتمد الرواية الإنكليزية المزعومة "الدفاع عن الهند"، لدواع أمنية. وهو يرى أن حملة مالكولم عام ١٨٠٠ كانت لمصلحة دفاعية.

ومحمود محمود لم يشر إلى اقتحام القوات الإنكليزية للخليج العربي عام ١٨٠٨ بقيادة مالكولم. ومن الواضح تماماً أنه أغفل قصة العلاقات الإنكليزية الفارسية. وكانت المراجع التي استخدمها إما أنها أغفلت واقع الاحتلال الإنكليزي، وإما أنها أسمت هذا الاحتلال "بالمهمة الدبلوماسية". صحيح أن محمود محمود ذكر في كتابه أن الإنكليز سعوا في أواخر القرن التاسع عشر إلى استعباد فارس، وتحويلها إلى مستعمرة لهم كما فعلوا بالهند، إلا أن هذا الرأي الصائب لم يتم دعمه بمادة واقعية مقنعة، مما قلل من أهميته.

لقد أوضح محمود محمود العلاقات الإنكليزية – الفارسية بصدد قضية هرات بإيراد متتابع لوثائق كثيرة مأخوذة من "الكتب الزرقاء"، التي أدخل عليها القليل جداً من التعليقات النقدية. وغالباً ما يلجأ المؤلف إلى إيراد مقتطفات من كتاب "كَي" (Kaye): "تاريخ الحرب الأفغانية".

وعلى غرار الإنكليز كان محمود يؤكد على أن ما دفع القوات البريطانية لاحتلال جزيرة "خرج" من ١٨٣٩ حتى قيام الشاه بحملته على هرات سنة ١٩٤٢م. وهذا ما جعل احتلال بريطانيا لهذه الجزيرة يتسم بطابع دفاعي. وفي الوقت نفسه يسلط محمود محمود على استعدادات الإنكليز للحرب الإنكليزية – الفارسية.

وينصف فعلاً عندما يصف أعمال الوكلاء البريطانيين في هرات ومسقط بالأعمال الاستفزازية.

على الرغم من وجود بعض النواقص في عمل محمود محمود إلا أن هذا العمل يعد محاولة جيدة من باحث إيراني، أقدم على تسليط الضوء على مسألة تعد من أهم المسائل الحساسة بالنسبة لإيران، هي مسألة التوسع الاستعماري الإنكليزي. وقد أشار المؤلف في كتابه إلى عدد من حالات التوسع التي ظهرت بصورة واضحة تماماً كما في عام ١٨٢٤ و ١٨٥٦-١٨٥٧. وأعار اهتماماً كبيراً للتوسع الإنكليزي في القرن التاسع عشر، وعد ذلك سعياً من إنكلترا لتحويل فارس إلى مستعمرة إنكليزية. وبذلك أدرك محمود محمود أهداف السياسة الإنكليزية في فارس بصورة صحيحة.

وهناك كتاب "علاقات فارس مع أوربا الغربية في عهد الصفويين" بقلم ك. بياني (Bayani K.) صدر في باريس باللغة الفرنسية في عام ١٩٣٧[١]. وقد قسم هذه العمل على قسمين غير متساويي الحجم. يقع القسم الأول في ٥٠ صفحة فقط. وهو مكرس للأحداث في عهد الحكام الصفويين. وهنا يورد هذا العالم وجهة نظره حول الوضع في فارس وأوربا في القرن السابع عشر.

ويعرض بصورة موضوعية تاريخ التوسع الأوربي، لكنه ينحدر لدى عرض القضايا الاجتماعية إلى مواقع المثالية، ويضخم دور الفرد في التاريخ. أما القسم الثاني من الكتاب فيتضمن معلومات حقيقية كثيرة مستمدة من مراجع عديدة. كما يتحدث عن تاريخ علاقات فارس مع بلدان أوربا. وفيه يعرض بياني معلومات مختصرة، لكنها قيمة عن الرحالة الذين زاروا هذه البلاد في أواخر القرن السابع عشر.

---

١. **Bayani k. Les relations de l' Iran avec l'Europe occidentale à l'époque safavide. P., ١٩٣٧.**

ويرى المؤلف حقيقة أن القوات الفارسية شكلت القوة الحاسمة في قضية الاستيلاء على هرمز عام ١٦٢٢، التي كانت تعد القاعدة الأساسية للبرتغال في الخليج العربي. وتعد المعلومات قيمة جداً تلك التي تتعلق بالتزاع بين فارس وهولندا عام ١٦٤٥، حيث تمكن الهولنديون من الاستيلاء على جزيرة قشم بعد أن مارسوا الضغوط على فارس وأجبروها على التوقيع على معاهدة تجارية تعود عليهم بالفائدة.

ألحق بياني بعمله قائمة ببليوجرافية تضم أكثر من ١٥٠ مرجع. والجدير بالذكر أنّ بعض المراجع التي صعب علينا الوصول إليها كانت تحت تصرفه، مثل وثائق الأرشيف البريطاني والفرنسي، وكذلك مخطوطات باللغتين الفارسية والعثمانية. ومن هذه المخطوطات نذكر على سبيل المثال مخطوطة القادري "جانغ نامه قشم". وقد تسنى لبياني التعرف على عدد كبير من المراجع العلمية باللغات الشرقية والأوربية تم نشرها قبل أن يتم نشر كتابه بعدة سنوات.

يضم عمل بياني معلومات حقيقية قيمة عن تاريخ علاقات فارس الخارجية في القرنين السادس عشر والسابع عشر. وهذه المعلومات تعد من الأهمية بمكان بالنسبة لبحثنا، حيث نتحدث عن المراحل المبكرة للتوسع الأوربي في منطقة الخليج العربي.

وهناك عمل باللغة الفارسية "لنصر الله فلسفي" بعنوان " سياساتي خارجية إيران دار دورهي صفويه" – [علاقات فارس مع أوربا في عهد الصفويين][1] الشبيه بعنوان كتاب بياني، والذي يمت إليه بصلة. وما يهمنا من كتاب الاثنين واحد، وهو القسم الذي يحتوي على السفارات في بلاط الصفويين، ويصف الاستيلاء على هرمز عام ١٦٢٢. والواقع أن الاقتباس المتكرر كثيراً من كتاب ويلسون عن الخليج العربي قلل من قيمة هذا العمل، عدا عن أن المؤلف لم يكن يشير دائماً إلى مصادر الاقتباس.

---

[1]. ن. فلسفي، " سياساتي خارجيي إيران دار دورهي صفويه"، طهران، ١٣٤٢/ ١٩٦٣ (باللغة الفارسية).

وهناك كتاب يقع في مجلدين بقلم "نجف قولي معزي" يستحق الاهتمام على الرغم من أن المؤلف تحدث بإسهاب في الأجزاء التي تمت بصلة إلى العلاقات الخارجية عن أسماء أشخاص غادروا فارس إلى أوربا، وآخرين قدموا من أوربا إلى فارس دون أن يذكر أسباب المغادرة أو القدوم [١]. يسرد "معزي" في كتابه، إلى جانب عرضه لأحداث عامة ومعروفة، وقائع شيقة، كهجوم باشا بغداد على محمرة عام ١٨٣٧، والاضطرابات التي شهدتها خراسان على مدى النصف الأول من القرن التاسع عشر، وغير ذلك. إلا أن المؤلف لم يتوقف، مع الأسف عند دسائس الإنكليز في فارس. ويعود قصر النظر السياسي للكاتب إلى ضيق أفقه البرجوازي، عدا عن كونه اعتمد في عمله على كتب لمؤلفين إنكليز.

في حين أن كتاب "آدميات" آنف الذكر مثلاً مكرس لتحليل نشاط "أمير نظام"، رئيس مجلس وزراء فارس في أواسط القرن التاسع عشر[٢]. فعلى الرغم من أن هذا المؤلف تطرق بإيجاز إلى مسألة التوسع الإنكليزي في فارس، وابتعد عن الإسهاب في الكلام عن الأحداث التي جرت في منطقة الخليج العربي في أواسط ذلك القرن، كما فعل الكثيرون، إلا أنه تناول قضايا تفسر سياسة الإنكليز في فارس، وتفضح دسائس الاستعمار البريطاني في هذه المنطقة بشكل أوسع وأشمل مما تناوله مواطنوه، الذين صبوا اهتمامهم بصورة خاصة على تاريخ العلاقات الإنكليزية الفارسية.

وفي الحقيقة ذكر آدميات في كتاباته عام ١٩٤٩ أن الإنكليز سعوا بشتى السبل للسيطرة على الخليج العربي. وقال في هذا الخصوص: "... تحرك الإنكليز بالتدريج لتحقيق هذا الهدف، وتقدموا إلى الأمام خطوة تلو الأخرى. وفي كل مرة كانوا

---

١. ن. معزي، " تاريخي ي روابط سياسية إيران ودنيا أز خاخامانيش تو به حوالات أخير"- [تاريخ الروابط السياسية لفارس والعالم]، مجلدان، طهران ١٣٢٤-١٣٢٦ / ١٩٤٥- ١٩٤٧. (باللغة الفارسية).

٢. ف. آدميات، الأمير الكبير وإيران، مجلدان، طهران، ١٩٤٩ (باللغة الفارسية).

يطالبون بتقديم تنازل تلو الآخر". كما أشار آدميات بشكل صائب إلى تلك المراحل التي قطعها الإنكليز من أجل فرض سيطرتهم: "في البداية مكافحة ما أسموه "القرصنة"، ومن ثم مكافحة تجارة الرقيق، ثم استخدام ذلك حجة للقيام بأعمال حربية، سواء في البحر أو على الساحل. وفي نهاية الأمر فرضوا سيطرتهم المباشرة على الخليج العربي كله، مستفيدين من عدم وجود أسطول لدى فارس"[١].

عندما نتحدث عن كتب "بياندور، ومقتدر، وبوشهري، ومحمود، وفلسفي" وغيرهم نعمل على أن نبين أن المؤلفين الإيرانيين الذين انقادوا إلى دعاة الاستعمار الإنكليزي، ولم ينتقدوهم، كانوا تحت تأثير الدعاية الإنكليزية.

وقصر النظر هذا يظهر لدى تناول كتاب لمهدي مجتهدي: العلاقات الفارسية الإنكليزية مثلاً، الذي يتألف من عشرة أبواب بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة والملاحق. ذكر المدة التي تتطابق تاريخياً مع موضوع بحثنا الحالي في الأبواب الأولى فقط من كتابه. وبصدد العلاقات الإنكليزية الفارسية يقول مجتهدي بلا مواربة:"علينا السعي لكسب عطف جارنا بشتى السبل، وإذا ما قاموا (الإنكليز) بخطوة واحدة باتجاهنا فعلينا أن نقوم بمائة خطوة لملاقاتهم"[٢].

---

١ تقرير العميل الإنكليزي في شيراز إلى هينل المؤرخ في ٧ إبريل ١٨٣٩،مج ١، ص ٤٠٦ ؛ Correspondence Respecting Relations with Persia. Vol. ١-٢. L., ١٨٤١-] ١٨٥٧، [المجلد ١، ص ١٤]. حسب تقرير "دوغاميل نيسيلرود" المؤرخ في ١ إبريل، كان عدد قوات الدعم ١٥٠٠ جندي، ويذكر "بلارامبرج" أيضاً أنه كان هناك عناصر مدفعية لثلاثين مدفعاً (أرشيف – مرجع سابق، الورقة ١٥).

٢ م. مجتهدي، فارس والإنكليز، طهران، ١٩٤٧/١٣٢٦ (باللغة الفارسية)، ص ٦.

وعندما كان مجتهدي يقر بواقع أن إنكلترا لم تحول بعد فارس إلى مستعمرة لها كالهند، والكثير غيرها، أبدى الابتهاج البالغ بصدد ميل الإنكليز إلى "حب السلام"، ودعا فارس للتوجه طواعية لطلب "حماية الإنكليز".

كرر مجتهدي في كتابه الخيالات والادعاءات الباطلة للمتلاعبين بالسياسة الإنكليز حول "الخطر الروسي" على فارس، ومطامع روسيا في الخليج في أوائل القرن التاسع عشر. ومعلوم أن الإنكليز كانوا يحاولون بمثل هذه المناورة الخداعية صرف انتباه كل من فارس والمجتمع الدولي عن المكائد التي يدبرونها في هذه المنطقة. في حرصه على الدفاع عن الأعمال الدامية التي كان يقترفها المستعمرون الإنكليز وقف مجتهدي علناً في مواجهة معظم المؤلفين الإيرانيين.

وفي حديثه عن أحداث أوائل القرن التاسع عشر غض الطرف عن مسألة التوسع الإنكليزي في الخليج العربي عام ١٨٠٩، ١٨١٨- ١٨٢٠، حتى إنه لم يشر إلى احتلال الإنكليز لجزيرة خرج (١٨٣٨- ١٨٤٢)، وعرض الموقف كاملاً بصورة تجعل القارئ يسلم بشرعية أعمال الإنكليز. حتى إنه صور هجوم القوات الإنكليزية على فارس عام ١٨٥٦ على أنه "عمل شرعي تقوم به إنكلترا". وبهذا الشكل أظهر مجتهدي نفسه في كتابه على أنه مدافع غيور عن سياسة الإنكليز الاستعمارية.

بالطبع إن ما ورد ذكره من كتب لم يستنفد مؤلفات الإيرانيين المكرسة لتسليط الضوء على قضايا الخليج العربي. وإنه لمن المستحيل تناول كل ما كتب في المنطقة عن هذا الموضوع ضمن إطار مقدمة حتى ولو كانت فصلاً في كتاب. إلا أنه يمكن أخذ هذه الكتب كنموذج واضح للأبحاث الأساسية التي يختارها المؤرخون الإيرانيون. ونأمل في أن تأتي الأبحاث القادمة في إيران، المأخوذة من مصادرها الأولية، والتي تلخص بنظرة فاحصة وناقدة قضايا الاستعمار البريطاني بثمارها في المستقبل القريب.

أدى تزايد الوعي القومي لدى الشعوب التي تقطن بلـــدان الـــساحل الجنـــوبي والجنوبي الغربي للخليج العربي إلى جعل مواطني هذه البلدان يـــساهمون بقـــسطهم في دراسة قضايا المنطقة. ويأتي في مقدمة هؤلاء الباحثون المثقفون الكويتيون والعراقيون. غير أن أكثر أعمال الكويتيين لا تزال حتى الآن تمتاز بطابع استعراضـــي؛ إذ يركـــز هؤلاء جهودهم في أكثر الأعمال على القضايا السياسية والاقتصادية في أواسط القرن العشرين، في حين يركز العراقيون اهتمامهم على القرن الثامن عشر– مرحلة المنافسة الإنكليزية الهولندية في مياه الخليج.

ويوجد في جامعة البصرة مركز دراسات قضايا الخليج العربي، تأسس في عـــام ١٩٧٤، مما يعكس الاهتمام الشديد بقضايا المنطقة. ومن مهام هذا المركز أيضاً دراسة تاريخ الحضارات في هذه المنطقة، والثقافة الأصـــيلة لـــشعوبها (الأدب والفولكلـــور والموسيقا). وهذا المركز يقوم باستمرار بجمع المواد عن الخليج العربي، ويصدر مجلـــة ومراجع ببليوجرافية خاصة، وينشر المقالات (بما فيها المترجمة من اللغات الأوروبيـــة إلى العربية)، ويعقد المؤتمرات.

ظهر في الأعوام العشرة الأخيرة من بين الدارسين لقضايا الخليج العربي باحثون هنود، يرون أن هذه القضايا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بسياسة بريطانيـــا الاســـتعمارية في الهند. غير أن خطوات هؤلاء الباحثين في هذا الطريق لم تكن ثابتة بما فيه الكفاية. فهم عادة يسيرون في ركاب المؤلفين الإنكليز.

فكتاب "الهند والخليج العربي" مثلاً للمؤلف ر. كومـــار (**Kumar R.**)، الذي يتحدث بشكل أساسي عن النصف الثاني من القرن التاسع عـــشر يجعـــل القارئ يتصور موقفه مهادناً. وهو يعطي لشعوب منطقة الخليج العربي دوراً سلبياً في حين يبحث حاجات وطموحات الغزاة البرتغاليين، وبالأخص الإنكليز. فهـــو

يفسر الرحلة الخاصة، التي قام بها نائب ملك الهند البرتغالي إلى الخليج العربي، بأن السيادة على الخليج العربي ضرورة ملحة بالنسبة للدولة البحرية التي تسيطر على الهند[١].

ويعرض كومار مراحل تغلغل الإنكليز في مجالات الحياة المتعـددة في منطقـة الخليج العربي بالاعتماد أساساً على كتب مالكولم وكي وزلينسن وسايكس وغيرهـم من منظري سياسة الاستعمار البريطاني ومنفذيها. إلا أنـه يـورد في عملـه أحيانـاً ملاحظات ساخرة موجهة لهذا الشخص الإنكليزي أو ذاك، أو يفرض نفسه لاستنتاج ما لم يكن المؤلفون الإنكليز يفضلون استخلاصه.

وخلافاً لهؤلاء يثمن كومار عالياً بعثة الميرزا مهدي علي خـان إلى طهـران في الأعوام الأخيرة من القرن الثامن عشر، كما يشير إلى غطرسـة مـالكولم وعجرفتـه وتجاوزه لصلاحياته.

ويدرك كومار، كما يتبين من كتاباته، عدم رغبة "فتح علي شـاه" بالتنـازل للإنكليز عن جزر في الخليج العرب "مادام الفرس يرون أمام أعينـهم الهنـد مثـالاً" حسب تعبيره. يسمي كومار في كتابه ظهور الأسطول الإنكليزي في ميـاه الخلـيج العربي عام ١٨٠٩ وعامي ١٨١٩-١٨٢٠ بـالحملات العـسكرية الـتي كانـت تستهدف "وضع حد لسلطة" القبائل العربية على الساحل العماني[٢].

١. Kumar H. R. India and the Persian Gulf Region. ١٨٥٨-١٩٠٧. A Study in British Imperial Policy. L., ١٩٦٥.

٢. Kumar، المرجع السابق، ص ١٧.

ويرى أن المعاهدة العامة الموقعة في عام ١٨٢٠ بين المندوب البريطاني وشيوخ الخليج من العلامات التاريخية المهمة التي جعلت الإنكليز من نتيجتها يفرضون سيطرتهم الكاملة على الخليج العربي.

فيما يخص المراجع الروسية عن تاريخ منطقة الخليج العربي فهي قليلة العدد؛ ذلك أن الباحثين الروس لم يتطرقوا إلى موضوع التوسع الأوربي في هذه المنطقة إلا على تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين. حتى إنّ تناولهم لهذا الموضوع في المدة المذكورة لم يكن في أعمال أبحاث خاصة، إنما كان ذلك في كتب المذكرات المكرسة لفارس عموماً. نذكر منها كتباً للمؤرخين: "ي. إيلينكو"[١]، و"ميسل روستيم"[٢]، و"ي. ستريلبيتسكي[٣]" وغيرهم.

ونجد بعض الملاحظات تتعلق بموضوع بحثنا في دراسات اقتصادية – إحصائية عن فارس في مؤلفات للباحثين: م. ل. تومارە"[٤]، و "ب. أ. ريتيخ"[٥]، و" د. كافتيريوف"[٦].

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

١ ي. إيلينكو. دراسات حول فارس، سانت بطرسبورغ، ١٩٠٢.(باللغة الروسية).

٢ ميسل روستيم. فارس في عهد ناصر الدين شاه من ١٨٨٢ حتى ١٨٨٨. ومقتطفات في قصص، سانت بطرسبورغ، ١٨٩٧. (باللغة الروسية).

٣. ي. ستريلبيتسكي. مقالة أولية مختصرة حول رحلة إلى فارس، بطرسبورغ، ١٨٩٢.(باللغة الروسية).

٤. م. ل. "تومارا" الوضع الاقتصادي في فارس. تقرير موظف حول مهمات خاصة من إدارة التجارة ومصانع النسيج، سانت بطرسبورغ ١٨٩٥. (باللغة الروسية).

٥. ا. ب. "ريتيخ". مقالة سياسية – إحصائية عن فارس، سانت بطرسبورغ، ١٨٩٦. (باللغة الروسية).

٦. د. "كفتيريف". معلومات تاريخية و جغرافية و إحصائية عن فارس، سانت بطرسبورغ، ١٨٢٩. (باللغة الروسية).

وهناك عمل خاص بتاريخ منطقة الخليج العربي بقلم " س. سـيروميانتيكوف"، يحمل العنوان مقالات حول الخليج العربي. وهو مقدمة لبحث كبير للمؤلف. إلا أنـه مع الأسف، لم يصدر بعد.

ولكن جدير بالذكر أنه، على الرغم من الإيجاز في المقالات، يبين السرد الواضح فيها للمراحل المبكرة للتوسع الأوربي في الخليج العربي أن المؤلف سلط الضوء بصورة صحيحة على بعض المسائل المرتبطة بالتوسع الاستعماري في هذه المنطقـة[1]. تطـرق المستشرقون السوفييت إلى موضوع بحثنا بصورة عامة أو بـشيء مـن التفـصيل في أعمالهم التي تناولوا فيها قضايا تاريخية ملموسة تمت بصلة إلى منطقة الخلـيج العـربي بشكل أو بآخر.

ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال: "ب. ب. بوشيف" الذي بحث زمنياً حقبـة تاريخية ليست طويلة، لكنها حساسة ومهمة بمكان، وهي زمن الحرب الإنكليزيـة – الفارسية ١٨٥٦–١٨٥٧[2]، و" ج. أحمدجانوف، الذي بحث في قضية هـرات[3]، و"م. أ. إيغامبيرديف"، الذي بحث في علاقات فارس الدولية في أوائل القرن التاسـع عشر[4] وغيرهم.

كان لرنين وقعة الأحداث التي شهدتها منطقة الخليج العـربي خـلال العقـود الأخيرة صدى محدداً في المؤلفات والمراجع السياسية الاقتصادية الروسية. ففي المدة من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٧٠ صدر عدد من الأعمال حول البحـرين، والكويـت،

---

[1]. ن. س." سيرومياتنكيوف". مقتطفات عن الخليج العربي، سانت بطرسبورغ، ١٩٠٧. (باللغة الروسية).

[2]. ب. ب." بوشيف". هرات و الحرب الأنجلو فارسية ١٨٥٦–١٨٥٧، موسكو، ١٩٥٩. (باللغة الروسية).

[3]. أ.ج." أحمد جانوف" – قضية هرات في القرن التاسع عشر، طشقند، ١٩٧١. (باللغة الروسية).

[4]. ا. م. "إيغامبيرديف". فارس في العلاقات الدولية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، سمرقنـد، ١٩٦١. (باللغة الروسية).

وإمارات الخليج العربي. وكان الهدف الرئيس من ذلك اطلاع القارئ على الوضع القائم في منطقة الخليج العربي. وجرى استعراض تاريخي لهذه الأعمال في عدد من الكتب[1].

ولعدم توافر الأبحاث التاريخية الروسية الخاصة عن السياسة الأوربية في الخليج العربي في المدة من القرن السادس عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر كان لا بد من أن تكون الأعمال العامة التي صدرت وتناولت هذه المدة مبسطة، بل كانت بسبب ذلك تفتقر إلى الدقة.

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

[1] . ل. ف. "بوديانسكي" – البحرين (من تاريخ بلدان الخليج العربي)، موسكو، ١٩٦٢(باللغة الروسية).

ل. ف." بوديانسكي" – البحرين الحديثة (دليل) موسكو، ١٩٧٦ (باللغة الروسية).

ل. ف." بوديانسكي" – الكويت الحديثة (دليل) موسكو، ١٩٧١ (باللغة الروسية).

ل. ف. "بوديانسكي", "أو. جبراسيموف","ل. ميدفيدكو" – إمارات الخليج العربي. موسكو، ١٩٧٠ (باللغة الروسية).

محمود محمود، مرجع سابق.

عبد الله يوسف يعقوب – الإمارات العربية المتحدة – تاريخ التطور السياسي. (القرن التاسع عشر حتى بداية السبعينات من القرن العشرين). موسكو، ١٩٧٨.

الفصل الثاني

توسع الدول الأوربية في الخليج العربي

من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر

جغرافية الخليج العربي:

يعد الخليج العربي و خليج عمان المنفصلان بعضهما عن بعض بشبه جزيرة "الجبال" البارزة بحراً داخلياً لحوض المحيط الهندي. ويمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. ويقع بين خطي عرض ٢٤° و ٣٠° شمالاً، وخطي طول ٤٨° و ٥٦,٥° شرقاً[١]. يبلغ طول الخليج على امتداد محور مضيق هرمز حتى شط العرب ١١٠٠ كم. وعرضه الأقصى في قسمه الشرقي، الذي تفصله عن قسمه الغربي شبه جزيرة قطر نحو ٤٠٠ كم، في حين يبلغ عرضه في القسم الغربي ١٨٠ كم. يبلغ عرض مضيق هرمز الذي يشكل مدخلاً إلى الخليج العربي ٨٥ كم.

يقع الخليج العربي في منخفض قاري. ينخفض عمق الخليج كلما اتجهنا من الشرق إلى الشمال الغربي. يتراوح عمقه في مضيق هرمز ما بين ٧٠ و ٨٠ متراً، في حين لا يتجاوز العمق عند مصب شط العرب ١٠ أمتار[٢]. تربة قاع الخليج في الركن الشمالي الغربي صلصالية ورسوبية، وعند سواحله الجنوبية صخرية ورملية. وتوجد في

---

[١].النقاط الحدودية للخليج العربي: في الشمال عند بندر شهبور، وفي الجنوب مقابل جزيرة ياسات، وفي الشرق عند رأس مسندم، وفي الغرب خور الكويت. أما فيما يتعلق بمساحة الخليج فيورد المؤرخون أرقاماً متباينة تتراوح ما بين ٢٣٧ و ٢٤٨ألف كم². للتعرف على الجغرافيا الطبيعية للخليج العربي انظر تقرير مسعود كيخان في حلقة بحث حول الخليج العربي المدرجة في خليج فارس، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ١٠ – ١٧.

[٢]. الأطلس البحري، موسكو ١٩٥٠(المجلد ١، رقم ٤١– ٤٢).

بعض الأماكن في القاع على الساحل الشمالي للخليج صخور بحرية، في حين توجد الشعاب المرجانية على الساحل الجنوبي، وتوجد المضاحل[1] المرجانية والكلسية عند جزر البحرين.

توجد في الخليج العربي أكثر من ٥٠ جزيرة. أكبر هذه الجزر جزيرة قشم، والمنامة (البحرين)، التي تدخل ضمن أرخبيل البحرين. تربة القسم الأكبر من هذه الجزر رملية وحجرية. ويوجد الكثير من الصخور التي تبرز فوق سطح الماء على بعد يتراوح ما بين ٥٠ و٩٠ كم عن الساحل. يوجد على الساحل الجنوبي الكثير من المضاحل والجزر الصغيرة المستوية[2]. والساحل الشمالي للخليج شديد الانحدار. وهو عبارة عن سلاسل جبال متوازية وشديدة الانحدار. تسيل منها بعض الأنهار الصغيرة نسبياً، وهي غير صالحة للملاحة. والمنطقة الواقعة بين الجبال والخليج المسماة (هرم سير) لا تشهد هطول الأمطار. وتعد واحدة من أكثر مناطق الكرة الأرضية حرارة[3].

توجد في الركن الشمالي الغربي للخليج سواحل منخفضة من صخور رسوبية، تشكلت من رواسب شط العرب. والساحل الجنوبي للخليج صحراء رملية تتخللها الواحات. والمناخ في الخليج العربي يصعب تحمله؛ لارتفاع درجة الحرارة فيه بشكل كبير جداً. تتراوح درجة الحرارة في زمن الرطوبة الصيفية ما بين ٣٥° و ٤٠°

---

[1] أماكن قليلة العمق.. المترجم.

[2]. للتعرف على جزر الخليج أنظر بوشهري، مرجع سابق؛ وتقرير "رازمار" في حلقة البحث المخصصة لمناقشة قضايا الخليج العربي، أنظر: خليج فارس، مرجع سابق (المجلد ١، ص ٥١– ٨٣)، وتقرير كيرشيمان في حلقة البحث نفسها، حول جزيرة خرج. خليج فارس، مرجع سابق (المجلد ٢، ص ١١٤– ١١٨).

[3]. للتعرف على هضاب فارس على الخليج العربي انظر (**Tadjbakhche G. R**)، مرجع سابق، مج ١، ص ١٦٤و ١٤٧ــ و كتاب آخر للمؤلف نفسه عن جزر البحرين، مرجع سابق.

درجة. وتكون الحرارة مصحوبة بالغبار عند هبوب أقل نسمة هواء[١]. أما في الشتاء فتنخفض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر. وبقدر ما تنخفض درجة الحرارة ترتفع نسبة الرطوبة. يبلغ متوسط درجة الحرارة السنوية في القسم الشمالي من الخليج + ٢٤° ، في حين تصل إلى + ٢٧° في القسم الجنوبي. وتكون مدة هطول الأمطار قصيرة. تتراوح كمية الأمطار التي تتساقط في السنة ما بين ١٢٧, ٧٣٧ ملم[٢].

يشكل الفرس والعرب السواد الأعظم من سكان ساحل الخليج وجزره. وإلى جانب هؤلاء يقطن أيضاً العثمانيون، والهنود، والبلوش، واليهود وغيرهم. كانت أكبر موانئ الخليج في المدة من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر تقع في الناحية الشمالية الغربية للخليج، وعلى ساحله الشمالي.

بعد البدء بإنتاج النفط في أواسط القرن العشرين بدأت تظهر المدن الجديدة في شبه الجزيرة العربية وعلى الساحل الجنوبي للخليج. وفي العقود الأخيرة من القرن العشرين وصل الانفجار الديموغرافي إلى منطقة الخليج العربي، حيث ارتفع عدد السكان فيه بشكل ملحوظ[٣].

اشتهر الخليج العربي منذ القديم باستخراج اللؤلؤ وتصديره إلى الأسواق العالمية. وقد ساعدت مضاحل اللؤلؤ الموجودة في أرخبيل البحرين على غناء المنطقة وازدهارها بكاملها في القرون الوسطى. وعلى الرغم من أن حرفة صيد اللؤلؤ لم تكن تتطلب أجهزة معقدة، إلا أنها كانت تعد من الحرف الصعبة والخطيرة جداً. ولهذا اقتصرت

---

١. كانت رياح الخليج الضارة في قديم الزمان سبباً في ظهور عبادة بعض أنواع الرياح.انظر كتاب لـ هـ. سعدي "صرعى الرياح" الذي يتحدث عن هذه العبادة.

٢ بياندور، مرجع سابق، ص ٦.

٣. Instructions nautiques. Le Golfe Persique et ses abords. P., ١٩٧٩

مزاولتها على الرجال الكبار. وكان اللؤلؤ حتى أواخر القرن التاسع عشر من أهم صادرات بلدان الخليج العربي.

وتعد مياه الخليج غنية بالأسماك. يزيد عدد أصناف السمك التي يتم اصطيادها عن الأربعين صنفاً. كان صيد السمك قبل قرون المهنة الأساسية للكثير من الأسر الساحلية، ووسيلة عيشها الوحيدة. وكثيراً ما كان السمك الذي يتم اصطياده يصل إلى الأسواق مجففاً. إلى جانب ذلك تعد التمور، التي يُنظر إلى المحلية منها، أنها من أجود أنواع التمور في العالم، مادة الصادرات الثالثة المهمة في الخليج العربي. والمناطق الغنية بالتمور هي المناطق الساحلية والواحات.

في القديم كان يصل إلى أسواق الخليج العربي من المناطق الداخلية بعض أنواع الحبوب، والفواكه، والحمضيات على وجه الخصوص.

ويعنى في الخليج العربي بتربية سلالات خاصة من الخيول، والبغال، والحمير. أما أصحاب الحرف فيقومون بتصنيع أقمشة الحرير الرائعة، والسجاد، وبعض أنواع السلاح الأبيض.

يتضح مما سبق أن أصناف البضائع الأساسية لم تكن كثيرة في منطقة الخليج في القرون الوسطى. ومع ذلك كان التبادل التجاري فيها كبيراً جداً؛ إذ لم يقتصر البيع في أسواق الخليج العربي: في البصرة، وقشم، وهرمز، ومسقط على البضائع الفارسية والعربية فقط، بل كانت تباع أيضاً المنتجات والبضائع التي ترد من أوربا، وأفريقيا، والشرق الأقصى.

فمن أوربا كان يرد الزجاج، والرصاص، والنحاس، والحديد، وجميع منتجات هذه المواد، وكذلك الأقمشة الصوفية والقطنية. ومن أفريقيا والهند والصين كان يرد

الحرير، والعطور، والتوابل، والعاج، وخشب الأبنوس، والجوز، والقطن، والأحجار الكريمة وغير ذلك.

ويعود الفضل في ازدهار منطقة الخليج العربي منذ بدء الملاحة البحرية لموقعه الجغرافي الملائم. فالسفن القادمة من الهند كانت تصل إلى خليج عمان بطريقة الملاحة الساحلية، ثم تدخل إلى الخليج وتتوغل لمسافة ٢٥٠٠كم في عمق القارة الآسيوية. وكان نقل البضائع يتم من مصب شط العرب إلى الحدود الشمالية للجزيرة العربية عن طريق نهر الفرات الصالح للملاحة. يبلغ طول الطريق البري الوحيد من الهند إلى أوربا ٢٠٠ كم، وهي المسافة التي تفصل نهر الفرات عن الساحل السوري للبحر الأبيض المتوسط. ومن الممكن أن تتقلص هذه المسافة أكثر من ذلك إذا ما تم نقل البضائع عن طريق نهر العاصي، الذي يصب في البحر الأبيض المتوسط.

من الصعب تحديد متى بدأت التجارة الدولية عبر الخليج العربي. ففي القديم كانت البضائع الهندية تصل إلى البحر الأبيض المتوسط عن طريق هذا الخليج. وقد ظهرت واشتهرت على هذا الطريق نينوى، وبابل، والمدائن. ثم ظهرت فيما بعد أنطاكية على نهر العاصي، ومن ثم تدمر. وفي زمن الخلافة العربية كانت الشهرة للبصرة، وبغداد، وديار بكر، وحلب. ولم تتوقف التجارة الدولية عبر الخليج العربي، حتى عندما كانت أوروبا غارقة في ظلام القرون الوسطى.

وبلغت التجارة ذروتها في الخليج العربي في المدة من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر. وقبل ظهور الأوربيين في مياه الخليج العربي كانت ممتلكات الشيوخ العرب المتفرقين على مدى قرون عديدة منتشرة على الساحل الصحراوي والساحل الجنوبي القاحل للخليج. وقل ما كانوا يتحدون تحت سلطة شيخ واحد. وإذا ما تم ذلك فلمدة قصيرة فقط.

وكان للعثمانيين الذين ملكوا الأراضي في المنطقة الممتدة من البصرة حتى بغداد مخرج يؤدي إلى الخليج العربي عند شط العرب. وفارس هي الدولة الكبيرة الوحيدة التي لها مخرج واسع إلى الخليج. تدخل الجزر والمناطق الساحلية في شمال الخليج العربي ضمن قوام الدول الإقطاعية، التي تشكلت على أراضي فارس. كان الساحل الشمالي مع الجزر المتاخمة له يشكل وحدة إدارية تدفع للسلطات المركزية الفارسية قسماً من دخلها الذي يعود عليها من التجارة، و كانت الحكومة تلزمها بإخراج فصائل مسلحة في حال نشوب حرب، وذلك في خلال السيطرة المغولية على الدولة الفارسية (من القرن الثالث عشر حتى القرن الرابع عشر) في إمبراطورية تيمورلنك والتيموريين قبيل ظهور الأوربيين في مياه الخليج العربي في القرن الخامس عشر.

لقد تسنى للحكام الفرس بسط سلطتهم ونفوذهم في بعض الأزمان حتى على جزر الساحل الجنوبي كأرخبيل البحرين مثلاً. لكن في أثناء النزاعات الداخلية وضعف السلطة المركزية كان شيوخ الخليج العربي يتحررون من فارس. وفي هذه الظروف كان من الطبيعي أن تتحول طرق الملاحة الساحلية باتجاه الساحل الشمالي.

تاريخ المراكز التجارية في الخليج في القرون الوسطى:

وفي القرون الوسطى كانت جميع المراكز التجارية الأساسية تقع في شمال الخليج. وكان تسلسل هذه المراكز: سيراف، وكيش [قشم]، وهرمز[1]. ظل مركز سيراف التجاري محافظاً على مكانته حتى منتصف القرن التاسع، عندما ضربه زلزال ودمره[2]. وفي المدة الممتدة من القرن العاشر حتى القرن الثالث عشر انتقل المركز

---

[1]. للتعرف على تاريخ المراكز التجارية في الخليج العربي في القرون الوسطى انظر: التقرير الخاص لعلي أكبر بينائي في خليج فارس، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٢١٠- ٢٢٥.

[2]. تم العثور على أطلال سيراف في منطقة ميناء طاهري.

التجاري إلى جزيرة كيش [قشم]. وفي نهاية هذه المدة بدأت المنافسة بين كيش [قشم] وهرمز وانتهت بفوز الأخيرة. ولم تكن هرمز في القرنين الرابع عشر والخامس عشر مركزاً تجارياً في الخليج العربي فحسب، وإنما كانت سوقاً أُطلق عليها عبارة "تجار السبعة أقاليم". وعرف غنى وثراء هرمز كل من الرحالة ماركوبولو (في القرن الثالث عشر)[١]، والتاجر الروسي أفانسي نيكيتين (في القرن الخامس عشر)[٢].

وينسب للبرتغاليين القول المأثور" إذا كان العالم خاتماً من ذهب فهرمز جوهرته النفيسة". في البداية كانت مدينة هرمز تقع على الساحل الشمالي لمضيق هرمز بالقرب من ميناء بندر عباس الحالي. وفي بداية القرن الخامس عشر أخذ سكانها يرحلون عنها، لأسباب غير معروفة إلى جزيرة قريبة، كانت تسمى آنذاك جيرون. وفيما بعد أخذت هذه الجزيرة اسم هرمز[٣].

ذكر الرحالة الذين ارتادوا هرمز في القرنين الثالث عشر والعشرين أن عدد المساكن الملائمة للسكن فيها قليل جداً، وأن المساكن الموجودة فيها صغيرة، وتقع في الضواحي على بعد ٢٠ كم، وأن تربة الجزيرة صخرية، ولا تتوافر فيها المياه العذبة. كما لا توجد فيها مزروعات، ومناخها حار جداً في معظم فصول السنة[٤].

يعود السبب الذي جعل من هرمز سوقاً تجارية رئيسة في الخليج العربي وملاذاً آمناً للتجار إلى موقعها الملائم على مدخل الخليج، ومناعتها.

---

[١]. انظر: بولو م، كتاب ماركو بولو، موسكو ١٩٥٥، ص٢١١،١٩٤،١٨٤،٦٥.

[٢]. انظر: نيكيتين (مرجع سابق)، ص ٦٤،٦٣،٥٥.

[٣]. يرى مارلو أن السبب في رحيل السكان يعود للغزو المغولي لفارس. انظر:
Marlow J. The Persian Gulf in XX Century. L., ١٩٦٢

[٤]. انظر: **Belgrave**، مرجع سابق، ص ٤.

تتضح أهمية هرمز في تجارة الهند والصين مع أوربا بشكل جلي من محاولات الأوربيين العديدة وضع أيديهم على الوساطة التجارية في منطقة الخليج العربي. ففي عام ١٣٠٦ كان لدى أبناء "جنوه" النية في بناء السفن في هرمز[١]. وفي بداية القرن السادس عشر كانت هرمز الهدف الرئيس لحملة القائد العسكري البرتغالي الفونسو د البوكيرك. ووجه وكلاء الشركات الإنكليزية أنظارهم إلى هرمز، وسعوا للاستحواذ على تجارة البرتغاليين في الخليج العربي، وقطع الطريق عليهم. وقبل أن يظهر الأوربيون هنا كانت التجارة عبر آسيا الصغرى والخليج العربي وخليج عمان مركزة بيد طبقة التجار المحليين: الفرس، والعثمانيين، والعرب، الذين كانوا يرسلون سفنهم إلى مسقط والهند وأفريقيا. وجنوا أرباحاً هائلة من الوساطة التجارية.

دخلت أوربا في القرن الخامس عشر مرحلة تكديس رأس المال الأولي. وحتى ذلك الحين ظهرت عبارة آنجلس "التجارة العالمية إلى حد ما"[٢]. و تبين أن الطرق التجارية القديمة كانت مقطوعة في بعض المناطق، في حين كانت في مناطق أخرى عاجزة عن تلبية الطلب المتزايد. أما طرق القوافل التي تمر من آسيا الصغرى ومنغوليا، فقد كانت مهملة نتيجة لانهيار إمبراطورية التيموريين. وفي البحر الأحمر كانت التجارة تحت سيطرة مصر، في حين كانت في الخليج العربي في أيدي التجار المحلين، كما ذكرنا سابقاً. وتبين أن العلاقات التجارية بين آسيا الصغرى وسورية، بعد سقوط القسطنطينية، أصبحت بيد العثمانيين.

كانت البندقية البلد الوحيدة من بين البلدان الأوربية التي حافظت على حصة المشاركة التجارية مع الشرق، وذلك بفضل التجار العثمانيين. وأدى انقطاع العلاقات

---

١. انظر: سيرمياتنيكوف، مرجع سابق، ص ١٣.

٢. انظر: آنجلس، مرجع سابق، ص ٤٠٧.

مع الشرق إلى حمل التجار الأوربيين على البحث عن طرق جديدة للوصول إلى الخليج بالالتفاف على العثمانيين. وكانت البرتغال أول الدول التي بدأت البحث عن هذه الطرق. وقد لعبت دوراً كبيراً في المراحل الأولى لعملية تكديس رأس المال الأولي، التي ارتبطت بالاكتشافات الجغرافية الكبيرة. كما كانت البرتغال البعيدة أكثر من غيرها من دول أوربا عن التجارة في منطقة البحر الأبيض المتوسط مهتمة باكتشاف طريق بحري إلى الشرق حول أفريقيا.

ومع تنامي التجارة وتشابك العلاقات المادية مع الحياة الاقتصادية للبلد ازداد سعي الطبقات الحاكمة للثراء. ففي بداية القرن الخامس عشر جهز البرتغاليون حملة عسكرية إلى سواحل أفريقيا. وبذلك كانت البرتغال أول دولة أوربية تبدأ الغزو الاستعماري. ففي عام ١٤١٥ بدأت توسعها الاستعماري بالاستيلاء على سبتة. وقام التجار البرتغاليون بنهب ساحل أفريقيا بنقل ذهبه وعاجه إلى الخارج. وأخذوا يتاجرون بالرقيق منذ عام١٤٤٢. وفي أواخر القرن الخامس عشر بدأ سعي إسبانيا للاحتلال الاستعماري، واهتمت أيضاً بالبحث عن طرق جديدة للوصول إلى الشرق.

أخذ البرتغاليون والإسبان يتنافسون فيما بينهم لاكتشاف أراض جديدة، والاستيلاء على أهم نقاط الاستناد في جميع أصقاع المعمورة[1]. ففي عام ١٤٨٦ وصل البرتغالي برتلميو دي دياز إلى رأس الرجاء الصالح. وفي عام ١٤٩٧-١٤٩٨ وصل إلى هناك ابن جلدته الملاح البرتغالي الأميرال فاسكو دي غاما. وكان أول أوربي

---

[1]. في عام ١٤٩٤ تم الاتفاق بين البرتغال وإسبانيا على تقسيم العالم. فكان نصف الكرة الأرضية الغربي من نصيب إسبانيا، والنصف الآخر الشرقي من نصيب البرتغال.

يدور حول القارة الأفريقية[1]. في بداية القرن السادس عشر استفاد البرتغاليون من اكتشاف فاسكو دي غاما، ووضعوا أيديهم على أهم الطرق التجارية في بحر العرب.

أدى الطريق البحري الجديد المتجه من أوربا إلى دول المشرق إلى تقويض تجارة مصر والدولة العثمانية والبندقية لدرجة كبيرة. كما أدى انخفاض أجرة نقل الحمولات حتى ٦٠% إلى توجيه ضربة إلى التجار المحليين في الخليج العربي[2]. وانتعشت العلاقات التجارية بين فارس وأوربا، وأصبحت أكثر انتظاماً منذ بداية القرن السادس عشر، بعد الضعف الذي أصابها إثر سقوط القسطنطينية.

تعد السنوات الأولى من القرن السادس عشر مرحلة من مراحل التطور التاريخي الجديد بالنسبة لفارس. فبعد مدة طويلة من النزاعات الداخلية، والتفتت الإقطاعي، توحدت الأقاليم الرئيسة في دولة واحدة لشيوخ أردبيل، الذين كونوا السلالة الصفوية. وكان الشاه إسماعيل (١٥٠٢-١٥٢٤)[3] أول شاه في هذه السلالة الملكية ينشغل مدة طويلة في فرض السلطة المركزية وترسيخها في دولته، في حين كانت الحرب الطويلة المستعرة مع الدولة العثمانية، التي تعد من أخطر الأعداء الخارجيين له، قد امتصت واستهلكت القوة الأساسية لمملكته الجديدة. ولم يكن هناك مجال عندئذ للاهتمام اللازم للوضع الناشئ في الجنوب.

---

1. ذكر المستشرق الروسي إغناطيوس كراتشكوفسكي في دراسة له عن تاريخ الأدب الجغرافي العربي أن فاسكو دي غاما ليس أول من عبر رأس الرجاء الصالح، فقد أوضح فرامورو(**Framuro**) في مصوره الجغرافي عام ١٤٥٧ أن ملاحاً عربياً قد أبحر عام ١٤٢٠م من المحيط الهندي حول القارة الأفريقية فظهر في المحيط الأطلنطي. انظر: محمد حميد السلمان، مرجع سابق، هامش ص ٣٩، نقلاً عن: إغناطيوس كراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين هاشم، تاريخ الأدب الجغرافي (بيروت، ١٩٨٧)، ص٦٠٨ .... المترجم

2. انظر **P. Miles S** مرجع سابق، المجلد ١، ص ١٤٠.

3. يذكر حسين مؤنس أن إسماعيل أعلن نفسه شاهاً لفارس في أكتوبر ١٤٩٢. انظر: حسين مؤنس – أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٤٤......المترجم

كانت منطقة الخليج العربي على مشارف القرنين الخامس عشر والسادس عشر تمثل تحالفاً قبلياً كبيراً يضم أراضي الساحل العربي من شبه جزيرة قطر وجزر أرخبيل البحرين حتى رأس الحد، وفي الشمال ساحل لورستان، وعدد من الجزر، من ضمنها جزيرتي قشم وهرمز. وكانت هرمز المركز الإداري والاقتصادي لهذا التحالف. وكان شيوخ بعض المناطق على ساحل الخليج العربي تحت سلطة حاكم هرمز. وعلى الرغم من أن هذا الأخير كان يجبي الأتاوى من المناطق التي تحت سلطته، إلا أنه كان بدوره يعد موال لشاه فارس ويدفع له الضريبة.

بدء الاستعمار البرتغالي للخليج:

كان الرحالة والتجار البرتغاليون أول من دخل إلى الخليج العربي، حتى قبل اكتشافه من قبل الملاح البرتغالي فاسكو دي غاما. ففي عام ١٤٨٧ مثلاً وصل إلى الخليج أعضاء بعثة كوفيلهاو، وعادوا إلى وطنهم من الهند عبر مضيق هرمز. وفي عام ١٥٠٣ زار هرمز "وارتيما" الذي ترك وصفاً لها. وفي التاريخ نفسه وصل إليها أيضاً الفونسو د البوكيرك. وكان ظهوره في المنطقة بداية للسيادة البرتغالية المظلمة على الخليجين العربي والعماني[١].

وضع البوكيرك بعد هذه الزيارة مخططات لـِ "الاستيلاء على هرمز، وإخضاعها بالقوة، والتجارة، والسيادة البحرية". وكان يعتقد أن التفتت السياسي، وضعف الشعوب القاطنة في هذه المنطقة سيمكنه من تحقيق مخططاته[٢].

---

١. كان البونسو د البوكيرك، كاتب "تعليقات د البوكيرك العظيم" (انظر:البيليوجرافيا) الأكبر في عائلة د البوكيرك. وكانت له مشاركة فعالة في نشاط البرتغاليين الاستعماري في منطقة بحر العرب. وكان بيرو د البوكيرك قومندان قلعة هرمز في عام ١٥١٥، في حين كان ماتياس د البوكيرك قومندان هرمز في نهاية القرن السادس عشر.

٢. انظر:.Miles S.P، مرجع سابق، المجلد الأول ص ١٤٠.

لاقت فكرة البوكيرك تشكيل إمبراطورية استعمارية في هذه المنطقة تَعد بثروات هائلة لا تنضب استحسان الأوساط الحاكمة في البرتغال. وفي عام ١٥٠٦ توجه الغازي البوكيرك على رأس عمارة من لشبونة إلى المحيط الهندي بهدف تحقيق هذه الفكرة. وعند رأس الحد في وسط الطرف الشرقي لشبه الجزيرة العربية أحرق ما بين ثلاثين إلى أربعين سفينة صيد سمك قدمت إلى هذه المنطقة من هرمز وقلهات وغيرها من المدن الساحلية.

ثم تابع تحركه سالكاً الاتجاه من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي. وفي قلهات، المدينة الرئيسة آنذاك على الساحل العماني، أجبر البوكيرك حاكمها [شرف الدين] على التوقف عن دفع الإتاوة لملك هرمز، والاعتراف بتبعية قلهات إلى ملك البرتغال. بعد ذلك وجه ضربة إلى مدينة قريات، التي أبدى سكانها مقاومة عنيفة.

استغل البرتغاليون التفوق الحقيقي لمدفعيتهم ووجهوها إلى المدينة وأحرقوها. كما أحرقوا جميع السفن الراسية في الميناء. وبغية إرهاب السكان المحليين أظهر الغزاة قسوتهم الوحشية بقتل السكان العزل، دون تمييز بين رجل وامرأة وطفل، بصلم آذانهم وجدع أنوفهم[١].

تعرض سكان مسقط للمصير نفسه الذي تعرض له سكان قريات، على الرغم من أن سكان مسقط حاولوا التزلف للبرتغاليين؛ لتجنب التنكيل الدموي بهم بأن أرسلوا وفداً إلى البوكيرك للتفاوض معه[٢]. إلا أن هذا الغازي طالب باستسلام مسقط دون قيد أو شرط. ولم يرضَ بتعهد أهاليها بتقديم الضريبة السنوية له. عندما كانت المفاوضات دائرة مع البوكيرك تعمد هذا الأخير إطالة أمدها. وأمر رجاله

---

١. انظر Albuguergue A.de.، مرجع سابق، المجلد الأول، ص٧١، ٦٢، ٦١.
٢. انظر Albuguergue A.de.، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٨٢.

باستطلاع تحصينات المدينة سراً، والتأهب للهجوم عليها. بعد ذلك أمر بقصفها بالمدفعية، مما أدى إلى إحراقها والقضاء على مقاومة السكان للغزاة المهاجمين، ووضع حد للقتال الذي استشهد فيه الكثير ممن قاوموا من سكان مسقط ومن بينهم النساء والأطفال.

بعد ذلك أخذ الغزاة البرتغاليون ينهبون المدينة وينقلون غنائمهم إلى السفن البرتغالية[1]. عندما اقترب أسطول البوكيرك من مدينة صحار تفرق أهلها ذات اليمين وذات الشمال. أما حاكمها فتعهد بأن يدفع للبرتغاليين الضريبة التي كان يدفعها إلى ملك هرمز في السابق. بعد ذلك توجه البوكيرك بأسطوله إلى مدينة خورفكان حتى إذا ما لقي مقاومة منها دمرها تدميراً، وأتبع بالدمار النار، وأحرق، ومثل بأهلها شر تمثيل[2].

المميز أنه في الوقت الذي كان السكان البسطاء يقاومون الغزاة باستماتة، كان ممثلو الأوساط الحاكمة يحاولون أحياناً عقد صفقات معهم للإبقاء على وضعهم وممتلكاتهم. فمثلاً لم يبق بين أنقاض مسقط وخرائبها التي يتصاعد منها الدخان بيت لم يلحق به الدمار و الخراب سوى بيت الحاكم. والسبب في ذلك أن هذا الأخير وجد لغة مشتركة بينه وبين البوكيرك. وبهذا الشكل أيضاً حافظ والي صحار على وضعه وممتلكاته.

اقترب الأسطول البرتغالي من هرمز في أكتوبر عام ١٥٠٧. وعندها لم يكن الشاه إسماعيل، المنشغل على الحدود الغربية لدولته، يملك القوة الكافية للقتال على جبهتين. ولهذا لم يستطع إرسال أكثر من ٥٠٠ جندي لإنقاذ هرمز من الاحتلال.

---

[1] . انظر Miles S.P. ، مرجع سابق، المجلد الأول ص ١٤٧.

[2] . انظر Albuguergue A.de.، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٩٨.

وبالطبع لم يكن ذلك ممكناً بمثل هذا العدد القليل من الجنود[١]. وتم فرض غرامة حربية كبيرة على المدينة وهي ما يسمى تعويضات حرب، وكان مقدارها ١٥٠٠ تومان ذهبي، وإتاوة سنوية مقدارها ٤٥٠٠ تومان[٢].

وفرض المحتلون على السفن المحلية حظر التجارة في مياه الخليج العربي وخليج عمان دون تصريح من السلطات البرتغالية[٣]. وبدأ البرتغاليون ببناء قلعة على الجزيرة من أجل حاميتهم[٤]. أما في مدينة هرمز فقد أسسوا محطة تجارية.

لقد ظهر أن الحملة العدوانية على امتداد سواحل الخليج العربي وخليج عمان عام ١٥٠٧ما هي سوى المحاولة الأولى للبرتغاليين للاستقرار في هذه المنطقة. كانت المقاومة الشديدة التي أبداها السكان المحليون، والخلافات التي دبت بين الغزاة المحتلين أنفسهم، من أهم الأسباب التي أجبرتهم على مغادرة هرمز عام ١٥٠٨.

وفي طريق العودة إلى الهند استولوا على قلهات مرة أخرى، بعد أن استعاد الحكام المحليون سلطانهم عليها في أثناء غياب الغزاة[٥].

---

١. انظرAlbuguergue A.de.، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٩٨.

٢. ن. فلسفي.، مرجع سابق، ص ١١.

٣. كان البرتغاليون في بداية الأمر يراعون هذا التصريح فعلاً، فلا يتعرضون للسفن التي تحمله، ثم تطور الأمر وأصبحت المراكب البرتغالية تمارس أعمال القرصنة في البحار ولم يعد هذا التصريح إلا إجراء شكلياً. فما أن تخرج السفن الإسلامية إلى عرض البحر محملة بالبضائع المختلفة حتى يهاجمها القراصنة والربابنة والجنود البرتغاليون سواء أكان لديها تصريح أم لا، فيسلبونها سلعها ويغرقونها بمن فيها.- انظر محمد حميد السلمان، مرجع سابق، ص١٨٦، نقلاً عن نوال الصيرفي (النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرنين العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي)، ص ٩٩............... المترجم

٤. توقف بناء القلعة عند انسحاب البرتغاليون من هرمز في عام ١٥٠٨.

٥. انظرMiles S.P. ، مرجع سابق، المجلد الأول ص ١٥٣.

عند انسحاب البرتغاليين من هرمز ثار سكانها بقيادة "رئيس حميد"، الـذي زج ملكها، المدعوم من البرتغاليين في السجن، وأصبح يحكم المملكة باسم الشاه إسماعيل.

سبقت الإشارة إلى أن فارس كانت في هذه المدة تخوض حرباً طويلة مع الدولـة العثمانية. وكانت هذه الأخيرة تملك آنذاك جيشاً قوياً استطاع مقارعة قـوات دول أوربية، وإلحاق الهزيمة بها في أكثر من مرة. ففي أواخر العقد الثاني من القرن السادس عشر استولى العثمانيون على بودابست (عام ١٥٢٦). وفي عـام ١٥٢٩ فرضـوا حصاراً على فينا. وفي أثناء حربه مع الدولة العثمانية كان إسماعيل يبحث عن حلفـاء له. كان ملوك أوربا بدورهم مهتمين بتشكيل اتحاد مـع الـشاه لمواجهـة الخطـر العثماني[١].

كانت الخسائر الكبيرة التي ألحقتها المدافع العثمانية بالقوات الفارسية سـبباً في جعل شاه فارس يسعى لتطوير مدفعيته. وعندما علم البوكيرك بذلك تطلـع لإقامـة علاقات مع الأوساط الحاكمة في فارس. وما إن أصبح نائباً لملك البرتغال في الهنـد في عام ١٥٠٩[٢] حتى أرسل "روي جوميز[٣] **(Ruy Gomesa)** مبعوثاً إلى الـشاه.

---

١. في عام ١٥١٥ تحديداً كتب البابا "ليف العاشر" إلى ملك بولونيا يخبره عن أهمية عقد اتحاد مع فـارس، انظـر بياندور أ.أ.. مرجع سابق. المجلد الأول، ص ١٥.كما كتب البوكيرك عن الموضوع نفسه إلى ملك إسبانيا. انظر **Albuguergue A.de**.، مرجع سابق، المجلد الرابع، ص ١٨٤، وأخبر البابا أيضاً أنّ الشاه إسماعيـل لا تنقصه سوى المدفعية لسحق العثمانيين.

٢. بغية تثبيت الوجود الاستعماري البرتغالي في الشرق، تم في عام ١٥٠٥ استحداث منـصب "نائـب ملـك البرتغال في الهند" وكان أول شخص يشغل هذا المنـصب " فرانسيـسكو دي الميـدا" (**Francisco de Almeda**). وبذلك تكون البرتغال أول دولة استعمارية أوربية أنشأت هذا المنصب في الهند لحماية مـصالحها التجارية ....المترجم.

٣. كانت مهمة روي جوميز مطالبة هرمز بدفع الضريبة إلى البرتغال، إلا أنه لم يستطع تنفيذ هذه المهمة؛ ذلك أنـه قتل في هرمز. انظر**Albuguergue A.de** ، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص١٢٠.

وفي عام ١٥١٣ أرسل مبعوثاً آخر هـو ميغـل فيريـرا [Miguel Ferreira]، وعرض البوكيرك على فارس مدفعية وجيشاً وأسطولاً برتغالياً لمحاربة العثمانيين[١]. وبغية إجراء المباحثات حول التعاون مع البوكيرك كان الشاه إسماعيل قد أرسل مبعوثاً خاصاً له إلى جوا[٢].

لم يكن الهدف الحقيقي لنائب الملك في الهند البوكيرك أبداً تقديم مساعدة فعلية لفارس. إنما كان الهدف انتزاع تنازلات إقليمية من الشاه عند كل وعد لـه بتقـديم المساعدة في حربه ضد الدولة العثمانية، التي كان يعاني فيها من صعوبات كبيرة. ولهذا عندما كانت المباحثات جارية بين البرتغاليين والفرس عمل البوكيرك على إطالة أمدها بانتظار الفرصة المناسبة التي تمكنه من تحقيق مخططاته العدوانية.

وفي عام ١٥١٤ سنحت هذه الفرصة لالبوكيرك، عندما نشأ وضع أرغمت فيه تطورات الحرب المستعرة مع السلطان العثماني الشاهَ إسماعيل على توقيع اتفاقية تعاون مع البرتغاليين مقابل التنازل لهم عن هرمز مؤقتاً[٣].

إلا أنه عندما سارعت العمارة البرتغالية لاحتلال المدينة تصدى لهـا الـسكان بالنيران، ونجحوا في رد المهاجمين على أعقابهم. وفي العام التالي جرد البوكيرك حملـة جديدة ضد هرمز مؤلفة من ٢٦ سفينة تحمل على متنها ٢٢٠٠ جندي[٤]. ولما لم يكن لدى حاكم هرمز القوة الكافية للتصدي للحملة، اضطر لتسليم المدينة بعد مباحثـات

---

[١]. طلب البوكيرك من إسماعيل بنفاق أن يشير له فقط إلى المكان الذي يرغب بأن يقضي البرتغاليون فيـه علـى السلطان العثماني. انظر Albuguergue A.de ، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١١٤– ١١٨.

[٢]. انظرAlbuguergue A.de ، مرجع سابق، المجلد الرابع، ص ٨٨– ٨٩.

[٣]. انظرAlbuguergue A.de مرجع سابق، المجلد الرابع، ص ١٥٣– ١٥٤.

[٤]. انظر بياندور، مرجع سابق، ص ١٤.

مطولة. وبذلك احتل البرتغاليون الجزيرة بأكملها[1]، وأتموا بناء القلعة الذي بدأ عام ١٥٠٧. وتم تعيين بيرو البوكيرك قومنداناً [حاكماً]عليها[2].

بعد أن احتل البرتغاليون هرمز مرة ثانية أخذوا يحصنون أنفسهم في السنوات التالية في مناطق استراتيجية هامة أخرى في الخليج العربي وخليج عمان، وعلى الساحل الشمالي، والجنوبي، وفي الجزر. وكانت صحار ومسقط وقلهات والبحرين من أكبر هذه المناطق التي أقام فيها المحتلون البرتغاليون القلاع ووضعوا فيها حامياتهم. وباعتمادهم على هذه القلاع والحاميات، وكذلك على عماراتهم الحربية، التي تكرر ظهورها في مياه الخليج، استطاعوا بسط سيطرتهم على المنطقة بأكملها. وفرضوا غرامات حربية باهظة (تحت اسم تعويضات حرب) على المدن المحتلة. وتمت جباية هذه الغرامات باستهتار وتعسف. وأخضع البرتغاليون التجارة إلى أنفسهم بعد أن أجبروا التجار المحليين على حيازة تصاريح خاصة يمنحهم إياها الحاكم البرتغالي.

وعلى مدى مائة عام على سيطرة البرتغاليين على مياه الخليج العربي كانت هرمز مركزاً إدارياً وسياسياً وتجارياً للبرتغاليين، وقاعدة حربية لهم. فبعد مرور قرابة ١٥ إلى ٢٠ سنة على الغزو الاستعماري سيطر البرتغاليون على جميع مجالات الحياة الاقتصادية لهرمز. وتمكن المستعمرون من انتزاع وظيفة جبي الضرائب ورسوم الجمارك، التي كان يقوم بها حاكم هرمز، مستغلين الضائقة المالية التي كان يعاني منها هذا الأخير. الأمر الذي مكنهم من التدخل في الشؤون الداخلية لحياة المدينة[3].

---

[1]. توجد مقابل هرمز على الساحل الفارسي مدينة صغيرة تسمى غمبرون، استولى عليها البرتغاليون وبنوا فيهما فيما بعد قلعة (تقع الآن في هذا المكان بندر عباس). انظر ن. " فلسفي". تاريخ روابط فارس وأوروبا، طهران، ١٣٠٤/١٩٢٥، ص ٤٥.

[2]. ظلت آثار هذه القلعة واضحة حتى بداية القرن العشرين.

[3]. انظر بياندور، مرجع سابق، ص ١٥، وكذلك انظر خليج فارس(مرجع سابق)، المجلد الثاني، ص٦

كما عزز البرتغاليون سيطرتهم على هذه المناطق بحمل حكامها على إبرام معاهدات غير متكافئة معهم. وفي غضون ذلك كانوا يتدخلون في العلاقات المتبادلة بين الحكام المحليين، بعد أن جعلوا سلطتهم اسمية. كما فرضوا على حكام المناطق التي تقع تحت سيطرتهم أداء يمين الولاء لملك البرتغال، حتى إنه لم يعد بمقدور الواحد من هؤلاء الحكام الانتقال من مكان إلى آخر دون تصريح من الحاكم البرتغالي[1]. إلا أن ابتزاز الضباط، والموظفين، والوكلاء، والتجار البرتغاليين وتعسفهم، كثيراً ما كان يؤدي إلى اندلاع الثورات والانتفاضات. ولكن كان يتم قمعها بشدة.

ففي عام ١٥٢٢ مثلاً ثار في وقت واحد سكان هرمز، وقلهات، ومسقط، وقريات، وصحار، والبحرين، وكان على رأسهم حاكم هرمز الذي قضى على الحاميات البرتغالية[2]. إلا أن الثوار فقدوا المبادرة فيما بعد، وانقطع اتصال المناطق الثائرة بعضها ببعض، ولم تعد الوحدة تجمع بينهم. فمثلاً قام حاكم مسقط مع الأوساط الحاكمة بعقد اتفاقية مع البرتغاليين من أجل الحصول على استقلال اسمي عن هرمز ضاربين بذلك مصالح الشعب بعرض الحائط.

انتهز البرتغاليون كل ذلك وسارعوا بتجهيز عمارة، وتمكنوا من القضاء على بؤر الانتفاضة الواحدة تلو الأخرى. واستعاد المستعمرون سيطرتهم على هرمز من جديد.

---

[1]. انظر أ. ويلسون Wilson A.، مرجع سابق، ص ١٢٢- ١٢٣.

[2]. في عام ١٥٢١ استشهد حاكم البحرين [السلطان مقرن بن زامل الجبري] في معركة خاضها ضد حملة برتغالية كانت موجهة لغزو البحرين بقيادة أنطونيو كوريا (Antonio Correa). وقام هذا الأخير بقطع رأس الحاكم وحمله إلى هرمز برهاناً على "بطولته". وقد منح ملك البرتغال عائلة كوريا حق إضافة اسم البحرين إلى لقب جليل منحهم إياه، ونقش صورة رأس السلطان وهي مدماة مع عمامة بشكل شعار على الدرع. ولا يزال أعقاب أنطونيو كوريا يستعملون هذا الشعار حتى اليوم. انظر Belgrave مرجع سابق، ص ٧-٨، وكذلك انظر تقرير عزيزي للتعرف على الثورات في "خليج فارس"، (مرجع سابق)، المجلد الثاني، ص ٤.

ومن أجل تعزيز سيطرتهم استخدم البرتغاليون إلى جانب العمليات الحربية المباشرة أساليب أكثر مرونة. منها أنهم كانوا كثيراً ما يدبرون المكائد والدسائس، ويقدمون الرشاوى. وبذلك تمكنوا من فرض نفوذهم على الشيوخ الذين سعوا للانفصال عن هرمز. وكان البرتغاليون يدعمون أحياناً اتحاد هؤلاء الشيوخ ضد حاكم هرمز. ومن جديد تمكن البرتغاليون من الاستيلاء على صحار بأيدي الحكام. وحصل الشيوخ على "الاستقلال"؛ أي استقلالهم عن حاكم هرمز. لكنهم وجدوا أنفسهم في تبعية تامة للحاكم البرتغالي[1].

في عام ١٥٢٦ أدى نير الاستعمار البرتغالي إلى اندلاع موجة جديدة من الثورات في قلهات، ومسقط، وأماكن أخرى. وقد تم قمع هذه الثورات بأسطول المحتلين. إلا أن حملتهم ضد البحرين التي انتفض سكانها وثاروا على حاكم هرمز في عام ١٥٢٩ انهزمت أمام الثوار.

لم يكن تغير الملوك في فارس يؤثر في الأوضاع في منطقة الخليج العربي. حتى إنّ الشاه طهماسب الذي اعتلى العرش خلفاً لإسماعيل في عام ١٥٢٤ لم يستطع خلال مدة حكمه التي دامت أكثر من نصف قرن (١٥٢٤ – ١٥٧٦) أن ينظم نضالاً ضد البرتغاليين[2]. كان اقتحام العثمانيين المتكرر لفارس يشكل فرصة مناسبة للبرتغاليين للتصرف في شؤون الخليج العربي.

وكان الربع الثاني من القرن السادس عشر بالنسبة لهم مرحلة المسيطر بلا منازع على منطقة بحر العرب، مما جعلهم يستمرون في توسيع منطقة نفوذهم فيها. وفي محاولة منهم لإقامة نقاط استناد في شمال غرب الخليج العربي أرسل البرتغاليون في عام ١٥٢٨

---

1. انظر **Miles S.P.**، مرجع سابق، المجلد الأول ص ١٦٢– ١٦٣.

2. فرحانجي– جغرافية فارس ١٠ مجلدات، طهران، ١٣٣٥/١٩٤٠– ١٣٣٩/١٩٥٣ (باللغة الفارسية)، ص ٢٥.

سفنهم إلى البصرة بقيادة "تواريش سوزا"، الذي حاول التدخل في صراع الحكام المحليين. إلا أنه اضطر في العام التالي للعودة إلى هرمز. وعندها استولى البرتغاليون على موانئ لنجة على الساحل الشمالي للخليج، وعلى الكويت في الناحية الغربية للخليج العربي[١].

الصراع العثماني البرتغالي:

ازداد نشاط العثمانيين في الخليج العربي حتى منتصف القرن السادس عشر. ففي عام **١٥٣٤** انتزع سليمان الكبير بغداد من يد الفرس. وفي عام **١٥٥٠** استولى العثمانيون على قطر والبصرة. وكان ذلك بداية لتنفيذ خطط بعيدة المدى للسلطان العثماني تهدف إلى ضم شبه الجزيرة العربية، ولاسيما الساحل الغربي، والجنوب الغربي إلى الإمبراطورية العثمانية. ولتحقيق هذا الهدف أرسل عمارة إلى مسقط بقيادة "بيري رئيس" (**Pirri Reis**)، أكبر قائد أسطول عثماني[٢].

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

وقام هذا الأخير بمهاجمة القلعة البرتغالية في مسقط والاستيلاء عليها، وفي غضون ذلك تم أسر الحاكم البرتغالي "جو د لاسبو" (**Jao de Lisboa**). وبعد ذلك ضرب حصاراً على هرمز مدة ستة عشر يوماً فقط؛ إذ تمكن البرتغاليون من الدفاع عن أنفسهم وإجبار "بيري رئيس" على الانسحاب إلى جزيرة قشم، التي أبحر منها إلى البصرة. والذي حمل بيري على رفع الحصار عن هرمز والانسحاب وصول إمدادات

---

١. شاهد سيرمياتنيكوف في أثناء جولة له في الخليج العربي عام ١٩٠٠التحصينات البرتغالية في مسقط ولنجة، والمدافع البرتغالية في الكويت. انظر "سيرمياتنيكوف"، مرجع سابق، ص ١٧، وهذه المدافع موجودة حالياً في متحف بني حديثاً في الكويت. كما تسنى لكاتبة هذه الأسطر أيضاً أن شاهدت هذه المدافع في عام ١٩٦٧.

٢. سرعان ما وجه السلطان [سليمان القانوني] اتهاماً إلى بيري رئيس [بمخالفة التعليمات]، وأقاله من منصب قائد الأسطول.

سريعة إلى البرتغاليين. فقد أخذ الأسطول البرتغالي، الذي ظهر في الخليج وقام بتدمير القطيف، يطارد العمارة العثمانية، وحاول خلال ذلك الاستيلاء على البصرة.

وجرت معركة بحرية بين العثمانيين والبرتغاليين في عام ١٥٥٢ دون أن تحسم لصالح أي من الطرفين. إلا أنه في السنة التالية ١٥٥٣ استطاع البرتغاليون أخذ العمارة العثمانية عند مسقط على حين غرة ودمروها.

في عام ١٥٥٩ شن العثمانيون هجوماً على البحرين. وعندها أرسل شاه فارس ٣٠٠ جندي لمساعدة الوالي. وعندما بات واضحاً أنه سيتسنى لهم صد الهجوم العثماني انضم البرتغاليون في الصراع إلى جانب المدافعين حتى يحصدوا ثمار نصر صنعته أيد غير أيديهم[١].

وجدير بالذكر أن السكان المحليين الرازحين تحت نير الاستعمار البرتغالي كانوا يظهرون ميلاً للعثمانيين أكثر من البرتغاليين؛ ذلك أن العثمانيين: أولاً يدينون بديانتهم نفسها؛ وثانياً، ما أشار إليه الإنكليزي بيلجريف (**Belgrave**) بصدق من أن العثمانيين لم يعاملوا السكان بتلك القسوة الشديدة التي عاملهم بها الأوربيون الغرباء[٢].

لم يكن ظهور العثمانيين المؤقت في الخليج العربي وخليج عمان يؤثر في سلطة البرتغاليين على الرغم من أن العثمانيين كانوا في بعض الأحيان يقومون بهجمات ناجحة على الحاميات البرتغالية في القرن السادس عشر، حتى إنهم استطاعوا فرض سيطرتهم ولو لمدة قصيرة على بعض المناطق، كمسقط مثلاً التي استولوا عليها في عام

---

[١] انظر **.Tadjbakhche G. R**، مرجع سابق، ص ٣٨.

[٢] انظر **Belgrave** ، مرجع سابق، ص ٨.

١٥٨٠[1]. إلا أنه في هذا التاريخ كان وضع الحاميات البرتغالية قد تغير؛ إذ تم في عام ١٥٨٠، في عهد الملك فيليب الثاني، ضم البرتغال إلى إسبانيا. وأصبحت جميع الممتلكات والمستعمرات البرتغالية في النصف الشرقي من الكرة الأرضية تابعة لإسبانيا رسمياً. وبذلك أصبحت هذه الأخيرة أكبر إمبراطورية استعمارية.

ولكن في الواقع أبقى البرتغاليون أيديهم على الأراضي التي استولوا عليها[2]. إلا أن قوة البرتغاليين لم تكن في هذا الوقت كتلك التي كانت لديهم في بداية القرن السادس عشر؛ فالاتحاد مع إسبانيا لم ينعش القوة الإنتاجية للبرتغال إطلاقاً؛ إذ بدأت المملكة الإسبانية نفسها تضعف قبل نهاية القرن السادس عشر.

وفي نهاية الأمر وضع الضعف الداخلي للدولة المستعمِرة حداً لصراع البرتغال وإسبانيا الاستعماري ضد الدول التي وقفت على طريق التطور البورجوازي: هولندا، وإنكلترا، وفرنسا، التي لم تكن إمكاناتها قبل نهاية القرن السادس عشر كافية لتوجيه ضربة قاضية إلى دولتين استعماريتين تعدان من أقوى الدول الاستعمارية: البرتغال وإسبانيا.

ولأنه لم يكن بمقدور هذه الدول الدخول في مواجهة علنية مع إسبانيا والبرتغال على الطرق المحتلة من قبل هاتين الدولتين في بلدان المشرق فقد حاول التجار الإنكليز تجنب المواجهة مع المنافسين ببحثهم عن طرق بحرية جديدة.

---

[1] انظر أ. ويلسون Wilson A.، مرجع سابق، ص ١٢٦.
لزيادة الاطلاع على الصراع العثماني البرتغالي انظر جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ٥ مجلدات، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٦، مج١، ص ٧٧- ٨٥.......... المترجم.

[2]. لم يكن البرتغاليون يحسبون حساباً لممثلي إسبانيا بشكل دائم. فمثلاً، عندما قدم سفير ملك إسبانيا غارسيا دا سيلفا إلى مركز المستعمرات البرتغالية في الهند – "جوا"، ليتجه منها إلى جزيرة هرمز، أعاقه البرتغاليون مدة عامين كاملين.انظر " فلسفي مرجع سابق، ص ٤٥.

بدايات التوسع الاستعماري البريطاني في الخليج العربي:

مما كتبه "كليمينت أدامس" بهذا الخصوص: "عندما رأى التجار الإنكليز كيف تنمو وتزدهر ثروة الإسبان والبرتغال بشكل مدهش بفضل اكتشاف بلدان جديدة، والبحث عن أسواق تجارية جديدة، صاروا يعتقدون (يقصد التجار الإنكليز- مؤلفة هذا الكتاب) أن بإمكانهم القيام بالشيء ذاته. وهذا ما جعلهم يعقدون العزم على القيام برحلة بحرية جديدة تماماً وغير عادية". والمقصود هنا بعثة ويلوبي (Willoughbis) الإنكليزية"[1]، التي كان الهدف منها اكتشاف الطريق الشمالية الشرقية المؤدية إلى الصين. إلا أن الظروف أدت بالإنكليز إلى عمق روسيا[2]. ومن هناك تسللوا إلى فارس.

وتدل تعليمات سيباستيان كيبوت، مؤسس "شركة التجار ورجال الأعمال" المقامة من أجل المشاركين بالبعثة، بما لا يدع مجالاً للشك على أن الإنكليز نظروا إلى منافسيهم بعين الحسد، وعملوا كل ما في وسعهم لنهب الهند والصين، وجميع الدول التي يمكنهم الوصول إليها. وكانت إنكلترا تعقد آمالاً كبيرة على البعثة، معتقدة أنها "ستدر عليها أرباحاً لا تقل عن الأرباح التي جنتها البرتغال من استعمار الهند"[3].

وجدير بالذكر أن تعليمات ريتشارد هكلويت (Hakluyt R.)، رئيس الشركة، التي قُدِّمت إلى رئيس البعثة، "بيت" تحت عنوان "تعليمات كتابية مفيدة لاكتشاف المضيق الشمالي- الشرقي وملائمة أيضاً للمشاريع المستقبلية لاكتشاف

---

[1]. انظر Hakluyt R.، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٢٥٠.

[2]. حوصرت سفينتان للبعثة بالجليد في بحر بارنتس، وشعر أعضاء البعثة بالتجمد. وقد تم نقل القبطان تسينسلير إلى موسكو وقدم إلى إيفان الرهيب. عند عودة التجار – رجال الأعمال إلى لندن أسسوا في عام ١٥٥٥ "شركة موسكو"، التي أخذت فيما بعد تقوم بعمليات تجارية مع فارس عن طريق روسيا.

[3] انظر Hakluyt R.، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٢٠٤.

الأراضي" كانت تتضمن العبارات الآتية: " يا حبذا لو نكتشف أية جزيرة، مهما كانت صغيرة في البحر الأسقوني، والاستقرار فيها بثبات، وممارسة التجارة بأمان. ومنها يمكننا في المستقبل تزويد شعوب هذه البلدان الوثنية ببضائعنا، دون أن نشبعها، وفي الوقت نفسه دون أن نخاطر بملء أحشائها ببضائعنا"[1].

يلاحظ مما سبق أن الإنكليز كانوا يبيتون الخطط لمدة طويلة، للاستيلاء على الأراضي، وإنشاء قواعد تجارية عليها، وقواعد حربية لهم في مختلف أصقاع العالم، كما كان لهم مطامع كثيرة في المضائق غير المكتشفة بعد.

كان ريتشارد هكلويت متلهفاً للحصول على الأرباح الخيالية من الرسوم الجمركية. وكان يهتم اهتماماً خاصاً بجمع المعلومات الاستخباراتية عن الدول الأخرى، كحجم الأسطول، وقدرته، وعدد السفن، وقدرة مدفعية السفن، وتسليح السكان وغير ذلك. وكان قصده من الحصول على مثل هذه المعلومات الاستخباراتية تمهيد الطريق أمام أبناء جلدته للاستيلاء على الأراضي والأقاليم في البر والبحر. وقد وجه لهذا الهدف أيضاً تعليماته ونصائحه العملية حول التصرف وكيفية إدارة الأمور إلى أصحاب النفوذ القادرين على الحل والربط. ويرى هكلويت في هذا الخصوص أنه من المفيد اللجوء إلى التملق الرقيق، والمحاباة، وتقديم الهدايا المختلفة. وعدد في قائمة المواد المزمع تصديرها كل شيء ابتداءً من حديد الزهر، وانتهاءً بقلنسوات النوم[2].

والواقع أن تعليمات هكلويت تصلح فعلاً لجميع الأعمال. وقد نفذها المستعمرون فيما بعد في عملياتهم اللاحقة في جميع الأمكنة، بما في ذلك الخليج العربي في أثناء الاستيلاء على الجزر، والمضائق وغير ذلك من المناطق الاستراتيجية الهامة. غير

---

[1] انظر **Hakluyt R.**، مرجع سابق، المجلد الثالث، ص ٢٦٤.

[2] انظر **Hakluyt R.**، مرجع سابق، المجلد الثالث، ص ٢٧٣.

أن النجاح لم يكتب آنذاك لمخططات الإنكليز الرامية إلى اكتشاف الطريق البحري الشمال الشرقي، الذي يؤدي إلى الشرق الأدنى؛ إذ كان الساحل الشمالي لأوربا الشرقية وآسيا يرتبط بالسواحل الروسية، ويتبع للمملكة المركزية الروسية القوية. وفي الوقت الذي كان الإنكليز يجهزون فيه البعثات البحرية كانوا يحاولون التوغل إلى الشرق الأدنى عن طريق البر.

ففي عام ١٥٥٨ وصل وكيل إحدى الشركات، ويدعى أنتوني جينكنسون (Anthony Jwnkinson) ، إلى بخارى عن طريق موسكو. وكان في نيته أن يتسلل من هناك إلى فارس. إلا أنه لم يتسنَّ له القيام بذلك آنذاك. وفي السنة التالية تم تجهيز بعثة جديدة لشركة تجارية لندنية، كان هدفها الوصول إلى فارس (وهذه البعثة الثامنة ابتداءً من بعثة ويلوبي). وتمكنت هذه البعثة من تدشين التجارة الإنكليزية- الفارسية، وإرساء بداية لسلسلة محاولات جادة للإنكليز لوضع أيديهم على التجارة مع بلدان الشرق التي تمر من الخليج العربي.

عندما يعمل التجار الإنكليز على إيجاد طرق وأساليب تجارية جديدة ويتقنون استخدامها يكون أملهم تقويض تجارة فارس وقطع الطريق عنها من خلال الدولة العثمانية، ومن ثم مزاحمة التجار البرتغاليين وإبعادهم عن هذه المنطقة.

وكان الهدف الذي عملوا على تحقيقه، التعرف على طرق التجارة سواء في شمال فارس، أو جنوبها. أي عبر القوقاز وهرمز، على أمل أن يغيروا سير الحركة التجارية كاملة مع الشرق خلال زمن قصير[1].

[1] . انظر تقرير إدواردز المؤرخ في ٨ أغسطس ١٥٦٦، **Hakluyt R.**، مرجع سابق، المجلد الثالث، ص٥٨.

قامت شركة إنكليزية من عام ١٥٦١ حتى عام ١٥٨١ بتجهيز ست بعثات إلى فارس[1]. وخلال هذه المدة كان الممثلون التجاريون الإنكليز موجودين دائماً داخل فارس، باستثناء المدة من عام ١٥٧٤ حتى عام ١٥٧٩.

ظهر أن بعثة جينكنسون (Jwnkinson) في عام ١٥٦١ لم تحقق النجاح. في بداية الأمر تمكن جينكنسون من استمالة الإقطاعي الفارسي شيروان شاه عبد الله إلى جانبه. وكان الأول يأمل أن يحصل على امتيازات خاصة في التجارة بين الإنكليز وفارس عن طريق روسيا بمساعدة الثاني. ولم يكن من المستبعد أن يستعين جينكنسون بشخصيات ذات نفوذ لإقناع الشاه بمتابعة حربه مع الدولة العثمانية؛ (الأمر الذي من شأنه أن يساعد كثيراً على إنجاح المهمة وتحقيق الهدف الذي أشار إليه في إحدى رسائله[2]. إلا أنه سرعان ما تم بعد ذلك إبرام معاهدة سلام بين فارس والدولة العثمانية. وعندها قام الشاه بطرد جينكنسون من المقابلة الوحيدة التي سمح له بها. حتى إنه أراد تسليم هذا الوكيل الإنكليزي إلى السلطان العثماني. ولم ينقذ جينكنسون من ذلك سوى شفاعة شيروان شاه عبد الله.

وبعد أربعة أشهر تم السماح له بمغادرة فارس، فغادرها مسرعاً إلى وطنه. وبذلك لم يعد هناك فائدة حتى من مجرد الحديث عن أية امتيازات.

كما أخفقت أيضاً بعثة التجار اللندنية خلال المدة من عام ١٥٦٣ إلى عام ١٥٦٥ في تحقيق أي نتيجة جيدة؛ إذ تم مقتل رئيس البعثة ولكوك في ظروف غامضة وهو في طريقه إلى شماخ. إلا أن ذلك لم يمنع الإنكليز من تكرار المحاولات للوصول إلى

---

1. لم تمارس أعمال التجارة بين الإنكليز والفارسيين خلال السنوات من عام ١٥٦١ إلى عام ١٥٨١ سوى من عام ١٥٦١ إلى عام ١٥٧٤، ومن عام ١٥٧٩ إلى عام ١٥٨١.

2. انظر **Hakluyt R.**، مرجع سابق، المجلد الثالث، ص ٢٩

هرمز مهما كلفهم الثمن، ومهما كانت فرصة النجاح ضئيلة. كانت جميع تقارير الوكلاء الإنكليز تتضمن فكرة الوصول إلى هرمز. وكانت هذه التقارير تبين المسافة المحسوبة من مدينة إلى أخرى حتى الوصول إلى هرمز، كما كانت تبين كلفة نقل السلع والبضائع من هناك إلى لندن وغير ذلك.

عندما تسنى للوكيل الإنكليزي إدواردز الحصول على إذن الشاه بإقامة بني جلدته الإنكليز في فارس سارع لوضع خطة لمواصلة الأعمال الاستخباراتية. وقد عبر عن أسفه لعدم وجود إمكانية تسليم أعماله لأي شخص كان ليستطيع الذهاب إلى هرمز بنفسه. ومما كتبه إدواردز في ذلك: "يبدو أن البضائع والسلع التي تتم المتاجرة بها في فارس تدر أرباحاً كبيرة على التجار، ويمكن أن تدر مع مرور الوقت أرباحاً تزيد عن الأرباح التي تدرها التجارة البرتغالية في الهند الشرقية ومدينة وجزيرة هرمز على الخليج العربي، التي تعد من المدن التجارية التي تفوق شهرتها أرجاء الهند الشرقية، التي تنقل إليها البضائع من جميع أنحاء الهند. ومن الممكن نقل هذه البضائع خلال زمن قصير جداً وبسلامة تامة سواء في البر أو عبر الأنهار عن طريق فارس حتى تصل إلى بحر قزوين. ومن ثم يمكن نقلها عبر روسيا إلى إنكلترا بالطرق المائية"[١].

في عام ١٥٦٦ استطاع الإنكليز الحصول على امتياز للتجارة في فارس. وتم إعفاء تجارهم من الضرائب، وتأمين حماية ورعاية السلطات المحلية لهم. وفي عام ١٥٦٨ تم منح التجار الإنكليز تعريفة لضبط أجرة الحوذيين في نقل البضائع. والأهم من ذلك منحهم حق بناء البيوت في أي مدينة للاستخدام الشخصي، أي منحهم حق إنشاء مكاتب ومحطات تجارية. مع ذلك كله لم يكن وضع الإنكليز مستقراً في فارس آنذاك. فعلى الرغم من أنهم حصلوا على امتيازات من الشاه، إلا أنه بسبب استقلالية

---

[١] انظر **Hakluyt R.** مرجع سابق، المجلد الثالث، ص ٦٢، ١٤٧.

بعض الحكام فقد كان البعض منهم يتصرف على هواه" ناظرين إلى أن امتيازات الشاه التي تعيقهم لا تعدو عن كونها قشة في الهواء"[1].

بعد أن حصل الإنكليز على حق تنظيم محطات تجارية حاولوا تحقيق أكثر من ذلك. وقد حاول الإنكليزي بينيستر، كبير الوكلاء التجاريين في أثناء بعثة عام (١٥٦٨- ١٥٧٤) الحصول على ترخيص لنقل البضائع إلى الهند. إلا أن محاولته هذه باءت بالإخفاق. وبانقضاء بعض الوقت أرسل "بليمتري" قافلة بضائع إلى الصين سراً. إلا أنه بعد ستة أيام من مسير القافلة اعترضتها مفرزة تابعة لوالي الشاه وأجبرتها على العودة. بعد ذلك توقفت الأعمال التجارية بين الإنكليز وفارس مدة خمس سنوات (من عام ١٥٧٤ إلى عام ٢٥٧٩). ويبدو أن السبب في ذلك عدم ثقة التجار الإنكليز بإمكانية إقامة علاقات تجارية مع فارس عن طريق روسيا.

في عام ١٥٧٩ جرى تنظيم بعثة أخرى برئاسة "إدواردز"," وبيرو". وفي الطريق إلى فارس توفي الأول في حين تعرض الثاني إلى عملية سطو في أثناء عودته من فارس. وبإخفاق هذه البعثة أيضاً اضطر الإنكليز إلى التخلي عن الطريق المؤدية إلى هرمز بصورة نهائية.

وهكذا تبين للإنكليز أنه من غير الممكن تحقيق خططهم الرامية إلى التوغل في بلدان الشرق الأوسط والشرق الأقصى عن طريق روسيا وفارس. وكذلك الأمر بالنسبة لاكتشاف طريق شمالي شرقي يوصلهم إلى الصين. ويعود السبب الأساسي في إخفاق الإنكليز في محاولاتهم تلك إلى وجود الإمبراطورية الروسية القوية، التي كانت تقف في طريق توسعهم الاستعماري.

---

[1] انظر **Hakluyt R.** مرجع سابق، المجلد الثالث، ص ١٥٢-١٥٤؟

عندما ضعفت السلطة المركزية الحكومية [في روسيا] في "زمن الفتنة"، وفي زمن الغزو البولوني (في أوائل القرن السابع عشر) وجد الملك الإنكليزي "جاكوب الأول" (١٦٠٣- ١٦٢٥) أن هذه فرصة يجب استغلالها. ولهذا جرى في البلاط الملكي وضع الخطط للتدخل العسكري في روسيا واحتلال "أرخانجيلسك"، و"خولماخور"، و"أوست سيسولسك"، و"قازان"، و"أسترخان"، و"ياروسلافل"، و"نيجني نوفجورود" وغيرها من المدن الروسية، وفرض الحكم الإنكليزي فيها.

وكانت الخطوة الأولى لتحقيق مخططاتهم الاستعمارية بعثة جون ميريك وولسيم راسيل إلى روسيا. إلا أنه عندما كان الأول في طريقه إلى روسيا نجح الشعب الروسي في طرد الغزاة، واستقرت السلطة المركزية في البلاد. ونتيجة لذلك منيت بعثته بالإخفاق.

وبهذا الشكل أيضاً، وكما استطاعت روسيا القديمة قبل عدة قرون إنقاذ أوربا من الغزاة المغول، وقفت في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر عقبة كأداء في الطريق الذي ارتسمه الإنكليز لتوسعهم الاستعماري في بلدان المشرق. وفي الوقت نفسه تعد محاولات الإنكليز التوغل في الشرق مثالاً لما كان يحدث على مشارف القرنين السادس عشر والسابع عشر. وكان هذا أسلوبهم في السياسة التي انتهجوها في القرن التاسع عشر، عندما فرضوا سيطرتهم على الخليج العربي، وأخذوا يملون شروطهم على فارس.

كانت مسألة النقل بالنسبة للإنكليز في منطقة مترامية الأطراف، سادت فيها الإقطاعيات المتشرذمة، تشكل لهم عقبة حقيقية في تنظيم طريق تجارية برية تمر عبر روسيا وفارس؛ إذ كانت المخاطر تتربص بالتجار في كل خطوة في دروب القوافل.

وكثيراً ما دعتهم الحاجة لنقل البضائع من الصنادل والسفن النهرية إلى دواب النقل وعربات الجر.

وكان التجار يصطدمون في كل دولة، صغيرة كانت أم كبيرة، بأنظمتها الخاصة المتعلقة بأوزان الحمولات وأحجامها، ورسومها، وغير ذلك. وهناك مسألة لا تقل أهمية عن ذلك، وهي أن الشركات التجارية الإنكليزية القوية لم تكن في أوائل القرن السادس عشر تقتنع بالأرباح البسيطة التي تجنيها من استخدام الطرق التجارية غير المباشرة، بل كانت تطالب، مع تطور الصناعة بحصة الأسد من أرباح التبادل السلعي العالمي؛ حتى وإن كان الثمن لذلك خوض صراع مسلح مميت مع المنافسين.

ولهذا سعى الإنكليز منذ العقد الثامن من القرن السادس عشر للوصول إلى الخليج العربي من الجنوب عن طريق منافسيهم البرتغاليين. وإذا كانوا قد حاولوا في السابق تجنب احتكار المنافسين عن طريق التهريب والقرصنة، فقد أصبح القراصنة الإنكليز، الذين وجدوا الدعم والتشجيع من الحكومة البريطانية في العقدين الثامن والتاسع من القرن نفسه، يخوضون في الواقع حرب إنكلترا غير الرسمية ضد البرتغال، وذلك بعد أن جعلوا التهريب والقرصنة عنصر السياسة العدوانية لشركات لندن التجارية[1].

حتى إن السفن التابعة للأسطول الملكي البريطاني شاركت في عمليات هذه الشركات ضد البرتغال، والإسبان. ولم يكن هدف العمليات التي تنفذها هذه الشركات نهب السفن التجارية المعادية فحسب، بل تدمير السفن العسكرية باستمرار. وقد وقف الهولنديون إلى جانب الإنكليز في صراعهم ضد إسبانيا والبرتغال.

1. تم تمجيد القراصنة في إنكلترا كأبطال. وأصحاب الأسهم في شركات القرصنة هم من التجار، ورجال الدين، والأرستقراطيين، بل حتى أفراد من العائلة الملكية.

وبلغ هذا الصراع ذروته في عام ١٥٨٨، عندما تمكن الإنكليز والهولنديون، بفضل تفوقهم التكتيكي والتقني من تدمير الأسطول الإسباني "الأرمادا الكبرى". وقد أدى هذا الصراع إلى زعزعة السيطرة الإسبانية في البر والبحر. وظهرت أمام الشركات الإنكليزية فرصة إقصاء منافسيها عن مستعمراتهم، ليس عن طريق التغلغل فيها بطرق غير مباشرة، إنما بتوجيه ضربات لهم على طرق المواصلات التجارية الاستراتيجية الرئيسة.

ذكر "أ. مارتوف" أن هذا الأسلوب في خوض الحرب، الذي تم اللجوء إليه في القرنين السابع عشر والثامن عشر، قد أرسى أساس الإمبراطورية البريطانية. كما تم اعتماده في عدد من الحروب التي ألقت إنكلترا العبء الأكبر فيها على عاتق حلفائها الإقليميين"[١].

انعكس تغير تناسب القوى في أوربا على وضع البرتغاليين في الخليج العربي سلباً. ففي أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر تشكلت في هذه المنطقة ظروف ملائمة جداً للوقوف ضد السيادة البرتغالية.

الصراع الفارسي العثماني:

استمرت الفتن الإقطاعية في فارس بعد وفاة الشاه طهماسب على مدى أحد عشر عاماً. واستغل أعداء فارس في الخارج هذه الفتن. وبلغت الخطورة أوجها عندما هاجمت قوات السلطان العثماني مراد المناطق الشمالية الغربية من فارس عام ١٥٧٨ واستولت عليها. وفي خضم هذه الأحداث المعقدة والظروف الصعبة أعلنت إحدى الجماعات الإقطاعية الولاء في عام ١٥٨٧ لعامل خراسان الشاب عباس؛ لتولي

[١] انظر مارتون أ. ل. تاريخ بريطانيا، (د. ن)، موسكو ١٩٥٠ (٥٥، ص ١٧١)(باللغة الروسية).

منصب الشاه. وبسبب افتقار هذا الأخير للقوة الكافية للصراع على عدة جبهات عزم على القضاء على أعدائه كلاً على حده.

في عام ١٥٩٠ أبرم الشاه عباس معاهدة صلح مع الدولة العثمانية متنازلاً لها عن مناطق ما وراء القوقاز، وعن قسم كبير من أذربيجان. واستغل توقف المعارك مع العثمانيين لخوض صراع ضد القبائل الأوزبكية الرحالة. وقد تمكنت القوات الفارسية من القضاء عليها في عام ١٥٩٧. وفي الوقت نفسه التفت الشاه عباس لإجراء إصلاحات ضرورية في البلاد. وكانت هذه الإصلاحات موجهة بالدرجة الأولى لترسيخ السلطة المركزية.

لم تكن الأوضاع سهلة على طبقة العمال والكادحين في عهد الشاه عباس، الذي أطلق عليه مؤرخو البلاط المتملقين لقب "العظيم". إذ كان عبء الضرائب كله يقع على عاتق الفلاح والحرفي. ولهذا كثيراً ما كانت الثورات تندلع في البلاد. وكان الشاه عباس يقمعها بلا رحمة. إلا أن ترسيخ السلطة المركزية، التي كانت، حسب تعبير آنجلس (ممثلة النظام في الاضطرابات)[1]، والحد من سلطة البكوات الذين حكموا بعض مناطق الدولة، وإعادة تنظيم الجيش، كان من الإجراءات التقدمية الموضوعية.

بعد أن وطد عباس نفسه وثبت أقدامه على الحدود الشرقية للبلاد حشد قواه ضد عدوه القديم في الغرب – الدولة العثمانية. وكان لإعادة تنظيم الجيش وزيادة قوة المدفعية العامل المباشر في إحراز التفوق على الدولة العثمانية في الحرب التي دارت من عام ١٦٠٢ إلى عام ١٦١٢، والتي انتهت بعقد صلح اسطنبول، الذي استعادت فارس بموجبه المناطق التي كان العثمانيون قد استولوا عليها في السابق.

[1]. انظر "ف. آنجلس" – انحلال النظام الإقطاعي ونشوء الدول القومية، المجلد ٢١ص ٤١١.

وبذلك تلقت الدولة العثمانية ضربة قاسية. إلا أن الأوساط الحاكمة في فارس أبدت خشيتها من عدم إمكانية المحافظة على الأراضي المسترجعة. ولهذا اهتمت بعد صلح اسطنبول بإيجاد حلفاء لها، تحسباً من تجدد المعارك بينها وبين الدولة العثمانية. وركزت فارس نشاطها الدبلوماسي في أوربا على هدف واحد، وهو تشكيل تحالف مناوئ للعثمانيين، والحصول على مساعدات في حال خوض حرب جديدة معهم. وقد عمل بشكل خاص مبعوثو الشاه لدى بلاط الإنكليز والهولنديين والإسبان وغيرهم من بلاطات أوربا لتحقيق هذا الهدف(١).

شاه فارس يمنح الامتيازات للإنكليز والهولنديين

ساعد تعزيز فارس وزيادة قوها على زيادة اهتمام الدول الأوربية بإقامة علاقات سياسية وتجارية معها. ولهذا أرسل ملك البرتغال مبعوثيه إلى الشاه(٢). فبعد أن عانى البرتغاليون من ضربات الهولنديين والإنكليز، وشعروا بضعف قوهم التي كانوا يتمتعون بها في السابق، سعوا جاهدين لمنع ظهور منافسين لهم في الخليج العربي. كما سعوا في الوقت نفسه لتأمين دعم لأنفسهم في العاصمة الفارسية(٣). ولهذا كثرت زيارات

١. لهذا الهدف أيضاً تم إرسال السفير الفارسي إلى الهند. أنظر **Purchas** مرجع سابق، المجلد الرابع، ص ٣٦٦-٣٦٧.

٢. لم تكن هذه المرة الأولى التي يتم بها إرسال مبعوثين برتغاليين إلى فارس. ففي عام ١٥٥٧ بعث ملك الهند بهدايا إلى الشاه طهماسب، وفي عام ١٥٧٤ وصل إلى فارس مبعوثون برتغاليون عددهم ٥٠ شخصاً. إلا أن الشاه حجزهم عنده بحجة أن البرتغاليين أساءوا معاملة المسلمين. ولم يعودوا إلى وطنهم إلا بعد وفاة طهماسب.

٣. مثلاً، كانت البرتغال تطالب بأن تحصل جميع السفن الأجنبية التي ترغب بالمرور من الخليج العربي على تصريح بالمرور يمنحها إياه موظفون برتغاليون. وكانت تعتمد بذالك على القواعد التي أنشأها في الخليج.للاطلاع على أحد هذه التصاريح الممنوح في مسقط عام ١٦١١ انظر **Purchas** مرجع سابق، المجلد الرابع، ص١٩٠ – ١٩١.

مبعوثي إسبانيا، التي أصبحت البرتغال تابعة لها (١٥٨٠- ١٦٤٠)[1] إلى بلاط الشاه عباس الأول.

وبدورها اهتمت كل من إنكلترا، وهولندا، وفرنسا بإقامة علاقات تجارية مباشرة مع فارس دون وساطة من التجار العثمانيين أو البرتغاليين. وعلى مشارف القرنين السادس عشر والسابع عشر، عندما تم تشكيل وكالات تجارية تابعة لشركة الهند الشرقية في الدول المذكورة أخذ المستعمرون الجدد يتصرفون علناً ضد احتكار البرتغال للتجارة في الخليج العربي، وراحوا يرسلون مبعوثيهم إلى فارس.

استغل الشاه عباس توقف الحرب مع العثمانيين وبدأ يتجهز لخوض الصراع مع البرتغاليين. قبل ذلك كانت التجارة الأساسية لفارس مع أوربا تتم عن طريق الدولة العثمانية (تبريز- طرابزون - بغداد - حلب).

وكانت مسألة امتلاك الطرق التجارية من أحد الأسباب الرئيسة للحرب الطويلة التي دارت بين فارس والدولة العثمانية. وعندها كانت العلاقات التجارية لفارس تتم عبر الخليج العربي تحت مراقبة البرتغاليين، الذين كانوا يرغمون الفرس على شراء السلع والبضائع البرتغالية بالسعر الذي يحددونه بأنفسهم، ونقلها بالسفن البرتغالية[2].

في بداية القرن السابع عشر كانت التجارة الحرة من أهم القضايا الاقتصادية في المنطقة. عزم الشاه على تقويض الهيمنة البرتغالية على الخليج العربي ومن أجل ذلك

---

[1]. فمثلاً، في عهد الشاه محمد هدى بند (١٥٧٨- ١٥٨٧) قدمت إلى فارس بعثة موفدة من ملك إسبانيا فيليب الثاني. وحسب أقوال فلسفي كان هدف هذه البعثة: نشر الكاثوليكية، والتحريض على مواصلة الحرب ضد العثمانيين، والحصول على تسهيلات تجارية. انظر" فلسفي ن". مرجع سابق، ص ١٨- ١٩.

[2]. انظر Curzon G. مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٤١٨.

وجه أمراً إلى والي فارس "اللاوردي خان" بجمع القوات[١]. ولأن فارساً تفتقر إلى وجود أسطول خاص بها، عزم الشاه عباس على الاستفادة من السفن الإنكليزية والهولندية الموجودة في الخليج العربي، عازفاً على وتر إشعال حرب المنافسة بين الإنكليز والهولنديين. وتجدر الإشارة هنا إلى أن وكيلي شركة الهند الشرقية الإنكليزية"ستيل"، والهولندية "ويسنيخ" كانا في هذا الوقت في بلاط الشاه لبحث هذا الموضوع[٢].

في شهر أكتوبر عام ١٦١٥ أصدر الشاه لوكيل شركة الهند الشرقية الإنكليزية، ووكيل شركة الهند الشرقية الهولندية، فرماناً يمنحهما فيه حق إنشاء وكالة تجارية في جاسك[٣]. وفي العام نفسه وصلت الإرسالية الأولى من البضائع الإنكليزية، لاسيما الصوف إلى جاسك من قبل إدوارد كونوك[٤]. وبعد ثلاث سنوات منح الشاه الإنكليز، بشخصية ممثلهم توماس بيكر، حق احتكار تجارة الحرير[٥]، في حين أوقف بيع هذه المادة إلى الإسبان والبرتغاليين[٦]. وفي أثناء المباحثات مع الإنكليز تم الاتفاق على موضوع مساعدة فارس بأسطول لطرد البرتغاليين[٧]. وفي عام ١٦١٩ تم تأسيس

---

١. تطرق العزيزي و بياني في حلقة البحث حول الخليج العربي إلى هذه القضية، لمزيد من الإيضاح انظر خليج فارس مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٦، ٩٦- ٩٧.

٢. في عام ١٦١٧ حصل تنافس بين الإنكليز والهولنديين في بلاط الشاه. لمزيد من الإطلاع، انظر **Bayani**، مرجع سابق.

٣. للاطلاع على نص الفرمان انظر **Purcnson H.**، مرجع سابق، المجلد الرابع، ص٢٧٩- ٢٨٠. وكذلك انظر تقرير بياني، خليج فارس، مرجع سابق.

٤. للاطلاع على المهام التي أوكلتها شركة الهند الشرقية إلى كونوك انظر تقرير بياني في خليج فارس، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص٩٨- ٩٩.

٥. انظر:خليج فارس، (مرجع سابق،)، مج٢، ص٩٧.

٦. انظر: بياندور، مرجع سابق، ص١٧.

٧. للاطلاع على نص الاتفاق انظر تقرير عزيزي في خليج فارس، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص٩٩.

محطات تجارية للإنكليز في جاسك، وبندر عباس، وشيراز، وأصفهان. وعندها أكد الشاه على منح الإنكليز الامتيازات القديمة[1].

وفي الوقت نفسه تقريباً منح الشاه امتيازات تجارية للهولنديين أيضاً. وفي عام ١٦٢٣ وقع اتفاقية حول حرية التجارة للسفن الهولندية في الخليج العربي على الرغم من المعارضة الشديدة من الجانب الإنكليزي.

وقد أراد الشاه عباس من وراء ذلك خلق تنافس ومواجهة بين الإنكليز والهولنديين للحد من نفوذ الإنكليز على تجارة فارس. وإضافة إلى ذلك، بعد أحداث عام ١٦٢٢، التي سيرد ذكرها لاحقاً، لم يستطع الشاه الركون إلى أمانة الإنكليز في الالتزام بالاتفاقيات الموقعة، فقرر الاعتماد على الهولنديين تحسباً لغدر الإنكليز المحتمل[2].

وكان من المفترض أن يؤدي هذا الموقف الذي اتخذه الشاه، إلى جانب الأمور التي سبقت الإشارة إليها، إلى حث الإنكليز على القيام بأعمال نشطة ضد البرتغاليين خوفاً من أن يتمكن الهولنديون من استغلال الموقف والحصول على امتيازات لم يتم منحها للإنكليز لقاء مساعدة يقدمونها إلى فارس لمواجهة البرتغاليين.

---

[1]. في عام ١٦٢٠ أرسل الملك جاكوب الأول رسالة إلى الشاه عباس يعرب له فيها عن شكره على رعايته للتجار الإنكليز. انظر خليج فارس، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص٩٨- ٩٩.

[2]. في أثناء خوض العمليات القتالية ضد البرتغاليين الذين نزلوا في هرمز واستقروا فيها، ظهرت مطامع الإنكليز بصورة واضحة؛ فقد قاموا بتقديم سفنهم لفارس كرهاً لا طوعاً، على الرغم من أن هذه المساعدة كانت شرطاً أساسياً للموافقة على اتفاقية احتكار تجارة الحرير. وفي ذلك الوقت أظهر الإنكليز تعنتاً فيما يتعلق بالحصول على امتيازات وتسهيلات إضافية لقاء تقديم مثل هذه المساعدة.

وأخيراً هناك مسألة تتسم بالأهمية بالنسبة لفارس، وهي أن الشاه كان يأمل بأن يجد في حربه ضد الدولة العثمانية حلفاء أوربيين أقوياء مثل الهولنديين يقدمون له الدعم. ولهذا السبب أرسل إلى هولندا آنذاك التاجر "موسى بك"[١].

بداية النهاية للاستعمار البرتغالي:

ولَّدت الهيمنة البرتغالية على الخليج العربي مدة مائة سنة الكراهية والحقد الشديدين للبرتغاليين في نفوس السكان المحليين. ولهذا كثيراً ما كانت القبائل المحلية المقيمة على الساحل الشمالي والجنوبي، وفي الجزر، ترفع سلاحها ضد المحتلين، حتى إنه في أكثر الأوقات هدوءاً كان السكان يرفضون بيع البرتغاليين أي سلع. وتجلت مشاعر الكراهية والحقد في نفوس السكان في ميناء نخيلوه، وبندر ريج[٢]. وفي أثناء إحدى الانتفاضات المتكررة التي قامت في البحرين عام ١٦٠٢ طلب الحاكم المحلي ركن الدين مسعود المساعدة من والي فارس "اللاوردي خان"، فأمده الأخير بمفرزة من الجند بقيادة "معين الدين فالي"[٣]. وتم اجتياح الحامية البرتغالية بقوى مشتركة تضم الثوار المنتفضين وأفراد المفرزة المرسلة، وتم الاستيلاء على الميناء. ولم يكن أمام من بقي على قيد الحياة من البرتغاليين من مخرج سوى الفرار إنقاذاً لأنفسهم[٤].

---

١. للاطلاع على المحاولات غير المجدية للشاه لتأمين نفسه بإقامة تحالف مع هولندا، انظر تقرير بياني في حلقة البحث حول الخليج العربي في خليج فارس، مرجع سابق المجلد الثاني، ص ٩٧ – ٩٨.

٢. انظر **.Wilson A** مرجع سابق، ص ١٤١.

٣. انظر: **.Tadjbakhche G. R**مرجع سابق، ص ٣٨.

٤. ذكر بيلغريف دون أن يوضح مصدر المعلومات أن البحرينيين ثاروا ضد الوالي – المدعوم من البرتغاليين، وكونه لم يذكر اسم هذا الأخير لذلك من الصعب تحديد ما إذا كان المقصود هنا ركن الدين مسعود، أم غيره. والطريف أن بيلغريف ذكر بشيء من التفصيل أنه لأن فارس والبرتغال موجودتان رسمياً، وهما في حالة سلم، شكا البرتغاليون إلى الشاه من ظلم وتعسف السلطات الفارسية. وفي رده على ذلك أكد الشاه أن البحرين لم تكن مسلوبة من البرتغاليين، إنما من حاكم هرمز الموالي للشاه. انظر**Belgrave** ، مرجع سابق، ص ٩.

وفي عام ١٦٠٧ قام اللاوردي خان أيضاً بالاستيلاء على آبار بالقرب من بندر عباس، التي كانت تمد هرمز بالماء الذي تفتقر إليه، وحيث أنشأ البرتغاليون التحصينات لأنفسهم. وفي هذه المرة افتدى البرتغاليون أنفسهم، فانسحب اللاوردي خان بعد أن احتفظ لنفسه ببعض المواقع الهامة في بندر عباس.

وبعد ثمانية أعوام قام اللاوردي خان بطرد البرتغاليين من المدينة، ومن حصن بندر عباس. وفي الوقت نفسه طهر ساحل الخليج العربي في هذا القطاع من المحتلين. وفي عام ١٦١٦ حررت قوات الشاه صحار من البرتغاليين. وفي عام ١٦١٩ تم تحرير رأس الخيمة[١].

وفي الوقت نفسه تم توجيه ضربات موجعة إلى البرتغاليين من قبل منافسيهم. في عام ١٦٠١ دمر الهولنديون الأسطول البرتغالي في مسقط، كما مني الأسطول البرتغالي بهزيمتين في سورات: الأولى عام ١٦١٢، والثانية عام ١٦١٥[٢].

في شهر يونيو عام ١٦٢٩ وصل إلى الخليج العربي أسطول برتغالي كبير بقيادة الأميرال "روي فيريرا اندرادي". وكان هدف هذا الأسطول، حسب أقوال بيلغريف: "شل نشاط القراصنة الإنكليز"[٣]، وتقديم الدعم للحامية في هرمز.

وفي هذه المرة أيضاً لحقت بالبرتغاليين هزيمة نكراء كتلك التي منوا بها في المعركة التي دارت في جاسك مع الأسطول الإنكليزي في ٢٨ ديسمبر ١٦٢٠. لجأ روي فيريرا إلى هرمز، وبدأت السفن البرتغالية تنفذ غارات بحرية على امتداد الساحل

---

[١]. بغض النظر عما سيقال لاحقاً حول اشتراك الإنكليز في طرد البرتغاليين من منطقة الخليج العربي، فقد ذكر – حتى المدافعون عن السياسة البريطانية بأن تحرير هذه المناطق الواقعة على الساحل العربي تم بقوى فارسية.

[٢]. انظر **.Bayani K**، مرجع سابق، ص ٧٨ و ٢٣٦.

[٣]. انظر**Belgrave** ، مرجع سابق، ص ١٠.

الشمالي للخليج. وعندها تم نهب المدن، وحرق القرى، وقتل السكان المسالمين. وكان الهدف من وراء ذلك نشر الرعب في قلوب السكان وإرهابهم. إلا أن هذه القسوة لم تؤت ثمارها إذ جاءت النتائج معاكسة تماماً لما كان يرجوه البرتغاليون.

كان النضال المظفر للسكان الأصليين ضد البرتغاليين على كلا ساحلي الخليج، وتدمير الأسطول البرتغالي أساساً لطرد البرتغاليين من حصنهم الأساسي الذي أقاموه في الخليج العربي, وهو هرمز.

في أواخر عام ١٦٢٠ ضرب حصار شديد على هرمز، وكان الساحل الفارسي مقابل الجزيرة تحت سيطرة اللاوردي خان. أما القلعة التي سارع البرتغاليون في إنشائها بعد خسارة بندر عباس في قشم (التي أصبحت الآن تمد هرمز بماء الشرب والمؤن) فقد حاصرتها القوات الفارسية التي يقودها إمام قولي خان، الذي تجاهل تهديدات الحكومة الإسبانية- البرتغالية بإشعال الحرب؛ إذا لم تتم تلبية طلبها برفع الحصار عنها.

في أوائل شهر فبراير عام ١٦٢٢ طلب إمام قولي خان من قادة السفن الإنكليزية الراسية في بندر عباس دعم الحصار من البحر بهدف معادلة قوة تأثير الأسطول البرتغالي الراسي بين قشم وهرمز[1].

وعلى الرغم من أنه كان هناك اتفاق ينص على أن يقدم الإنكليز المساعدة العسكرية إلى فارس مقابل السماح لهم باحتكار تجارة الحرير، إلا أن هؤلاء طالبوا، إضافة إلى ذلك، بتسليمهم قلعة هرمز مع جميع التحصينات، والمدفعية، والعتاد العسكري، والذخيرة، والمستودعات وغير ذلك بعد أن يتم طرد البرتغاليين منها؛

1. انظر خليج فارس. مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٩٦.

والتعويض عن إجمالي النفقات الحربية بتقسيم الغنائم مناصفة بينهم وبين الفرس؛ ومنحهم نصف عوائد بندر عباس الجمركية؛ وإعفائهم نهائياً من دفع الضرائب؛ والسماح بوجود سفينتين حربيتين إنكليزيتين في الخليج العربي بشكل دائم[1].

لاشك بأن القبول بهذه المطالب يعد استبدالاً فعلياً للمستعمرين بآخرين. وفي رده على ذلك لجأ إمام قولي خان إلى التهديد مصرحاً بأنه إذا رفض الإنكليز تقديم المساعدة والدعم إلى الفرس في أعمالهم القتالية ضد البرتغاليين فإنه سيحرمهم من الامتيازات الممنوحة لهم كافة، كما ستتم مصادرة الحرير الذي اشتروه في أصفهان[2]. في الحادي عشر من فبراير اقتحمت القوات الفارسية القلعة في قشم واستولت عليها. وتمركزت في هذه القلعة حامية فارسية تضم بينها أربعة مراقبين إنكليز. والمؤشرات التي تحدد مدى المشاركة المتواضعة للإنكليز في مثل هذه العمليات القتالية هو سقوط ثلاثة قتلى لهم خلال المعركة[3]. وكان من نتائج هذه المعركة أيضاً وقوع فيريرا، وغيره من البرتغاليين في الأسر، وإرسالهم إلى سورات ـ مركز المستعمرات البريطانية في الهند كرهائن[4]. إلا أن فيريرا تمكن من الفرار من الأسر.

بعد أسبوع واحد نفذت القوات الفارسية عملية إبرار[5] في هرمز، واستولت على المدينة. وعندها لجأت الحامية البرتغالية إلى القلعة لحماية نفسها، فضربت القوات الفارسية عليها حصاراً دام شهرين. وكدعم رمزي للقوات الفارسية التي تحاصر

1. كان يحق للفرس بناء قلعة ثانية على الجزيرة تكون مساحتها مقسمة مناصفة بين المتحالفين. وكان على الأسرى من النصارى أن يتبعوا للإنكليز، والمسلمين للفرس.

2. انظر بياندور مرجع سابق، ص ١٨.

3. انظر **Wilson A.T.** مرجع سابق، ص ١٤٦.

4. انظر **Purchas** مرجع سابق، المجلد ٥، ص ٢٥٣.

5. مصطلح عسكري يعني انتقال القوات من البحر إلى البر...............المترجم

القلعة، رست سفن إنكليزية وهولندية في ميناء قرب هرمز. وفي منتصف إبريل استولى الفرس على قسم من جدار القلعة. في الحادي والعشرين من الشهر نفسه لم ينتظر البرتغاليون اقتحام الفرس للقلعة، وسارعوا بإجراء مفاوضات الاستسلام مع [الوسطاء] الإنكليز من خلال قائد القوات التي تحاصر القلعة. وفي الثالث والعشرين من إبريل استسلمت الحامية البرتغالية.

صحيح أن مشاركة الإنكليز في الاستيلاء على هرمز لم تكن فعالة بل كانت متواضعة للغاية؛ إلا أنهم كانوا نشطاء جداً في نهب القلعة. وبعد أن عزوا إلى أنفسهم دور الوسطاء في المباحثات التي جرت لاحقاً مع الحكومة الفارسية، وادعائهم بأنهم "دعموا القوات الفارسية"، التي فرضت الحصار على القلعة، طالبوا بمنحهم امتيازات مختلفة، كتعويض عن خسائرهم.

والواقع أن خسائرهم في هذه المرة كانت قاسية؛ إذ إنهم فقدوا ثلاثة أرباع قواتهم. إلا أن عدد من قتل منهم في أثناء المعارك خلال محاصرة القلعة لم يتجاوز عشرين شخصاً. أما البقية فقد قضوا من شدة الحر، والإفراط في شرب الخمر، وكذلك من جراء أمراض أصيبوا بها[1].

كنا قد أشرنا آنفاً إلى أن إمام قولي خان هدد الإنكليز بمصادرة الحرير منهم، وإلغاء الامتيازات الممنوحة لهم كافة إذا ما رفضوا مساعدة القوات الفارسية ودعمها في الأعمال القتالية ضد البرتغاليين. ونقول هنا إن ما حمل الإنكليز على المشاركة في محاصرة القلعة هو"الرهبة لا الرغبة" كما يقال، مع أن طرد منافسيهم من هرمز يصب في مصلحتهم. ويمكن لهم أن يستخدموا ذلك الضغط حجة يسوغون فيها موقفهم أمام

[1]. تحدث ويلسون عن ذلك مستنداً إلى أقوال شاهد العيان فوستر. انظر **Wilson A.T.** مرجع سابق، ص ١٤٩.

الإسبان الذين تجمعهم مع الإنكليز علاقات سلام رسمية، كما أنهم سيستفيدون من مطالبة فارس بالتعويض والمكافئة.

والواقع أن تقديم الاعتذار إلى الحكومة الإسبانية لم يكن صعباً؛ ولاسيما أن الإنكليز لم يلعبوا عملياً سوى دور الوسيط؛ إذ لم يكن للإنكليز من دور يلعبونه عملياً، سوى دور الوسيط. أما فيما يتعلق بالحكومة الفارسية فقد أكد الشاه على فرمان كان قد أعطاه في عام ١٦١٧ إلى كونوك، وبموجبه أعطى الإنكليز الحق باحتكار تجارة الحرير، وتم إعفاؤهم من دفع الرسوم الجمركية على بضائعهم في أصفهان، كما سمح لهم فيما بعد باستئجار بيتين في بندر عباس، وتحويلهما إلى وكالة (محطة) تجارية، ولم يسمح لهما بإنشائهما ليحول دون إمكانية تحويل مثل هذه البيوت إلى قلاع.

وطالب الهولنديون أيضاً بامتيازات. وفي عام ١٦٢٣ أبرمت معهم اتفاقية تجارية[١].

لم يفت المؤرخين الإنكليز إرجاع الفضل في تحرير هرمز إلى القوات الإنكليزية عندما ذكروا في مراجعهم التاريخية أنّ "حفنة من البواسل الإنكليز" قاموا بتحرير هرمز وطردوا البرتغاليين من الخليج العربي[٢]، وتناسوا أي مشاركة للقوات الفارسية في القتال. كما لم يشيروا إلى أي دور للسكان في كفاحها ضد البرتغاليين. وإضافة إلى أنه لا يمكن إثبات أن "حفنة من البواسل" الإنكليز استطاعت طرد الحامية البرتغالية المؤلفة من ٣٠٠٠ رجل تجدر الإشارة إلى الأمور الآتية:

---

١. صدق بياني تماماً إذ قال أن الهولنديين شاركوا في القتال ضد البرتغاليين في الخليج العربي حتى يتسنى لهم في المستقبل الاستناد إلى ذلك عند المطالبة رسمياً بامتيازات خاصة بالتجارة. انظر **Bayani**، مرجع سابق، ص ١٣٧. وللاطلاع على نص الاتفاقية المدرجة في تقرير عزيزي انظر خليج فارس المجلد الثاني، ص ١٠.

٢. انظر مثلاً في كتاب **Wilson A.T.** مرجع سابق، ص ١٥٣.، وفيه أيضاً عدد قوات الحامية البرتغالية انظر ص ١٤٧.

أولاً – تبين الوثائق الإنكليزية المتزامنة مع هذا الحدث بشكل مفصل أن الفرس كانوا يشكلون القوة الرئيسة التي استولت على القلعة[1].

ثانياً– انحصر دور الإنكليز في أثناء القتال بتزويد الفرس بالبارود لتفجير جدران القلعة، وفي إحراق إحدى السفن البرتغالية. وكان ذلك في اللحظة التي اتضحت فيها نتيجة المعركة والحصار. (أصبحت مدينة هرمز بأيدي القوات الفارسية، وتكبدت الحامية التي تمت محاصرتها في القلعة لأكثر من شهرين خسائر جسيمة في الأرواح بسبب الطقس الحار، والافتقار إلى مياه الشرب، وتفشي الأمراض)[2].

ثالثاً– تبين فيما بعد أن اشتراك الإنكليز في الاستيلاء على هرمز اتسم منذ اللحظة الأولى حتى اللحظة الأخيرة بطابع ذي معنيين.

كان لسقوط هرمز صدى كبير في أوربا، ولاسيما في بلاط مدريد. وكان ذلك إيذاناً بهزيمة النظام البرتغالي في الخليج العربي، وتقويضاً واضحاً لسيادة البرتغال على مياه خليج عمان. وفي العقود التالية من القرن السابع عشر، ونتيجة للضعف العام الذي أصاب البرتغال، استمر الإنكليز في مقارعتهم في منطقة الخليج، ولكن بالقدر الذي يمكنهم من الحيلولة دون استرداد فارس لكامل أراضيها المحتلة؛ إذ كان الإنكليز في هذه المرحلة يتطلعون لأن يحلوا محل البرتغاليين بعد هزيمتهم.

عندما طلب الفرس من الإنكليز مشاركتهم في المعارك لتحرير مسقط رفضوا هذا الطلب بعبارات "منمقة"، إضافة إلى أنهم ربطوا مشاركتهم بشرط لا يمكن تنفيذه،

---

1. انظر الوثيقة رقم ١٩٤ تاريخ ١٩ ديسمبر ١٦٢٢.في المجلد الثالث من (Calendar of the State Papers.-Colonial Series East Indies, Vol. ١-٤. L., ١٨٧).

2. للاطلاع على شهادة الشهود بيندر، وويلسون، ومونوكس انظر Wilson A.T. مرجع سابق، ص ١٤٨؛ وعلى رأي بيلغريف الذي لا يمكن الشك في توجهه المناوئ للفرس انظرBelgrave ، مرجع سابق، ص ١٢.

وهو إعطاؤهم هرمز[1]. وعلى ضوء أعمال الإنكليز التي تقبل تأويلين ظهر احتمال أن فرار "روي فيريرا"، الذي كان قد وقع في الأسر لم يحدث مصادفة. وخصوصاً أنه بعد أن جمع شتات المفارز البرتغالية قاد مقاومة ضد القوات الفارسية المهاجمة. وكان يقوم بأعمال ناجحة لدرجة أنه تمكن من الاستيلاء مجدداً على صحار، وخورفكان، وتدمير البلدات الفارسية على ساحل خليج عمان بين جاسك وبندر عباس، وقطع اتصالات هرمز الخارجية.

بعد أن أحرزت القوات الفارسية أولى انتصاراها على البرتغال أوفد ملك إسبانيا فيليب الثالث بعثة برئاسة "غارسيا دا سيلف فيغويرو" آملاً بأن يعيد هيبة البرتغال التي اهتزت بشدة. إلا أن الشاه عباس لم يعر هذه البعثة الاهتمام اللازم. وفي عام ١٦٣١ حاول البرتغاليون الاستيلاء على هرمز من جديد؛ إلا أن محاولتهم باءت بالأخفاق[2]. وفي عام ١٦٤٠ فقدوا البصرة التي احتلها العثمانيون[3].

وأملاً في تثبيت أقدامهم في ما تبقى لهم من مواقع يحتلوها، شيد البرتغاليون طابية[4]، وأسسوا محطة تجارية على بعد ٧ كم شمال غرب لنجة، واحتفظوا بحق إعفاء بضائعهم من الرسوم الجمركية. وفي هذه الأعوام أيضاً عملوا على استثمار مضاحل اللؤلؤ في البحرين. وفي العقد الثالث والرابع من القرن السابع عشر حافظ الشاه صافي الأول، والشاه عباس الثاني، على استمرار العلاقات مع البرتغاليين. وعملا على الاستفادة من الخلافات القائمة بينهم من جهة، وبينهم وبين الإنكليز والهولنديين من

---

١. Calendar of the State Papers.-Colonial Series East Indies, Vol. ١-٤. (L., ١٨٧٠)، المجلد الثالث رقم ٣٧٢.

٢. انظر خليج فارس مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٩٦-١٠٠.

٣. انظر Watson R. مرجع سابق، ص ٧.

٤. منشأة دفاعية محصنة كالقلعة أو البرج.. المترجم

جهة ثانية. حتى إنهما أرادا الاستفادة من الأسطول البرتغالي، الذي لا يزال يعد قوياً، لوقف التزايد السريع في نفوذ الإنكليز بشكل عام، ونفوذ الهولنديين بشكل خاص[١].

وذلك على الرغم من أن هذا الأسطول لعب دوراً كبيراً في غارات السلب والنهب على امتداد الساحلين الفارسي والعربي للخليج العربي، وخليج عمان، مما أوقع السكان في قبضة الفقر والإفلاس، وزاد أكثر فأكثر من مشاعر الحقد والكراهية في نفوسهم تجاه البرتغاليين[٢].

عندما اضطر البرتغاليون للانسحاب من لنجة في نهاية الأمر حاولوا أن يجعلوا من مسقط مركزاً لمستعمراتهم. وجرى تعيين روي فيريرا، الذي سبق ذكره قومنداناً للقلعة[٣].

كما تم المجيء بابن أخ حاكم هرمز السابق إلى مسقط، وكان البرتغاليون يأملون باستخدامه ألعوبة في أيديهم بعد إجبار سكان الساحل العربي على الاعتراف به إماماً عليهم. غير أن البرتغاليين أخفقوا في جعل مسقط تصل إلى المستوى التجاري الذي كانت عليه هرمز فيما مضى.

ويعود السبب في ذلك إلى اهتمام الإنكليز والهولنديين بالتجارة عبر بندر عباس، التي تحولت إلى مركز التجارة الرئيس في الخليج العربي. إلى جانب ذلك كان

---

١. انظر خليج فارس مرجع سابق، المجلد الثاني، ص١٠٠.

٢. انظر Belgrave ، مرجع سابق، ص ١٣.

٣ توفي روي فيريرا في مسقط في عام ١٥٣٢، وجرى دفنه في كنيسة يقع على أساسها اليوم قصر السلطان. انظر **Belgrave**، مرجع سابق، ص ١١.

التجار المحليون، الذين يتذكرون ظلم البرتغاليين لهم واستبدادهم يتجنبون الدخول إلى المناطق التي كان المستعمر البرتغالي لا يزال مسيطراً عليها[١].

الجلاء النهائي للاستعمار البرتغالي عن الخليج:

كان العقد الرابع من القرن السابع عشر مرحلة الجلاء النهائي للبرتغاليين عن منطقة الخليج العربي[٢]. وفي عام ١٦٤٣ حرر العمانيون صحار. وفي أواخر عام ١٦٤٨ جمع حاكم عمان[٣] قوة ضخمة وضرب حصاراً على مسقط إلى أن أجبر البرتغاليين على الاستسلام[٤].

وتعهد البرتغاليون في شروط الاستسلام بدفع تعويضات كبيرة عن الحرب، وهدم التحصينات في نقاط الاستناد الهامة على ساحل صور وقريات. وحصلت السفن العربية على حق إعفاء التجارة من دفع الرسوم الجمركية.

وقد بقيت الحامية البرتغالية في مسقط ما يقرب من السنة. وفي أواخر عام ١٦٤٩ ضرب العمانيون حصاراً جديداً على قلعة مسقط إلى أن أرغموا البرتغاليين على تسليم قلعتهم في عام ١٦٥٠[٥] والرحيل عن مسقط.

وجدير بالذكر أن من أهم الأسباب التي أدت إلى زوال السيطرة البرتغالية على الخليج العربي:

١. **Miles S.p**. مرجع سابق، المجلد الأول، ص ١٩١-١٩٢، ٢٠٩.
٢. في عام ١٦٤١ اضطرت البرتغال للقبول بحماية هولندا.
٣. أي ناصر بن مرشد، وهو أول من تولى الإمامة من اليعاربة في عام ١٦٢٤............المترجم
٤. انظر **Watson R.** مرجع سابق، ص ١٥٥.
٥. كان ذلك في عهد الإمام سلطان بن سيف، الذي تولى الحكم بعد وفاة ناصر بن مرشد عام ١٦٤٩...المترجم.

أولاً– حدوث أزمة داخلية في الدولة الاستعمارية في النصف الثاني من القرن السادس عشر، مما أدى إلى إضعافها في حروبها مع الدول المنافسة لها؛

ثانياً– انتفاضة سكان الساحل وجزر الخليج العربي وخليج عمان للنضال ضد المحتلين، بعد أن أصبحوا قوة فعالة على قدم المساواة مع القوات الفارسية لطردهم من المنطقة؛

ثالثاً– قيام جميع الدول السائرة على طريق التطور البرجوازي والتوسع الاستعماري: هولندا، وإنكلترا، وفرنسا بتأدية نصيبها في ذلك. والواقع أن مساهمة هولندا وإنكلترا في طرد البرتغاليين من الخليج كانت متواضعة جداً، ولاسيما قبل استيلاء القوات الفارسية على هرمز. أما فرنسا فلم تكن سفاراتها قد ظهرت في بلاط الشاه لأول مرة إلا في عام ١٦٢٨. فعندما علمت فرنسا بسقوط هرمز عرضت على فارس عقد تحالف سياسي وتجاري ضد الإسبان والبرتغاليين[1]. ولم تكن للفرنسيين أي مشاركة في الأعمال القتالية ضد البرتغاليين في الخليج العربي.

الأوضاع في الخليج بعد جلاء الاستعمار البرتغالي

على الرغم من أنه كانت للدول الثلاث: هولندا وإنكلترا، وفرنسا رغبة مشتركة في الصراع ضد البرتغال وإسبانيا، وهي القضاء على سيطرتهما الاستعمارية والتجارية في أي مكان من العالم، إلا أنه كانت فيما بين هذه الدول الثلاث خلافات جدية وخطيرة؛ إذ أخذت كل منها تقف على طريق التوسع الاستعماري، وتتطلع للاستيلاء على كل ما أمكن من المناطق التي انسحب منها المستعمرون السابقون بعد مزاحمة المنافسين لهم.

---

[1]. انظر Bayani K.، مرجع سابق، ص ٨٨.

وقد كان ميزان القوة في الصراع بين هؤلاء "الحلفاء" الثلاث، حتى لحظة طرد البرتغاليين من الخليج العربي وخليج عمان يميل لصالح هولندا. صحيح أن فرنسا كانت أكثر قوة في البر من هولندا، إلا أن الأولى كانت متخلفة عن الثانية كثيراً في مجال التجارة.

وكانت إنكلترا أيضاً متخلفة عن هولندا، سواء من حيث مساحة المستعمرات، أو في مجال تداول السلع، وكذلك الأمر بالنسبة لعدد السفن العاملة في التجارة. وكانت هولندا تعد في القرن السابع عشر الدولة الرأسمالية النموذجية التي ازدهر نظامها الاستعماري بشكل كبير. وعلى الرغم من أن الإنكليز قد سبقوا هولندا في التوغل في الخليج العربي بمدة طويلة، إلا أن النجاح الذي حققه الهولنديون في القرن السابع عشر في التجارة العالمية انعكس على الأوضاع في الخليج العربي وخليج فارس.

صراع التنافس الأنجلو هولندي في الخليج:

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

ارتبط الصراع التنافسي بين هولندا وإنكلترا في هذه المنطقة بسعي كل منهما لأن تكون الرسوم الجمركية في بندر عباس من حقها. وبعد أن كسب الإنكليز الحق بجباية نصف الرسوم الجمركية انتزع الفرس منهم هذا الحق فيما بعد. وفي عام ١٦٢٦ رفض الشاه السماح للإنكليز بإنشاء قلعة في هرمز. وفي عام ١٦٢٧ حصل الهولنديون على حق التجارة بالحرير الفارسي ضمن شروط نافعة لهولندا أكثر من الشروط الممنوحة للإنكليز.

لم يؤثر ظهور السفارة الفرنسية في فارس في تناسب القوى في الخليج العربي؛ إذ إنّ عدد المنافسين الأساسيين ظل على ما كان عليه في السابق؛ أي هولندا وإنكلترا. إلا أن الثانية أخذت تتراجع تدريجياً تحت ضغوط منافسيها. وبوفاة الشاه عباس الأول

تقلصت الامتيازات التي كانت ممنوحة للإنكليز، في حين حصل الهولنديون على امتيازات وتسهيلات إضافية[1].

في أواخر الثلاثينات حقق الهولنديون تفوقاً واضحاً. وسيطرت البضائع الهولندية على الأسواق في بندر عباس. وفي سعيهم لاحتكار تجارة صادرات فارس، أخذ الهولنديون عام ١٦٤١ يبيعون البضائع الأوربية أحياناً بأقل من سعر التكلفة[2]. ورداً على ذلك انتزع منهم الشاه حق جباية الرسوم الجمركية في بندر عباس. عند ذلك لجأ الهولنديون، الذين حققوا نجاحات في أواسط القرن السابع عشر في الخليج العربي، إلى تهديد فارس باستخدام السلاح.

وفي عام ١٦٤٥ قام رئيس الوكالة التجارية الهولندية في أصفهان كاريل كونستانت بهجوم على جزيرة قشم، وحاصر طرق تجارة الحرير الفارسية. غير أن الظروف المناخية القاسية، التي كانت السبب في القضاء على عدد كبير من الهولنديين، حالت دون إمكانية بقائهم واستقرارهم في الجزيرة.

وبوجود السفن الهولندية في الخليج تعزز موقف الهولنديين. وفي الوقت نفسه أجبرت هذه القوة الاستعراضية الشاه، الذي يفتقر إلى أسطول قادر على مواجهة الهولنديين، على التنازل أمامهم[3] بأن وقع اتفاقية جديدة تمنح هولندا الحق في تصدير

---

[1]. انظر.Bayani K، مرجع سابق، ص ١٢٧.

[2]. انظر Wilson A.T. مرجع سابق، ص ١٦٣.

[3]. أنظر خليج فارس مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٠١.

الحرير من جميع الموانئ الفارسية بالسعر الـذي تحـدده، ودون أن تـدفع الرسـوم الجمركية[1].

اضطر الإنكليز تحت ضغط المنافسين إلى تقليص عملياتهم التجارية في أصـفهان لدرجة كبيرة جداً. كما اضطروا في عام ١٦٤٥ إلى نقل قاعدة تجارتهم الأساسية مـن بندر عباس إلى البصرة. وعند ذلك بدأ الهولنديون بتوسيع رقعة حربهم التجارية ضـد الإنكليز ومدوها إلى العراق بأن أرسلوا إلى البصرة في عام ١٦٤٩ أسطولاً مؤلفاً من ثماني سفن. وأخذت هذه السفن تقصف الوكالة التجاريـة الإنكليزيـة في البـصرة، وألحقت بها خسائر جسيمة.

وفي العام نفسه وصل إلى بندر عباس أسطول هولندي مؤلف مـن ١١ سـفينة دون أن يعيقه عائق. وكان محملاً بشحنة ضخمة من البضائع، أدت إلى شل الحركـة التجارية الإنكليزية فعلياً[2]. وبحلول منتصف القرن السابع عشر بلغت هولنـدا أوج قوتها. وفي النصف الثاني من القرن نفسه أخذت إنكلترا تزيد مـن وتـيرة تطورهـا الصناعي بصورة تدريجية، وأصبحت المنافس الأشد والأكثر خطورة علـى هولنـدا. واندلع صراع مرير بين هاتين الدولتين شمل منطقة الخليج العربي أيـضا. وفي الحـرب الإنكليزية – الهولندية الأولى (١٦٥٢– ١٦٥٤) منيت إنكلترا هنا بهزيمتين:عند رأس جاسك (في عام ١٦٥٣)، حيث أُغرقت لها ثلاث سفن؛ وفي بندر عبـاس (في عـام ١٦٥٤)، حيث أُغرقت لها سفينتان[3].

---

١. استناداً إلى أقوال عزيزي، كان ممثل الجانب الهولندي في أثناء التوقيع على الاتفاقية قائد الأسطول نيكولو بلاك. انظر خليج فارس مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١١.

٢. رفض الشاه الذي أزعجه ازدياد مطالبة الهولنديين له باحتكار كل التجارة الفارسية أن يمنحهم امتيازات مساوية لامتيازات الإنكليز. أنظر خليج فارس، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٩٧، ١٠١.

٣. أنظر خليج فارس مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٠١.

على الرغم من النجاحات التي حققتها هولندا إلا أن مصيرها في الصراع مع إنكلترا كان قد تقرر بالعامل نفسه الذي ضمن في السابق الانتصار على البرتغال؛ أي بالتطور المبكر للمرحلة الأولى في طريق الإنتاج الرأسمالي في إنكلترا، وهي صناعة المنسوجات. ففي بداية القرن السابع عشر ظهر في هولندا أول معمل للنسيج، في حين لم تتوافر الظروف آنذاك لتطور مثل هذه المعامل في البرتغال.

وصارت سيطرة هولندا التجارية في القرن السابع عشر (حتى في مستعمراتها)، التي ضمنت أسواق ترويج منتجاتها النسيجية المتزايدة، وتكديس رأس المال الأولي السريع، أساس تطورها الصناعي. إلا أن معامل النسيج الإنكليزية في بداية القرن الثامن عشر استطاعت التفوق على نظيرتها الهولندية. وبذلك انتهى تفوق هولندا سواء في الصناعة، أو في التجارة.

يذكر "كارل ماركس" أن قصة انهيار هولندا تجسد في إخضاع رأس المال التجاري إلى رأس المال الصناعي؛ حيث إن السيطرة التجارية إذا كانت في مرحلة صناعة المنسوجات تحدد السيطرة الصناعية، فإن السيطرة الصناعية هي التي أدت فيما بعد إلى السيطرة التجارية[1].

انعكس ازدياد قوة إنكلترا وانتصارها النهائي في الحرب الأنجلو- هولندية على الأوضاع في الخليج العربي. وفي أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر تعززت مواقع الإنكليز على حساب الهولنديين. وجدير بالذكر أن الإنكليز لم يكونوا بعد قد أظهروا جوهر سياستهم الاستعمارية وحقيقتها بصورة فعلية، وفي الوقت نفسه فقدوا هيبتهم في أعين سكان المنطقة.

---

[1]. انظر ماركس ك. رأس المال، المجلد ٢٣، ص٧٦٤.

أما الهولنديون فقد أظهروا نظامهم الاستعماري الذي يُظهر "صورة لا مثيل لها في الغدر والخيانة والرشوة والقتل والدناءة"[١]. الأمر الذي أوغر الحقد والكراهية في صدور جميع طبقات المجتمع، وحثهم على المقاومة. حتى إنّ الأوساط الحاكمة في فارس ناضلت ضد نفوذ الهولنديين المتناهي في التطرف، وسعت لمواجهتهم بالإنكليز.

ففي عام ١٦٩٩ منح الشاه سلطان حسين تسهيلات إلى الوكالة التجارية الإنكليزية في أصفهان، مؤكداً سعيه إلى توسيع العلاقات التجارية مع إنكلترا. في حين رفض السماح للهولنديين، الذين استولوا قبل ذلك بمدة قصيرة على قشم ببناء تحصينات في بندر عباس[٢].

كان النصف الثاني من القرن السابع عشر مرحلة انتصارات حققها الإنكليز في تنافسهم مع هولندا في ميدان التجارة، ونصراً عسكرياً عليها بتحالفهم مع فرنسا[٣].

ضعف الدولة الصفوية في فارس

وفي تلك الأعوام ظهرت في فارس دلائل تشير إلى ضعف الدولة الصفوية. ففي عهد الشاه سليمان (١٦٦٧-١٦٩٤) لم تتخذ الحكومة الإجراءات المناسبة التي من شأنها تثبيت الحدود وتقويتها. كما أن التجارة الخارجية للدولة قد تقلصت كثيراً على الرغم من أن بلاط الشاه سعى لجذب الكثير من التجار الأجانب إلى فارس، ولاسيما الأوربيون بتقديم التسهيلات، ومنحهم الامتيازات. وعلى مشارف القرنين السابع عشر والثامن عشر حدث انهيار عام في جميع مجالات الحياة الاقتصادية في فارس.

---

١. انظر ماركس ك. رأس المال، المجلد ٢٣، ص٧٥٠.

٢. أرشيف سياسة روسيا الخارجية.

٣. أشار المؤرخ الإيراني بياني بصدق إلى أن المصالح التجارية للإنكليز تشابكت تماماً في النصف الثاني من القرن السابع عشر مع المصالح السياسية. انظر خليج فارس مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٠١.

ويعود السبب الأساسي في ذلك إلى الاستغلال الإقطاعي الهائل للفلاحين دون أن يرافق ذلك نمو القوى الإنتاجية، مما أدى إلى إفلاس مزارع الفلاحين. ولوحظ الركود في تطور مزارع الإقطاعيين الكبيرة، التي كانت تقسم وتؤجر. وساد نظام ريع الإيجار الخماسي. وفر الفلاحون إلى المدينة نتيجة الاستغلال غير المحتمل، الذي كانوا يتعرضون له، الأمر الذي ترك أثره البالغ في الزراعة. كما تعرض إنتاج الصناعات اليدوية في البلاد إلى أزمات شديدة. وكان من نتائج التدهور العام في الحياة الاقتصادية في فارس ازدياد نفوذ رجال الدين، وحدوث ركود في الحياة الثقافية للبلاد، وتخلفها. إلى جانب ذلك أثر في تجارة فارس أيضاً تغير مسار طرق التجارة الدولية.

ففي السابق كانت طبقة التجار في فارس تحصل من خزينة الدولة على موارد كبيرة من الوساطة التجارية. حيث كانت ثروة هرمز تعتمد ضمناً على هذه الوساطة. وفي بداية القرن الثامن عشر أصبح الخليج العربي منعزلاً عن طريق التجارة البحري الرئيس حول أفريقيا.

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

عندما كانت دول العالم المتقدمة تمضي في طريق التطور الصناعي في القرن الثامن عشر أدى بقاء أساليب الإنتاج الإقطاعي، وأزمة القوى العاملة المنتجة، إلى إعاقة عملية التطور المستمر في فارس. وأدى تخلف فارس تدريجياً طيلة القرن السابع عشر إلى ازدياد وضعها سوءاً، بوصفها دولة تعتمد على الدول الرأسمالية الأوربية.

استغل الإنكليز الضعف الذي أصاب فارس في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر لتوسيع مواقعهم وترسيخها في الخليج العربي. وفي هذا الوقت تعزز أيضاً النفوذ الفرنسي في المنطقة.

حاول الفرنسيون منذ اللحظة الأولى لظهورهم في بلاط الشاه عباس تثبيت أقدامهم والاستقرار في الخليج العربي. وكانت المرحلة الهامة على هذا الطريق قيامهم في عام ١٦٦٤ بتأسيس وكالة تجارية في بندر عباس، والحصول على امتيازات تجارية.

وعلى مشارف القرنين السابع عشر والثامن عشر غدت إنكلترا وفرنسا الدولتين الأساسيتين في العالم اللتين تتنافسان على السيطرة الاستعمارية. والجدير بالذكر أن الفرنسيين وقفوا إلى جانب الإنكليز في عدد من الصدامات التي وقعت بينهم وبين الهولنديين. فقد كانت هاتان الدولتان مهتمتين على قدم المساواة بتقويض التجارة الاحتكارية لهولندا. إلا أن خلافات برزت في هذه المرحلة أيضاً بين إنكلترا وفرنسا؛ إذ سعت كل واحدة منهما إلى السيطرة، منفردة، على الثروات الضخمة، وإقامة العلاقات التجارية المربحة، والسيطرة على المواقع التي خلفتها هولندا.

وتحولت المنافسة الحادة بين هاتين الدولتين إلى حرب دخلت التاريخ باسم "الحرب على الإرث الإسباني" (١٧٠١– ١٧١٣). وكان ميدانها بشكل أساسي في أوربا. غير أن المنافسة بين هاتين الدولتين ظهرت أيضاً في المستعمرات التابعة لهما؛ أي في جميع المناطق التي كان الوكلاء والتجار الإنكليز والفرنسيون يصطدمون فيها بعضهم مع بعض.

زاد الفرنسيون نشاطهم في منطقة الخليج العربي بشكل كبير في أوائل القرن الثامن عشر. ففي عمي ١٧٠٨ و ١٧١٥ أبرموا اتفاقيات مربحة مع سلطان حسين، آخر شاه صفوي[1]. وعندها تم إعفاء التجار الفرنسيين من دفع الرسوم والضرائب، وضمنت لهم السلطات المحلية الحفاظ على ممتلكاتهم.

[1]. انظر [Aitchison C. U.]، مرجع سابق، المجلد العاشر، ص ٣.

في هذه الحقبة كان الضعف قد ألم بالسلطة المركزية في فارس، مما دفع بحكام بعض المناطق إلى استغلال هذه الفرصة والاستقلال بأنفسهم عن فارس. كما خاضوا صراعاً داخلياً من أجل توسيع ممتلكاتهم في منطقة الخليج العربي. وقد حقق حاكم عمان في ذلك نجاحات كبيرة[١]. وعندها اتسمت خطواته بطابع التهديد إلى درجة أن الشاه سلطان حسين بدأ بالإعداد لحملة ضد عمان.

ولأن الشاه كان يفتقر إلى وسائل نقل بحرية لنقل قواته عبر الخليج، وقع اتفاقية مع فرنسا في عام ١٧١٥ تضمنت مادة يتنازل لها فيها عن بعض أماكن صيد اللؤلؤ في البحرين مقابل مساعدته في معركته ضد عمان[٢]. إلا أن الفرنسيين لم يعملوا على تنفيذ هذه الاتفاقية على الرغم من فائدتها لهم. وبعد مماطلة دامت ثلاث سنوات قررت حكومة الشاه اللجوء إلى البرتغال في جوا طلباً للمساعدة البحرية.

وفي النتيجة نشأ من الصراع بين فارس وعمان بشأن البحرين وضع طريف؛ فقد كان الإنكليز والهولنديون يمدون العمانيين بالسلاح، في حين كان البرتغاليون يرسلون سفنهم، وإن كان ذلك ضمن شروط، وعن غير رغبة منهم، لنقل قوات الشاه عبر الخليج.

وبهذا الشكل نجحت فارس في إخضاع البحرين إلى سلطتها في عام ١٧١٨، وتم تكليف الشيخ جابر بإدارة جزر البحرين من ميناء "طاهيري" على الساحل الشمالي للخليج[٣]. إلا أن الفرس لم يستطيعوا المحافظة على هذا النجاح، على الرغم من أن

---

١. للتعرف على عمان ومشيخات الخليج بشيء من التفصيل انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب.

٢. انظر خليج فارس (مرجع سابق). المجلد الثاني، ص ٣٢.

٣. Faroughy A. The Bahrein Islands (٧٥٠-١٩٥١). A Contribution to the Study of Power Politics in the Persian Gulf. N. Y., ١٩٥١. pp.٦٦-٦٧

الفرصة كانت متاحة لهم بوفاة سلطان عمان، ووقوع نزاع داخلي وصراع على الحكم؛ إذ سرعان ما تشكل في فارس وبعد هذه الأحداث وضع خطير بسبب الغزو الأفغاني.

ففي عام ١٧٢٢ ثارت القبائل الأفغانية ضد سلطة الصفويين واستولى الأفغانيون على العاصمة الفارسية أصفهان، وكذلك على المناطق الجنوبية الشرقية للبلاد. وسرعان ما استغل الإنكليز والهولنديون هذا الوضع. ففي عام ١٧٢٧ احتل الإنكليز قشم، في حين احتل الهولنديون هرمز[١]. وفي بداية الثلاثينات فقط أوقف التدخل الأوربي الهجوم الأفغاني.

نادر شاه في سدة الحكم:

عندما استولى نادر شاه على عرش فارس في عام ١٧٣٦ قاد الصراع ضد الأفغان. وبعد أن نجح في طردهم بدأ باستعادة سيطرة فارس على منطقة الخليج العربي. ولأن أسلافه كانوا يضطرون للجوء إلى الدول الأوربية طلباً للمساعدة بوسائل نقل بحرية من أجل خوض المعارك، قرر نادر شاه بناء أسطول فارسي وطني. وجرى إنشاء أحواض لبناء السفن في ميناء بوشهر الذي شيِّد حديثاً على ساحل الخليج. وتم نقل الأخشاب لبناء السفن من ولايات فارس الشمالية عبر الطرق الجبلية.

وقبل أن تنجز الحكومة الفارسية أعمال البناء[٢] اشترت أربع سفن حربية، وسفينتي نقل، وعددا من السفن الصغيرة. واليوم يذكر المؤلفون الإيرانيون المعاصرون

١. انظر **Wilson A.T.** مرجع سابق، ص ١٧٥.

٢. توقف بناء الأسطول بعد وفاة نادر شاه

في مؤلفاتهم بفخر كيف ظهر لأول مرة في مياه الخليج أسطول فارسي يحمل شارة السيف الفارسي الأحمر على رقعة بيضاء بعد انقطاع دام تسعة قرون[١].

وفي العام نفسه (١٧٣٦) نفذت قوات فارسية قوامها أربعة آلاف جندي عملية إبرار في البحرين، التي انفصلت عن فارس في أثناء الغزو الأفغاني، وأعادت إخضاع هذه الجزر إلى الشاه مرة أخرى. وسرعان ما أعيد بسط السيطرة الفارسية على الخليج بأكمله من البصرة حتى مكران[٢]. إلا أن محاولات الشاه إخضاع عمان في السنوات التالية لم تنجح.

كان الإنكليز والهولنديون يراقبون كل ما يقوم به نادر شاه في الخليج العربي بعين يقظة. وكانوا يتدخلون بشكل نشط سواء في بناء الأسطول الفارسي، أو في سير الأعمال القتالية. عندما كتب فاروقي عن التمرد الذي وقع على متن السفن الفارسية عام ١٧٤٠ ذكر كيف كان الإنكليز يدعمون المتمردين علناً، وكيف انضم إليهم فيما بعد الهولنديون، الذين انحازوا في البداية إلى المتمردين على السفن.

والشيء المميز أنه عند إجراء المفاوضات حول شروط إنهاء التمرد كان أحد الإنكليز يمثل المتمردين في تلك المفاوضات. وعندها تعين على الأميرال الفارسي إجراء المفاوضات مع بحارة الأسطول الفارسي باللغة الإنكليزية من خلال مترجم[٣].

كان لابد أن يؤثر زيادة قوة المملكة في عهد نادر شاه في مستوى فارس عموماً على العلاقات المتبادلة مع الدول الأوربية. وعندها اقتصر نشاط الأوربيين على الامتيازات التي أكد عليها الشاه فقط.

---

١. انظر **Faroughy A.** مرجع سابق، ص ٦٨.

٢. انظر بياندور، مرجع سابق، ص ٢٣.

٣. انظر **Faroughy A.** مرجع سابق، ص ٦٩.

إلى جانب الأعمال التي ساعدت على زيادة قوة فارس، خاض الشاه نادر خلال سنوات حكمه العشر حروباً عدوانية طاحنة في الدولة العثمانية، والهند، وآسيا الوسطى. وتلك الحروب لم تعد على الشعب الفارسي بشيء سوى المزيد من الثقل والضغط.

صحيح أن غزوات نادر شاه أدت إلى ضم مساحات شاسعة من الأراضي إلى فارس من شرقها وغربها، إلا أن الدولة التي أسسها لم تكن تمثل خليطاً متيناً من القبائل والشعوب، ولهذا سرعان ما تفككت بعد مقتله في عام ١٧٤٧. وتقلصت تجارة فارس من جديد بعد موت نادر شاه وتجدد النزاعات الداخلية.

وقد كان الباحث الإيراني المعاصر تاج باخش محقاً تماماً عندما ذكر أن "الأوربيين، لاسيما الإنكليز كانوا مستاءين تماماً في عهد نادر شاه من وجود قوة محلية حقيقية تشكل خطورة على مصالحهم السياسية والتجارية"[١]. إلا أن رحيلهم النهائي عن فارس لم يتم إلا بعد وفاة نادر شاه.

ففي عام ١٧٥٠ تم إغلاق الوكالة التجارية الإنكليزية في أصفهان، وفي عام ١٧٥٢ أغلقت الوكالة التجارية الهولندية في بوشهر، وفي عام ١٧٦٣ غادر الإنكليز بندر عباس، التي كان الهولنديون قد خرجوا منها قبل ثلاث سنين. وانتقل المركز التجاري الأوربي في الخليج العربي مؤقتاً إلى الأراضي التابعة للدولة العثمانية– إلى البصرة. وكانت الصدمة الدفعة الأخيرة التي دفعت الإنكليز خارج بندر عباس في عام ١٧٥٩، عندما دمر الفرنسيون وكالتهم التجارية فيها. وكان ذلك حدثاً من أحداث حرب السنوات السبع (١٧٥٦– ١٧٦٣)، التي حسمت قضية السيطرة الاستعمارية والاحتكار لصالح الإنكليز.

---

١. أنظر **Tadjbakhche G. R.** (مرجع سابق)، ص ٤٠.

نشاط الإنكليز في فارس:

في الستينات والسبعينات من القرن الثامن عشر استقرت السلطة المركزيـــة في فارس. غير أن هذه البلاد المفلسة كانت بحاجة إلى تطوير علاقاتها التجارية. ولهذا سعى حاكمها الأعلى آنذاك، كريم خان زيند، الذي لم يكن يحمل لقب شـــاه، إلى تعزيـــز العلاقات التجارية مع الدول الأجنبية، بما في ذلك الدول الأوربية. وفي عـــام ١٧٦٣ سمح لشركة الهند الشرقية [البريطانية] بتأسيس وكالة تجارية في بوشهر، وإعادة افتتاح الوكالة التجارية التي كانت موجودة سابقاً في شيراز. كما أتاح للشركة إمكانية افتتاح مثل هذه الوكالات التجارية، سواء في منطقة الخليج العربي، أو في أية مدينة في فارس.

ويظهر من الاتفاقية الأولية الموقعة بين الإنكليز وشيخ بوشهر، سعدون أن هـــذا الأخير كان مستعداً لممارسة دور الوكيل الإنكليزي في الشؤون التجارية. وإضافة إلى إعفاء الإنكليز من الضرائب، والسماح لهم بإنشاء وكالة تجارية في بوشهر، واحتكـــار استيراد أقمشة الصوف، سمح لهم الشيخ سعدون، بممارسة بعض الوظائف البوليسية، كاعتقال كل من يقوم باستيراد هذا النوع من الأقمشة عن طريق التهريب.

وإلى جانب ذلك وضع شيخ بوشهر كل ما يتعلق بتجارة الميناء تحت الـــسيطرة المطلقة للإنكليز، ومنع ممثلي الدول الأخرى من الاستقرار في بوشهر، مادامت فيهـــا وكالة تجارية للإنكليز. وفي غضون ذلك أصبح موظفو الوكالة التجارية تحـــت حمايـــة الحكومة البريطانية[1].

[1]. وهكذا، بعد أن منح الشيخ سعدون الشركة الخاصة عدداً من الامتيازات بات لزاماً عليه في حـــال حـــدوث خلاف في المستقبل أو اعتراض ما أن يتعامل مع الحكومة البريطانية.

وتعهد الشيخ بمراقبة ما إذا كان أي من التجار الإنكليز يمارس التجارة خارج الوكالة التجارية. وبذلك قدم نفسه كوكيل لشركة الهند الشرقية على استعداد تام لمكافحة المنافسة بين الإنكليز أنفسهم[١].

من الممكن تفسير هذه الامتيازات الكبيرة المقدمة إلى الإنكليز بأحد أمرين: إما أنه تمت رشوة الشيخ سعدون، أو أن هذا الأخير كان متواطئاً معهم. وهو الاحتمال الأكثر رجحاناً؛ إذ في عام ١٧٦٢، عندما تمت تسوية قضية إغلاق الوكالة التجارية الإنكليزية في بندر عباس، ذكر دوغلاس، وكيل شركة الهند الشرقية مبدياً رأيه في نقل الوكالة التجارية إلى بوشهر أن " الحاكم المحلي يرغب في أن ننتقل إلى هناك" [بوشهر][٢].

أدى تدخل الإنكليز في شؤون بوشهر إلى تأزم العلاقات بين الإنكليز وكريم خان لدرجة أن هذا الأخير بدأ يستعد علناً لخوض صراع ضد الإنكليز. وهنا تجدر الإشارة إلى أن المؤلفات الإنكليزية تطرح موضوع الاتفاقية مع شيخ بوشهر بصورة مبسطة، حيث تصور الأمر كما لو أن كريم خان قد أكد على هذه الاتفاقية[٣]. ولكن في الحقيقة لم يكن الفرمان تأكيداً للاتفاقية، فقد تم بموجبه منح قطعة أرض إلى شركة الهند الشرقية من أجل افتتاح وكالة تجارية.

ولم يتم ذكر ما هي هذه الأرض بالتحديد. لكن من الطبيعي أن المقصود هو تقديم قطعة أرض من أراضي الدولة. ويؤكد هذا الافتراض الشرط المتعلق بقطعة أرض

---

١. للاطلاع على نص مُنح كريم خان، والاتفاقية الموقعة مع شيخ بوشهر سعدون انظر: **Aitchison C. U.**، مرجع سابق المجلد الحادي عشر، ص ١٨.

٢. ذكر ويلسون ذلك مستشهداً بـ: **Selections from State Papers No cxv.** انظر **Wilson A.T.**، مرجع سابق، ص ١٧٧.

٣. انظر **Wilson A.T.**، مرجع سابق، ص ٧٨.

تزرع كحديقة، ويتم السماح بشرائها من أحد الأشخاص إذا لم تكن هناك في المقاطعة قطعة من أراضي الدولة. إلا أن الإنكليز لم يحصلوا على حق الملكية القانونية للوكالة. ولهذا سمح شيخ بوشهر للوكالة بأن تملك مدفعية خاصة بها – ٢١مدفعاً، وهو العدد اللازم لرمي طلقات تحية العلم.

مع العلم أن كريم خان حدد لهم عيار هذه المدافع. وفيما يخص الشؤون الإدارية والاقتصادية والقضائية والدينية، حصل الإنكليز على ضمانات بعدم تدخل السلطات المحلية بهذه الشؤون. إلا أنه كان هناك مادة في الاتفاقية الأولية الموقعة مع شيخ بوشهر تنص على أن يكون الموظفون في الوكالة التجارية تحت حماية الحكومة البريطانية. وقد جرى حذف هذه المادة من قبل كريم خان.

وتتلخص الامتيازات التجارية بإعفاء الشركة بصورة نهائية من دفع رسوم الاستيراد والتصدير، ومنحها الحق في احتكار استيراد أقمشة الصوف عن طريق الخليج العربي. إلا أن هذه الامتيازات كانت مقيدة بشرط هام وهو عدم السماح باستيراد بضائع دول أخرى تحمل ماركة إنكليزية. وفي حال التثبت من القيام بمثل هذا العمل واستيراد البضائع سراً (بالتهريب)، وتم اكتشافها فتتم مصادرتها حالاً. وقد كان الفرس الذين يشترون البضائع من الإنكليز يدفعون لهم ٣٪ من سعر البضاعة كضرائب.

وهكذا ليس من الصواب التحدث هنا عن تأكيد بسيط من كريم خان على اتفاقية تمت مع الشيخ سعدون. كما لا يجوز حساب توسع الامتيازات للإنكليز في فرمان كريم خان كان توسيعاً للأراضي التي تسري عليها هذه الامتيازات فقط. أما فيما يخص مضمون هذه الامتيازات فقد تم حذف بعض مواد الاتفاقية الأولية في الفرمان في حين تمت صياغة بعضها الآخر بشكل يقلل من مفعولها.

يبدو أن كريم خان بعد أن اقتنع بأنه يتعامل مع شركة لا تتوانى عن حياكة أي نوع من المكائد والدسائس في البلاد ألحق عام ١٧٦٣ إضافات بالفرمان، حدَّ فيها أكثر من الامتيازات الممنوحة للإنكليز. فقد حظر عليهم إخراج العملة من البلاد؛ وأوجب على الإنكليز بيع السلع إلى كبار التجار الفرس (عند التحديد الاحتكاري للأسعار وجدت الشركة الإنكليزية نفسها أمام واقع أن التجار المحليين هم الذين حددوا أسعار الشراء الاحتكارية)؛ كما أوجب عليهم "التعامل مع المسلمين باحترام". وقد شدد بشكل خاص على المادتين الأخيرتين في هذا الملحق.

في البداية تعهد كل من شيخ بوشهر وكريم خان بتسليم عناصر الإنكليز الفارين من الجندية (الجنود، والبحارة، والخدم) إلى الإنكليز دون أن إلزام الأخيرين بالتعامل بالمثل. أما الآن فقد بات محظوراً على الإنكليز: أولاً– مساعدة أعداء فارس؛ ثانياً– حماية الفرس الذين يتمردون على كريم خان، وإخراجهم من فارس. (وهنا دليل آخر على أن الإنكليز كانوا يحاولون التدخل في الشؤون الداخلية لفارس).

على الرغم من أن فرمان كريم خان الصادر عام ١٧٦٣ يدل على أن العلاقات الدبلوماسية بين فارس وإنكلترا كانت متكافئة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، إلا أنه يدل أيضاً من وجهة النظر التجارية – الاقتصادية على وجود خلاف كبير بين الطرفين، ولاسيما أن التجارة الإنكليزية الفارسية في الخليج العربي باتت فيما بعد وسيلة لإخضاع فارس اقتصادياً لبريطانيا العظمى بصورة تدريجية.

لقد أدى إغراق أسواق فارس ببضائع دولة أكثر تقدماً من الناحية الاقتصادية إلى شل عملية نشوء الصناعة المحلية. وبقدر تطور رأس المال الصناعي في إنكلترا، كانت فارس المتخلفة عنها عاجزة عن إلغاء الامتيازات الممنوحة للإنكليز، وتغيير شروط التجارة الاحتكارية بصورة عامة. إضافة إلى ذلك تحولت شركة الهند الشرقية

البريطانية قبل عام ١٧٦٣ "إلى قوة عسكرية وإقليمية كبيرة"[1]، وامتدت أذرع الشركة كالأخطبوط من الهند إلى العديد من المناطق المجاورة.

لقد عزز فرمان كريم خان مواقع الإنكليز في الخليج العربي، مما أثر بسرعة في أوضاع منافسيهم الأساسيين في هذه المنطقة؛ أي الهولنديين. وباتت أيام الأخيرين معدودة في المنطقة. فمنذ عام ١٧٥٣ استأجر الهولنديون، وعلى رأسهم البارون نبهوزن (Kniphausen)، جزيرة خرج من المير مهنا [ابن نصر الزعابي]، شيخ بندر ريج، وبنوا فيها حصناً. وأصبح هذا المكان مركز التجارة الهولندي في منطقة الخليج العربي بعد تصفية وكالاتهم التجارية في بوشهر، والبصرة، وبندر عباس. وفي عام ١٧٦٥ حاصر المير مهنا، بعد انفصاله عن كريم خان الحصن الهولندي في الجزيرة إلى أن تمكن من طرد الهولنديين.

وبذلك وضع حداً لطموحاتهم في السيطرة على الخليج العربي. ورغبة منه في استعادة جزيرة خرج تحت سلطته، لجأ كريم خان، كدأبه في مثل هذه الأمور إلى الإنكليز لطلب المساعدة بأسطول بحري. في هذه المرة كان تصرف الإنكليز عادياً؛ أي إنّ مشاركتهم كانت سلبية واقتصرت على مراقبة عمليات كريم خان الحربية.

وعندما تمكن هذا الأخير من الاستيلاء على خرج، وإرغام المير مهنا على الفرار منها (في عام ١٧٦٩) طلب الإنكليز من كريم خان التنازل لهم عن هذه الجزيرة.

---

[1]. اضطر المؤرخون البرجوازيون المعاصرون للإقرار بهذا الواقع. فقد ذكر مارلو في كتاباته أن امتيازات كريم خان تؤكد على هيمنة بريطانيا على منطقة الخليج العربي بالمقارنة مع الدول الأوربية الأخرى، وأن هذه الامتيازات وضعت الأساس لمرحلة سيطرة بريطانيا سياسياً على منطقة الخليج دامت قرابة مائتي سنة. ويضيف: ومع انتهاء حرب السنوات السبع امتاز النشاط البريطاني في الخليج العربي لدرجة كبيرة، ليس بالطابع التجاري فحسب، وإنما بالطابع السياسي أيضاً. انظر Marlow J. مرجع سابق، ص ١٠؛ وانظر ماركس ك. المحور: شركة الهند البريطانية، تاريخها ونتائج نشاطها. المجلد التاسع.

وهذا يعني استبدال مستعمرين بمستعمرين آخرين (كما حدث في عام ١٦٢٢)[١]. إلا أن كريم خان رفض ذلك. وعندها خرج الإنكليز بصورة تظاهرية من أبو شهر إلى البصرة، مما أثر في التجارة الفارسية، وألحق بها خسائر كبيرة. حتى إنّ وكيل شركة الهند الشرقية البريطانية في فارس طلب في عام ١٧٧١ إرسال حملة إلى الخليج العربي لمعاقبة كريم خان على "الإزعاج" الذي سببه للوكلاء الإنكليز، والقضاء على "القرصنة" التي يتغاضى عنها[٢].

والقصد من كلمة "إزعاج" هنا هو رفض كريم خان الانصياع لسياسة إملاء الشروط التي ينتهجها الإنكليز، في حين كان القصد من "القرصنة" الثورات المناوئة للإنكليز التي تشعلها القوى المحلية.

كما نرى، أخذ الإنكليز يبحثون عن ذريعة لإدخال سفنهم الحربية إلى الخليج العربي قبل البدء بتنفيذ المخططات النابليونية الخيالية تجاه بلدان المشرق بثلاثة عقود. ولم يكن قصدهم من وراء ذلك "الدفاع عن الهند أبداً". وقبل بدء ما يسمى "بمكافحة القرصنة" بخمسين عاماً تقريباً تم استدراج الرأي العام وتهيئته لصالح هذه الشركة، التي لم تكن بالتأكيد تستهدف وقاية نفسها من القرصنة؛ إذ إنّ الإنكليز أنفسهم كانوا يقومون بأعمال قرصنة ناجحة سواء في البحر الأبيض المتوسط أو غيره؛ وإنما كان هدفها التدخل بشكل سافر في شؤون دولة ذات سيادة.

وخلال الأعوام من ١٧٧٣إلى ١٧٧٥ اتسمت الأعمال العدائية بين فارس وإنكلترا بطابع الحرب غير المعلنة. وعندما شب وباء الطاعون وأجبر الإنكليز على شحن أمتعة وممتلكات وكالتهم في البصرة على متن سفينتين والإسراع بالمغادرة إلى

---

١. راجع فقرة طرد البرتغاليين من هرمز، الذي سبق الحديث عنه في هذا الفصل.

٢. انظر **Wilson A.T.**، مرجع سابق، ص ١٨٥.

الهند أمر كريم خان الاستيلاء على إحدى السفينتين وإحضارها إلى بندر ريج، وإرسال موظفي شركة الهند الشرقية، الذين وقعوا في الأسر إلى العاصمة شيراز، حيث زج بهم في السجن لمدة سنة. كما نشطت قبائل الساحل الشمالي للخليج عملياتها ضد الإنكليز.

بدأ الإنكليز يستعرضون قوتهم في شهر مايو من عام ١٧٧٥. وأغلقت سفنهم دلتا شط العرب، وشنت غارات على قبيلة بني كعب العربية، المؤيدة لكريم خان، الذي كان في هذا الوقت يدفع بقواته باتجاه البصرة. وفي هذا الوقت دخلت إحدى السفن الإنكليزية إلى الخليج العربي. كان هدف الإنكليز من إظهار قوتهم منع صادق خان، وهو شقيق كريم خان من محاصرة البصرة. لكن مع ذلك سقطت البصرة في شهر إبريل من عام ١٧٧٦.

ويبدو أنه بإصرار من كريم خان تم نقل الوكالة الإنكليزية مجدداً إلى بوشهر[١]. ويؤكد هذا الظرف الأخير بما لا يدع مجالاً للشك بأن نقل المركز التجاري من منطقة الخليج العربي إلى الأرض الفارسية القديمة في أثناء الحملة على البصرة كان من الأهداف الرئيسة للحملة.

ساعدت السياسة الداخلية لكريم خان على تقوية السلطة الحكومية؛ ففي عهده تم الحد بعض الشيء من الظلم والتعسف في البلاد، كما جرى تشجيع الحرف والصناعات اليدوية، وجرت محاولات لتنظيم إنتاج المصانع والمعامل. وقد ساعد ذلك على إنعاش الحياة الاقتصادية لفارس، والقوى المنتجة فيها.

---

١. انظر **Wilson A.T.**، مرجع سابق، ص ١٨٤.

وبموت كريم خان عام ١٧٧٩شهدت البلاد مرحلة جديدة من النزاعات بين الإقطاعيين، وصراعاً على الحكم.

انتهز الإنكليز المدة القصيرة التي حكم فيها جعفر خان ابن أخ كريم خان للحصول على فرمان يزيل القيود التي فرضها كريم خان عليهم. وفي عام ١٧٨٨ تم منح الإنكليز حق التجارة المطلقة المعفاة من الضرائب[١]. وعندها تم تعيين النقيب أندرسون بمنصب "المقيم السياسي الإنكليزي في بوشهر"[٢].

يتضح مما سبق أن مدة حكم كريم خان كانت تشكل المرحلة الأخيرة من العلاقات المتكافئة بين فارس والدول الأجنبية. في حين اتسمت المرحلة الجديدة اللاحقة: الثمانينات والتسعينات من القرن الثامن عشر بالفتن الإقطاعية والحكم الفوضوي، الأمر الذي أعاد فارس القهقرى مجدداً.

وعلى الرغم من أن السلطة كانت معززة وموحدة في عام ١٧٩٥ بيد مؤسس أسرة القاجار آغا محمد؛ إلا أنه نتيجة لضعف فارس وازدياد الروح العدائية للدول الأوربية، لم تستطع فارس إقامة علاقات متكافئة مع تلك الدول.

والشيء السلبي جداً بالنسبة للموقف السياسي في فارس على مشارف القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أنه بسبب عدم وجود أسطول وطني ودفاع قوي للسواحل، أصبحت الحدود الجنوبية لفارس على امتداد ألفي كم بوابة مكشوفة مشرعة أمام أعدائها. إلا أنه في الوقت نفسه ساعد الضيق النسبي لمضيق هرمز على "سد" الخليج العربي بقوى وإن كانت قليلة.

---

١. انظر [Aitchison C. U.]، مرجع سابق المجلد العاشر، ص ٣٥- ٣٦.

٢. انظرMiles S.P. ، مرجع سابق، المجلد الثاني ص ٢٧٤.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن الأسطول المعادي لفارس يمكنه الاستناد على قواعد يصعب بلوغها من قبل القوات الفارسية لأصبح واضحاً أنه تشكلت ظروف أولية لتحويل الخليج العربي إلى رأس جسر حربي، ومكان لحشد قوات معادية لفارس وانتشارها، لا تستطيع هذه الأخيرة مواجهتها وإعاقتها بأي شكل كان.

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

الفصل الثالث

تنافس الدول الأوربية

في بلاط الشاه في بداية القرن التاسع عشر

في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر دخلت السياسة البريطانية مرحلة جديدة في الشرق الأوسط. ففي الثلث الأخير من القرن الثامن عشر كانت الهند الهدف الرئيس للتوسع الاستعماري البريطاني في الشرق. فبعد أن زاح البريطانيون منافسيهم الفرنسيين، وقمعوا مقاومة الإمارات الإقطاعية، استولوا قبل نهاية القرن الثامن عشر على المواقع الحيوية في هذه المنطقة الشاسعة والغنية جداً.

وجرى توسعهم الاستعماري على محورين؛ الأول: تعزيز مواقعهم في عمق الهند؛ والثاني: هجومهم على المناطق المجاورة، وفي مقدمتها الخليج العربي، الذي "يعد بعد الهند حقلاً جديداً لتطبيق التمرس الإنكليزي" مستخدمين الهند كمَصدر لمواردهم، وقاعدة أساسية لأعمالهم[1].

وكان الخليج العربي ضمن مخططات البرجوازية الإنكليزية بمترلة قاعدة انطلاق للهجوم على فارس والجزيرة العربية والدولة العثمانية وآسيا الوسطى وغيرها من دول وأراضي الشرقين الأدنى والأوسط.

يدعي المدافعون عن الرأسمالية البريطانية أن توغل بريطانيا في أفغانستان، ومناطق البحر الأحمر، والخليج العربي جاء رداً على مخططات نابليون العدوانية التي

---

[1]. انظر أ. ويلسون **Wilson A.T.** مرجع سابق، ص ١٩٥.

اضطرهم إلى انتهاج هذه السياسة الدفاعية[1]. ويزعم هؤلاء أنّ الفظائع التي ارتكبها كلايف في الهند (في الستينات من القرن الثامن عشر)، والأعمال الدموية التي قام بها غاستينغس (في الثمانينات)، وحرب كورنيوليس (في التسعينات) لا علاقة لها بالصراع الأنجلو فرنسي الذي نشب لاحقاً، والذي احتدم في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر.

وعندما يصور هؤلاء صراع بريطانيا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر على أنه عمل دفاعي، فإنهم يفرقون بين أحداث هذه المدة والأحداث السابقة، ويزيفون بصورة متعمدة أحداث الاستعمار البريطاني للهند، والتوسع في بلدان شرقية أخرى. وإذا جاز التمييز هنا بين الطرف المهاجم والطرف المدافع في الصراع الذي كان دائراً بين "وحشين إمبرياليين ضاريين"، فلا شك بأن الإنكليز هم الذين كانوا يشكلون في هذه الحالة الطرف المهاجم.

في عام ١٧٩٣ شنت الأرستقراطية الإنكليزية المتوجسة خيفة، والمدعومة من البيروقراطية، حرباً عدوانية على فرنسا، سميت (الحرب اليعقوبية) في أثناء الثورة الفرنسية الكبرى. وكان "الأرستقراطيون يرون أن قمع الثورة يعد عملاً مقدساً يجب القيام به. في حين وجد الحكام الأثرياء أن الحرب ضد فرنسا يمكن أن تشكل لهم مصدراً يدر عليهم أرباحاً هائلة، وحجة مناسبة للاستيلاء على تلك المستعمرات

---

[1]. يتناقل المؤرخون الإنكليز هذا الرأي في كتبهم (انظر أعمال: رولينسون، وكيرزون، وويكخيم، وويلسون والكثير غيرهم). ويؤيد رأيهم هذا دون انتقاد مؤلفون برجوازيون من بلدان أخرى؛ فمثلاً ذكر المؤرخ الفرنسي"روير" في كتابه: " لم تكن التجارة أو الرغبة في احتكار الملاحة في الخليج العربي ووضعها بأيدي الإنكليز هي التي دفعت الحكومة البريطانية لتركيز اهتمامها على ذلك. لقد قررت الاستيلاء على الطرق البحرية المؤدية إلى مستعمراتها الهندية عن طريق البحر الأحمر والخليج العربي دفاعاً عن الهند".للمزيد من الإيضاح انظر: روير: التنافس الأنجلو روسي في آسيا، موسكو ١٩٢٤. ص ١٨(باللغة الروسية). ومثل هذا الرأي يلاحظ أيضاً في مؤلفات المؤرخين الفارسيين أيضاً؛ انظر الفصل الأول من بحثنا الحالي.

الفرنسية والإسبانية والهولندية، التي تعد من أكثر المستعمرات دراً للأرباح من المنظور التجاري، والأسهل بلوغاً من المنظور الحربي. وسعوا لأن تكون السيطرة المطلقة على البحار بيد بريطانيا ليتسنى لهم إفلاس أيّ أمة أخرى يمكن أن يشكل وجودها المنافس عقبة تحول دون ثرائهم الشخصي"[1].

وفي الوقت الذي اندلعت فيه الحرب في أوربا بدأت الأعمال القتالية في المستعمرات أيضاً. وبعد استيلاء بريطانيا على عدد من نقاط الاستناد على الساحل الهندي، واحتلال بوندشير، التي تعد القاعدة الرئيسة لفرنسا طردوا الفرنسيين من الأراضي الهندية.

في هذا الوقت كانت البرجوازية الفرنسية تبحث بدورها عن أسواق لترويج بضائعها، وعن مصادر للمواد الخام من أجل صناعتها المتنامية. وعلى امتداد القرن الثامن عشر كان النصر في الصراع بين بريطانيا وفرنسا على احتكار التجارة، والسيطرة الاستعمارية سجالاً. وبقدر التطور الذي شهدته الدولتان اشتد النزاع بينهما. وأعطت الثورة الفرنسية البرجوازية الكبرى دفعة قوية للمنتجات الصناعية في فرنسا قبل بريطانيا التي تخلفت عنها. وفي المدة من عام ١٧٩٦ إلى عام ١٨١٥ أدت الخلافات الأنجلو- فرنسية إلى ما يسمى الحروب النابليونية.

ولدى الحديث عن هذه الأخيرة وعن الخطط النابليونية المغامرة، لابد من الأخذ بعين النظر القوى الاجتماعية، التي كانت حكومة نابليون أداتها، بعد أن خنقت الثورة، وأبقت فقط على تلك النتائج التي أفادت البرجوازية الكبرى.

[1]. انظر ف. آنجلس" الأوضاع في ألمانيا. الرسالة الثانية لمدير (**Northern star**) – المجلد ٢. ص ٥٦٦.

وبغية الهيمنة التجارية- الصناعية، والسياسية- العسكرية في أوربا وغيرها من بقاع العالم، بما في ذلك المستعمرات، اندلعت في أوائل القرن التاسع عشر الحروب الإنكليزية - الفرنسية. وكانت منطقة الخليج العربي إحدى مناطق الصراع الإنكليزي- الفرنسي على المستعمرات.

لم تكن منطقة الخليج العربي على مشارف القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تشكل وحدة متجانسة. ولئن كان تاريخها في السابق مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتاريخ فارس، فقد انفصل الساحل الجنوبي، والجزر المتاخمة له عن فارس بالذات منذ بداية القرن التاسع عشر. ويمكن رد السبب في ذلك إلى أمرين اثنين الأول: ضعف فارس، والثاني: التدخل الإنكليزي في شؤون المنطقة.

ونتيجة للضعف الداخلي في فارس تولدت في هذه الدولة الاتجاهات الدافعة المركزية، وتشكلت ملكيات صغيرة شبه مستقلة على الساحل وفي جزر الخليج العربي. والفصل التالي من هذا الكتاب يسلط الضوء على حقبة من تاريخ مشيخات (إمارات) الساحل الجنوبي من عمان حتى الكويت في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. وما أردنا قوله هنا أن المستعمرين الإنكليز أعدوا منذ السنوات الأولى من القرن التاسع عشر أساساً للبناء اللاحق لإمبراطوريتهم الاستعمارية في الشرق الأوسط، متسترين بأحاديث عن محبتهم للسلم ودفاعهم عن الحق؛ وأن المشيخات على الساحل الجنوبي التي مزقتها الخلافات والنزاعات الإقطاعية لم تكن تشكل عقبة في وجه العدوان الإنكليزي؛ وأن الدولة الوحيدة في هذه المنطقة التي أضعفتها النزاعات الداخلية الدموية، ومع ذلك ظلت قادرة على إبداء شيء من المقاومة، هي فارس. وهذا تحديداً ما جعل الإنكليز يركزون جهودهم عليها في بداية القرن التاسع عشر لتجريدها من أيّ قوة تأثير، وفرض سيطرتهم على الخليج العربي وخليج عمان.

كانت فارس على مشارف القرنين الثامن عشر والتاسع عشر واحدة من الدول التي سادت فيها العلاقات الإنتاجية الإقطاعية. واستمر التفتت الإقطاعي في فارس على امتداد القرن الثامن عشر وما بعده. وشهدت صراعاً على الحكم بين الجماعات المختلفة في المناطق الوسطى من فارس مصحوباً بنزاعات داخلية في أطرافها. وأدت الاضطرابات والفتن المستمرة إلى شل قوتها الإنتاجية، وإفقار المنتجين الأساسيين: الفلاحين في القرى، والصناع وأصحاب المهن في المدن.

يعود السبب الرئيس للتخلف في فارس إلى أن السواد الأعظم من الناس كانوا من البدو الرحل، الذين سادت بينهم العلاقات الإقطاعية التقليدية القديمة مع رواسب النظام القبلي. وكانت الطبقات الحاكمة للبلاد من الإقطاعيين، والحضر، والبدو تقف حجر عثرة في طريق فرض سلطة مركزية في البلاد. ومما حال دون تطور الرأسمالية في الأرياف وجود بقايا المجتمع الريفي، ونظام تأجير الأراضي الكبيرة بشكل قطع أرض صغيرة، ولم تتوافر الظروف الملائمة لتكديس رأس المال التجاري.

عندما تسنم الشاه آغا محمد، أول القاجار، العرش، جرى توحيد الأراضي الفارسية في الشمال. وتغيرت سياسة الأوساط الحاكمة الفارسية تجاه منطقة الخليج العربي بشكل جوهري. والواقع أن إخضاع بعض الولايات النائية لم يتم مباشرة، حتى في المناطق الجنوبية الساحلية.

وكثيراً ما سعت تلك الولايات لنيل الاستقلال بنفسها على امتداد القرن الثامن عشر، مستغلة ضعف حكومة الشاه. وقد حدث في ذلك الوقت صراع مرير بين الجماعات الإقطاعية التي التفت من جهة حول "لطف علي خان زيند"، ومن جهة أخرى حول "آغا محمد قاجار"، وعندها حاول حكام الساحل الشمالي للخليج العربي الإقطاعيون الإبقاء على استقلالهم عن السلطة المركزية بالمناورة بين الجماعتين

المتنازعتين. كما نشبت أيضاً نزاعات إقطاعية بين الشيوخ، الذين سعى كل واحد منهم للانتفاع على حساب جاره. وكانت النزاعات والخلافات الداخلية سواء الصغيرة أو الكبيرة تشكل ميداناً جيداً لنشاط المستعمرين الإنكليز.

في الربع الأول من القرن التاسع عشر كان النشاط الدبلوماسي والسياسي والعسكري البريطاني في الشرق الأوسط موجهاً نحو استعمار منطقة الخليج العربي. وفي غضون ذلك أعارت بريطانيا اهتمامها لفارس بالدرجة الأولى. وكانت المخططات العامة للتوغل في منطقة الخليج العربي قد تم وضعها من قبل الإنكليز في نهاية القرن السادس عشر. وبحسب هذه المخططات عمل المقيمون والوكلاء السياسيون البريطانيون. وكان الهدف الاستيلاء على هذه الجزيرة أو تلك (جزيرة هرمز في القرن السابع عشر، وجزيرة خرج في القرن الثامن عشر)، وإنشاء وكالات تجارية، ومراكز سياسية، وقواعد.

وفي أوائل القرن التاسع عشر وضع جون مالكولم مخططاً دقيقاً لاستعمار منطقة الخليج العربي. وكان المنفذ المباشر له. وجون مالكولم هو أحد ضباط جيش الاستعمار في الهند، ويعد من أكثر الشخصيات تجهماً من بين الذين ظهروا في أفق الخليج العربي منذ ظهور الفونسو د البوكيرك.

وكان ترقي جون مالكولم في منصبه في الهند نموذجياً بالنسبة لضابط إنكليزي. فمنذ عام ١٧٨٣، ولا سيما في أثناء الحرب مع إمارة ميسور برهن جون مالكولم على قسوة قلبه من خلال إبادة قرى هندية كاملة. وقد لاحظ رؤساؤه وقادته نشاطه واندفاعه. ولهذا ترقى في الخدمة العسكرية خلال ثماني سنوات من رتبة نقيب حتى رتبة جنرال، ثم تقلد منصب حاكم بومباي، وهو ثاني منصب من حيث المكانة والأهمية في

المستعمرة ويأتي بعد منصب الحاكم العام. وفي أثناء عمله في هذا المنصب أمسك بجميع خيوط السياسة البريطانية في الشرق الأوسط.

ألف جون مالكولم في شيخوخته كتاباً بعنوان "تاريخ فارس"، نشر فيه كل ما جمعه من معلومات عن فارس. ويعد هذا الكتاب مرجعاً هاماً تعلم منه أكثر من جيل من المستعمرين.

استندت خطة استعمار منطقة الخليج العربي التي وضعها مالكولم في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر على معلومات مفصلة عن هذه المنطقة كانت ترد بانتظام من الوكلاء البريطانيين الذي أقاموا هنا، والتي تم جمعها على مدى قرنين من العمل الاستخباراتي البريطاني في الشرق الأوسط.

تتلخص المبادئ الأساسية، التي تضمنها مخطط مالكولم بالمواد الآتية:

١- ضرورة عدم النظر إلى الدول والإمارات الإقطاعية في فارس والدولة العثمانية الشرقية وجزيرة العرب لا على أنها حكومات حقيقية، وإنما بلدان يمكن لأي أمة أن تتعامل معها بما يخدم مصالحها وأهدافها. وكانت قناعة مالكولم أن تكون بريطانيا بالذات هي هذه الأمة، حتى يتسنى لها بسط سلطانها على هذه البلدان بعد أن تحولها إلى أداة طيعة تخدم سياستها، ومن ثم تجعلها مستعمرات لها.

٢- "عند تأسيس قاعدة في الخليج العربي، الذي يجب أن يصبح فيما بعد سوقاً لبضائعنا الإنكليزية، ومكاناً لإجراء المباحثات السياسية، ومستودعاً للذخيرة الحربية، سيكون بإمكاننا ترسيخ نفوذنا في المنطقة، واستخدام القوة القادرة على طرد الأمم الأوربية الأخرى من هذه المنطقة، ليس هذا فحسب، بل ستتاح لنا إمكانية إجراء المفاوضات، وخوض المعارك ضمن الأبعاد التي نحددها نحن. ويجب علينا التحصن في

الخليج العربي حتى نكون قادرين على ترغيب وترهيب جميع الدول في هذه البقعة من العالم؛ وكذلك حتى نكون قادرين على إقامة أيّ علاقة معها بالشكل الذي يلائمنا.

وإذا استطعنا تثبيت أقدامنا وتحصين أنفسنا في الخليج العربي، نكون قادرين في المستقبل على الحصول على كل ما نرغب في الحصول عليه. ومن هنا نستطيع تهديد فارس، وجزيرة العرب، والدولة العثمانية"[1].

٣ – اقتراحه البدء فوراً بالاستيلاء الاستعماري حتى يتم سبق المنافسين، وقبل ذلك توجيه ضربة إلى جزيرة خرج. ومما كتبه مالكولم في مذكراته حول هذه الجزيرة: "كلما أمعنت النظر في هذه الجزيرة، زاد يقيني بإمكانية تحويلها إلى واحدة من المستوطنات المزدهرة في آسيا. وكونها تقع على طريق يبعد بضع ساعات عن بوشهر وبندر ريج والبصرة والبحرين، يمكن أن تصبح في ظل إدارة قوية منطقة نشطة لتجار الدولة العثمانية، وجزيرة العرب، وفارس. وعلى الرغم من صغر هذه الجزيرة إلا أنها قادرة على إطعام عدد كبير من الناس، الذين يقيمون فيها عندما تصبح سوقاً تجارية. وأنا لا أستطيع أن أنظر إلى هذه الجزيرة دون أن يجول في خاطري أن الأعداء سيحملون الحكومة البريطانية، في أغلب الظن، على الاستيلاء عليها. وأعتقد أني سأكون المنفذ الرئيس لهذا المخطط"[2].

٤– تعلم مالكولم من الخبرة التي اكتسبتها بريطانيا في انتهاجها سياسة الاستعمار على مدى قرنين ضرورة الانتباه جيداً إلى أن ظهور قوات عسكرية لمستعمرين في بلدان الشرق الأوسط، لابد أن يثير "هيجان" (أي مقاومة) السلطات المحلية، والسكان. وبغية درء المقاومة المناوئة للإنكليز نصح مالكولم بضرورة العمل

---

[1]. انظر: Kaye J. W.، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٠٧، ٤٣٢

[2]. انظر Kaye J. W.، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٢٤.

على تأجيج النزاعات، والخلافات الداخلية، وما يرافقها من انحطاط وتدهور. ويلخص مالكولم حديثة بالقول إنّ "اتباع هذا الأسلوب سيمكن الحكومة من تنفيذ سياستها مستقبلاً بأقل النفقات والمصاريف".

وهكذا ورد في مخطط مالكولم الأهداف التي يتوخاها الإنكليز بشكل دقيق جداً. وتمت الإشارة إلى ضرورة مراقبة منطقة الخليج العربي، وجعلها سوقاً لترويج البضائع الإنكليزية، ومركزاً سياسياً لبريطانيا في الشرق الأوسط، وقاعدة حربية يمكن للإنكليز الاعتماد عليها، والوقوف في وجه أي منافس لهم، والقيام بأعمال حربية ضد فارس، وجزيرة العرب، والدولة العثمانية، ضمن المجالات التي تسمح لهم بالتصرف هنا كما في الهند تماماً. ولا يقل إيضاحاً عن ذلك ما أورده من خطوات لتحقيق هذه الأهداف الاستعمارية:

الخطوة الأولى: الاستيلاء على جزيرة خرج، وتحويلها إلى نقطة استناد.

الخطوة الثانية: التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان المجاورة وخلق حالة من الفوضى والنزاعات الداخلية فيها، والقضاء على أيّ مقاومة ضد الإنكليز، وتسهيل إخضاع هذه البلدان.

الخطوة الثالثة: انتهاج سياسة إملاء الشروط بشكل واضح على فارس، والدولة العثمانية، وجزيرة العرب، وتحويل منطقة الخليج العربي بكاملها إلى مستعمرة ورأس جسر للتوسع الاستعماري اللاحق[١].

---

١. أشار كارل ماركس فيما يخص الحرب الأنجلو- فارسية (١٨٥٦-١٨٥٧) بشكل خاص إلى دور جون مالكولم في الإعداد للاستيلاء على جزيرة خرج في أوائل القرن التاسع عشر. انظر: ماركس ك. الحرب الإنكليزية – الفارسية/ المجلد ١٢، ص٧٣-٧٤.

نلاحظ أن مخطط جون مالكولم ينم بكامله عن نزعات عدوانية واضحة، وهو لم يذكر مسألة " الدفاع عن الهند" في أي مكان ولو مرة واحدة. ومن المعلوم أن مالكولم لم يضع مخططاً من أجل الجماهير الواسعة، إنما من أجل أسياده الذين يهمهم جوهر القضية.

أما فيما يتعلق بخطط نابليون المشبعة بروح المغامرة تجاه الهند، فقد أخذها الإنكليز بالحسبان بشكل أساسي من أجل المزايدة والتذرع[١]. والواقع أن هذه الخطط النابليونية خدمت الدعاية الإنكليزية خدمة جليلة على مدى قرن كامل من الزمان، فقد كانت كترس توارت خلفه سياسة الاستعمار البريطاني في الشرق الأوسط عن أعين الرأي العام العالمي.

وبغية تقييم جوهر التميمة الإنكليزية (الدفاع عن الهند)، تتسم أقوال مالكولم بالأهمية انطلاقاً من أنه "في ظل سلطة قوية يمكن تحويل أي بلد متخلف إلى بلد مزدهر" /كالهند الجائعة/، وانتهاءً بالأحاديث الملفقة حول عداء الأسطوريين الذين "يحملون" الإنكليز بمكائدهم ودسائسهم للاستيلاء على مثل هذه البلاد.

تُقيِّم مراجع التاريخ الإنكليزي مخطط جون مالكولم كما لو أنه مخطوطة كتبها شخص انعزالي، غريب الأطوار، لم يراع مصالح بريطانيا الأمنية والتجارية في الخليج

---

١. استشهد كي برسالة من مالكولم إلى ويلسلي، مكتوبة في شهر فبراير عام ١٨٠٨ تقول: "حتى لو أن السفن الحربية الفرنسية دخلت إلى الخليج العربي، ووصلت إلى مكانها، فإنها مع ذلك لن تستطيع تحقيق شيء. وحتى لو وافقت حكومة فارس على ذلك (على التدخل الفرنسي) فإنها لن تستطيع تزويدها بما يلزمها..." انظر **Kaye J.**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٠٧.

العربي في العقد الأول من القرن التاسع عشر بشكل جيد. ولهذا لم يلق هذا المخطط استحسان الحكومة في السابق[١].

والحقيقة أن تقييماً بهذا الشكل لا يتفق مع الواقع؛ إذ إنه عندما وضع مالكولم مخطط استعمار الخليج العربي وضعه بصفته مسئولاً رسميًّا. وكان يدرك تماماً أهمية العمل الذي يقوم به؛ ولا سيما أنه صرح بالقول إنه يهتم بغِيرة وحماس بمصالح الحكومة والأمة البريطانية.

وقد جرى إقرار مبادئ المخطط في المجلس الحربي ـ السياسي بحضور الحاكم العام في الهند بتاريخ ٣٠ أغسطس عام ١٨٠٨، الذي كُرس بشكل خاص لمناقشة مسألة التوغل في الخليج العربي. وقد تم اعتماده من قبل الحكومة البريطانية[٢]، التي منحت مالكولم صلاحيات خاصة لتنفيذ هذا المخطط. وتم منحه فيما بعد منصب حاكم بومباي، لكونه شخصاً يدرك جيداً أهداف السياسة البريطانية في الشرق الأوسط ومهامها.

وإضافة إلى ذلك سارت سياسة بريطانيا في منطقة الخليج العربي فيما بعد وفقاً لهذا المخطط، على الرغم من أن تنفيذه بالحجم الكامل تطلب نحو ٦٠ عاماً. والشيء الوحيد الذي يمكن أن يأخذه المؤرخون الإنكليز على مالكولم فيما يخص مخططه صراحته المطلقة، ومحاولته استباق الأحداث.

وبالعودة إلى السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر– إلى زمن التنافس بين إنكلترا وفرنسا في بلاط الشاه في مرحلة الحروب النابليونية – نجد أنه في أوائل شهر

---

١. انظر.Kelly J، مرجع سابق، ص ٩٨.

٢. انظر .Kaye J مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٣٣،٤٣٥،٤٣٨.

يوليو من عام ١٧٩٦ وصل إلى طهران اثنان من ممثلي فرنسا البرجوازية الجديدة هما: أوليفيه و بروجير(**Oliviere et Bruguiere**). وعلى الـرغم مـن أن هـذين المبعوثين كانا من علماء الطبيعيات، إلا أنهما أجريا مباحثات لتمتين العلاقات التجارية والسياسية مع فارس، بزعم أن فرنسا تهتم الآن بإقامة مثل هذه العلاقات أكثـر مـن السابق.

وعلى الرغم أيضاً من أنهما قدما إلى الوزير الفارسي اتفاقيات لاقرارها، كان قد تم التوصل إليها في عامي ١٧٠٨ و ١٧١٥؛ أي قبل ثمانين سنة تقريباً، وكذلك على الرغم من أنهما حاولا دفع فارس إلى شن الحرب على روسيا، إلا أنه يجب النظـر إلى هذه البعثة على أنها بعثة استطلاعية دبلوماسية محضة، كـان هـدفها جس النـبض والوقوف على وقائع الأمور بعد انقطاع طويل في العلاقات الرسمية. وهذا ما تؤكـده النتائج التي أسفرت عن هذه البعثة؛ إذ غادر هذان الرجلان طهران دون أن يحققا أيّ نتيجة، إذا لم نأخذ بالحسبان التأكيدات الشفهية بأن السلطات الفارسية تدرس إمكانية تقديم المساعدة للوكالات التجارية الفرنسية في أصفهان وشيراز، وعلى سواحل الخليج العربي[١].

بعد انقضاء عامين على ذلك أوفدت إنكلترا الميرزا مهدي علي خان إلى طهران، الذي عينته مجدداً مقيماً في بوشهر (رجل فارسي في خدمة بريطانيا)، وكـان يحمـل تعليمات من الحاكم العام في الهند ويلسلي، تقضي ببذل كل ما هو مستطاع لتعزيـز نفوذ بريطانيا في فارس، والحيلولة دون بسط أي نفوذ محتمل للفرنسيين. توقف هـذا

١. للتعرف على مهام هذه البعثة انظر مقالة خاصة، يوانسيان: البعثة الفرنسية في فارس عام ١٧٩٦ "الاستشراق السوفيتي"،١٩٥٦، ع١. وانظر: آدميات (**Adamiyat F.**)، مرجع سابق، ص ٤٠.

المبعوث في عمان، وهو في طريقه الطويلة إلى طهران، وتمكن من عقد معاهدة إنكليزية – عمانية.

ووصل إلى بلاط فتح علي شاه، ونجح في إبرام معاهدة بين إنكلترا وفارس بعد إدانته لمبادئ الجمهورية الفرنسية المنافية للدين والمعادية للملكية. ولكن على الرغم من أن مهدي علي خان تمكن من تنفيذ التعليمات الصادرة له من ويلسلي بنزاهة وإتقان، إلا أن هذا الأخير أرسل في أثره مالكولم حاملاً المهمة نفسها التي أسندها إلى مهدي علي خان.

يذكر الباحث الهندي ر. كومار (Kumar R.) أن ما يفسر هذا التصرف لويلسلي يعود لعدم ثقته بدبلوماسي من أصل شرقي[١]. غير أن هذا التفسير يمكن أن يعد سطحياً جداً؛ إذ من الواضح أن المسألة لا تتعلق بشخصية مهدي علي خان بقدر ما تتعلق بعزم الإنكليز على إجراء مباحثات من مواقع مختلفة تماماً، أو كما يقال في أيامنا هذه "من موقع القوة".

وعلى ضوء ما سبق يعد تعيين مالكولم رئيساً للبعثة أمراً بالغ الدلالة. ومن الواضح تماماً أنه لم يتم تعيين هذا الرجل المقاتل في جوهره (الجندي النشيط)[٢] لمجرد إجراء مباحثات دبلوماسية؛ إذ لم تكن مهمة بعثة مالكولم تنفيذ مهام دبلوماسية بقدر ما هي مهام عسكرية – استطلاعية، ليس في فارس فحسب، بل في عمان أيضاً. والأهداف العسكرية لبعثة مالكولم تنحصر في إبعاد فارس وعمان عن التحالف المناوئ

١. انظر Kumar H. R.، مرجع سابق، ص١٢.

٢. انظر Kaye J.w.، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٠٢

للإنكليز، الذي أصبح قاب قوسين أو أدنى، والذي نواته الإمارات الهندية، والقبائل الأفغانية[1].

وتمهيداً لذلك تم عقد المعاهدة الإنكليزية – العمانية عام ١٧٩٨، التي شكلت الأساس لتحول حاكم عمان إلى أداة طيعة للسياسة البريطانية؛ إذ نصت بنود هذه المعاهدة على السماح للإنكليز بإنشاء قلعة عسكرية في بندر عباس، الذي استأجره حاكم عمان من الحكومة الفارسية، والإبقاء على حامية في بندر عباس مؤلفة من ٨٠٠ جندي هندي، و ٥٠ ضابطاً إنكليزياً، وبتسليح هذه القاعدة بعدد غير محدد من المدافع[2]. ولهذا السبب لم يعد بندر عباس قاعدة في أيدي الإنكليز لتنفيذ عملياتهم في الخليج العربي وخليج عمان فحسب، بل أصبح أيضاً رأس جسر بري على أراضي فارس على وجه الخصوص.

عندما تمّ التوقيع على المعاهدة الأنجلو – عمانية المضرة بفارس اضطر الشاه لإيفاد حاجي خليل خان إلى حاكم ميسور، لعقد اتفاقية تعاون معه. وقبل وصول حاجي خليل إلى ميسور كانت القوات البريطانية قد قضت على قوات حاكم ميسور. وفي الهند لاقى مبعوث الشاه حتفه في ظروف غامضة. ومما لاشك فيه أن للإنكليز ضلع في مقتله، بدليل أن الحاكم العام للهند دفع تعويضاً مالياً للشاه عن مقتله[3].

---

1. انظر .Gardane A، مرجع سابق، ص ٤٠؛ وانظر أرشيف سياسة روسيا الخارجية، سانت بطرس بورغ، الأرشيف الرئيسي، الخزانة ١-١٣، الاضبارة ٥، الورقة ٨.

2. انظر: Faroughy A. The Bahrein Islands (٧٥٠-١٩٥١). A Contribution to the Study of Power Politics in the Persian Gulf. N. Y., ١٩٥١.(p p ٧٥, ٧٦)

3. للتعرف على قضية مقتل حاجي خليل خان انظر: رضى كولي خان، مرجع سابق، المجلد التاسع، ص ١٦١. وللتعرف على التعويض المالي انظر: إقبال أ. "تاريخ أمي وفارس". طهران، ١٣١٨/١٩٣٩ (باللغة الفارسية)، ص ٣٦١.

وفي حين كان مالكولم في طريقه إلى فارس، توقف عام ١٨٠٠ في عُمان، حيث حصل على تأكيد من حاكمها على الالتزام بالمعاهدة الإنكليزية – العمانية الموقعة سابقاً. والواقع أن توقف مالكولم في عمان لم يكن من أجل ذلك فقط، إنما لممارسة المزيد من الضغط على حكومة الشاه أيضاً.

ويدل قوام بعثة مالكولم إلى فارس ونشاط أعضائها في أثناء وجودهم في بوشهر، وكذلك وهم في طريقهم إلى طهران على أن البعثة كانت مكلفة بتنفيذ مهام الاستطلاع الاستراتيجي إضافة إلى الأهداف السياسية: دراسة الوضع العام في فارس، والبحث عن طريقة يتم من خلالها إرغام فارس على السير في ركاب السياسة الإنكليزية، وإرغام الأوساط الحاكمة على الرضوخ للتحكم الإنكليزي، وتحويلها إلى رأس جسر للتوسع في منطقة بحر قزوين وآسيا الوسطى.

في أواخر يناير وأوائل فبراير من عام ١٨٠٠ وصلت بعثة مالكولم إلى بوشهر[١]، وكان عدد أعضائها، حسب قول القنصل الروسي "سكابيتشيفسكي" نحو ألف شخص. وقد كرس مالكولم أربعة أشهر من مدة وجوده في هذا الميناء لدراسة تاريخ الخليج العربي، وأوضاعه الاستراتيجية[٢].

وراح أعضاء البعثة في هذه المدة يتجولون في كل مكان من المنطقة، ويجمعون المعلومات العسكرية، ويراقبون جزر الخليج وسواحله، ويتشاورون مع الوكلاء البريطانيين المقيمين في المناطق كلها، ويبنون علاقات مع الحكام المحليين، ويحثونهم على الانفصال عن الحكومة المركزية. ومثل هذه الأعمال قام بها أعضاء البعثة أيضاً، وهم في

---

١. انظر فقرة تقرير ١٤ يناير عام ١٨٠١ في أرشيف سياسة روسيا الخارجية، الأرشيف الرئيسي، الخزانة ١-١٣، الاضبارة ٥، الورقة ١٤أ.

٢. انظر Adamiyat F.، مرجع سابق، ص ٤٤.

طريقهم من بوشهر إلى طهران. وفي الوقت الذي كانت البعثة تنتهج سياسة "الجـزرة والعصا"، وتقوم بأعمال هدامة، كانت تقدم الرشاوى والهدايا والعطايا بمبالغ يـصعب تخيلها في الممارسات الدولية(١). حتى إنّ الحكومة الإنكليزية التي وافقت بشكل عـام على النتائج التي توصلت إليها البعثة ظلت لسنوات عديدة تلوم مالكولم على إسـرافه هذا، ولم تغفره له.

أقر المؤرخون الإنكليز أخيراً بالطبيعة العدوانية لبعثة مـالكولم بعـد أن كـانوا يعملون بشكل حثيث على طمس جوهر سياسة بريطانيا في الخليج العـربي وتمويهـه، وكانوا يركزون اهتمامهم على مصالح الإنكليز التجارية في هذه المنطقة(٢).

وجد مالكولم في أثناء مباحثاته مع الحكومة في طهران أن تنازل فارس عن الجزر الثلاث: قشم، وخرج، وهنجام إلى الإنكليز، يعد حجر الزاوية في هذه المباحثـات(٣). وخلال سير المباحثات عرض جميع الحالات للحصول على هذه الجزر: من "الاحـتلال السلمي لها"(٤) حتى شرائها.

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

غير أن مالكولم، كما يقول الباحث الإيراني المعاصر فريدون آدميات، لم يكـن يدرك جيداً حقيقة أخلاق أهل البلد. فقد كان يعتقد أن بالإمكان تحقيق هدفـه مـن خلال الرشاوى والتهديد. وقد كتب آدميات في كتابه: "لم يكن من الصواب الاعتقاد

---

١. ذكر جاردان في كتابه أن مالكولم بدد ما يقرب من مليوني روبية؛ انظـر .Gardane A، مرجـع سـابق، ص٤١.

٢. انظر .Kelly J.M، مرجع سابق، ص ٧٠، ٧٨.

٣. انظر .Faroughy A، مرجع سابق، ص ٦٤؛ وكذلك انظر.Adamiyat F، مرجع سـابق، ص ٤٥، وانظر .Kaye J. W، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٢٢.

٤. انظر .Kaye J. W، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٥٤.

بأن الفرس يمكن أن يضحوا ببلادهم لقاء الهدايا"[1]. وقد كان بلاط الشاه على يقين تام بأنه إذا ما تمكن الإنكليز من تثبيت أقدامهم في فارس أو بالقرب منها، فان مصيرها سيكون مشابهاً لمصير الهند[2].

يتضح لنا مما سبق أن هذا الرأي كان صائباً تماماً؛ إذ كان مخطط مالكولم يهدف إلى تهديد فارس والدولة العثمانية وجزيرة العرب من قواعد في الخليج العربي. وبهذا الشكل تبين أن مسألة حصول الإنكليز على جزر الخليج باتت حجر عثرة في سير المباحثات، الأمر الذي اضطر مالكولم إلى حذفها من جدول أعماله، وتركيز اهتمامه على المهام العسكرية. وهذا ما انعكس على المعاهدة الأنجلو - فارسية، التي عقدت في يناير عام ١٨٠١. وتعد هذه المعاهدة في تاريخ فارس الحلقة الأولى في سلسلة المعاهدات غير المتكافئة التي وقعتها فارس مع الدول الأوربية، وفي مقدمتها إنكلترا.

ومن خلال هذه المعاهدات استطاعت هذه الدول رسمياً تعزيز نفوذها المتزايد خطوة بعد أخرى على اقتصاد فارس وسياستها. وتشير البنود الخمسة التي تضمنتها المعاهدة إلى أن الإنكليز بدأوا خلال هذه المدة توجيه سياسة فارس بالمنحى الذي يريدونه[3].

---

١. انظر .Adamiyat F، مرجع سابق، ص ٤٦.

٢. .Kelly J. B، مرجع سابق، ص ٧٢.

٣. للاطلاع على نص المعاهدة راجع كتاب اتشيسون: [Aitchison C. U.]، مرجع سابق، المجلد العاشر، ص ٣٨- ٤٧.

يدل إعلان التحالف الأنجلو- فارسي (المادة الأولى) على أن الإنكليز استطاعوا أولاً: إبعاد فارس عن التحالف المناوئ للإنكليز الذي ظهر، والذي يضم أفغانستان، وميسور، وعمان[1].

ثانياً: القضاء على النفوذ الفرنسي في المنطقة لوقت ما؛ بينما تشير (المادة الثانية) من المعاهدة إلى أن شاه فارس تعهد بمحاربة أفغانستان دفاعاً عن المصالح البريطانية.

وتبين (المادة الثالثة) أنه يمكن عقدِ معاهدة سلام بين شاه فارس وشاه أفغانستان على أن يتخلى الأخير عن خططه بشأن الهند. هنا تقتصر مشاركة الإنكليز على استعدادهم للجلوس إلى طاولة المفاوضات أي لحصد ثمار العداء الأفغاني- الفارسي الذي زرعوه بأنفسهم؛ وتتضمن (المادة الرابعة) وعداً من الإنكليز بمساعدة فارس عسكرياً إذا ما وقع نزاع مسلح.

وبذلك كان الإنكليز يدفعون الأوساط الحاكمة في فارس للتصعيد وتوتير العلاقات مع روسيا. وقد صاغ الإنكليز تعهدهم بالشكل الذي يمكنهم فيما بعد من الحنث به، وذلك بقولهم: "... وفي حال تعرض فارس إلى هجوم فإنهم يتعهدون(أي الإنكليز) بتقديم "عدد من المدافع، و العتاد الحربي.. بالقدر الممكن، مع التجهيزات الضرورية والمدربين". وهذا يعني في الواقع تلك "المساعدة"، التي ورطت بريطانيا فيها فارس في الحرب بعد أن أرسلت إليها المدربين الإنكليز. وقد كانوا بصفة مراقبين.

بدأ الإنكليز يتحضرون لاحتلال الخليج العربي تحت ستار أنهم حلفاء لفارس. ولأن بلاط الشاه رفض الموافقة على إقامة قواعد عسكرية بريطانية في الجزر، وعلى الرغم من جميع المحاولات التي بذلها مالكولم، إلا أن الإنكليز أوجدوا لأنفسهم منفذاً هو

---

[1] انظر الفصل التالي.

الاستقرار في جزيرة خرج بحجة تقديم المساعدة لفارس. وقد أعربوا عن استعدادهم لتخصيص "قوة موحدة" للعمل المشترك مع فارس في الخليج إذا ما ظهر فيه فرنسيون (المادة الخامسة). والواقع أنه لم يكن من أحد في هذا الوقت يهدد منطقة الخليج سوى الإنكليز أنفسهم. ويبدو أن الشاه عندما أدرك ذلك بدأ، "عند توقيع المعاهدة عام ١٨٠١" بمحاولة بناء أسطول في الخليج العربي[١].

وفيما يتعلق بالتهديد الفرنسي، جاء في (المادة الخامسة) من المعاهدة الأنجلو-فارسية أنه "إذا ما أراد أحد ما من الفرنسيين الحصول في أي وقت كان على مكان كموطئ قدم لإنشاء مقيمية أو مسكن في أي مكان كان، سواء على الجزر، أو على السواحل، فإن طلبه يجب ألا يحظى بموافقة الشاه".

من الواضح تماماً أن احتكار السوق الفارسية كان من أهداف هذه المعاهدة أيضاً. فقد تم السماح للإنكليز بالإقامة في جميع مناطق الخليج العربي، والمتاجرة دون دفع الضرائب، وتوريد المنتجات الصناعية كالجوخ، والمصنوعات الحديدية وغير ذلك دون دفع رسوم الاستيراد.

لقد حرض الإنكليز الفرس بمعاهدة عام ١٨٠١ على شن الحرب على روسيا (١٨٠٤- ١٨١٢). وكان الشاه يعتمد على دعم الإنكليز له في هذه الحرب[٢]. إلا أن هؤلاء استغلوا الظروف بما يتناسب مع مصالحهم فقط[٣].

---

١. انظر أرشيف سياسة روسيا الخارجية، الأرشيف الرئيسي، الخزانة ١-١٣، الاضبارة ٥، الورقة ٨.

٢. اعتقاداً منه أن الإنكليز سوف يلتزمون بالمعاهدة الموقعة مع فارس رفض الشاه في عام ١٩٠٤ التوقيع على معاهدة مشابهة مع فرنسا؛ انظر: ميرزا تاهي خان – مرجع سابق، المجلد الثالث، الجزء الأول، ص ٣٩ – ٤٠.

٣. في بداية الحرب الروسية الفارسية شن والي بغداد هجوماً على الولايات الجنوبية الغربية لفارس، وكان ذلك على يد الإنكليز؛ انظر ميرزا جعفر خان، مرجع سابق، الورقة ١٤.

عندما منيت فارس بعدد من الهزائم الكبيرة أخذ شاه فارس يطالب بريطانيا عام ١٨٠٥ بالمساعدة التي اشترطتها المعاهدة الموقعة بينهما. إلا أن بريطانيا طلبت من الشاه مقابل ذلك تأجيرها جميع الموانئ على بحر قزوين، والسماح لها بإنشاء قلعة في بوشهر، والتنازل لها عن جزيرة خرج[١]. ووافقت بريطانيا على تنفيذ مادة واحدة من مواد المعاهدة الملزمة، على أن تضع فارس تحت تصرفها الخليج العربي، وبحر قزوين، وتمهد لها الطريق إلى القوقاز وآسيا الوسطى في أثناء حربها مع روسيا. عندما كانت بريطانيا تحث فارس على الحرب ضد روسيا كانت تعتقد بأن مثل هذه الحرب ستشكل لها مناخاً ملائماً يعينها على تنفيذ مخططاتها الاستعمارية حتى حيال فارس نفسها.

عندما وجد نابليون أن الحكومة الفارسية مترعجة من عدم التزام الإنكليز بمواد المعاهدة الموقعة معهم أرسل في الفترة من ١٨٠٥ إلى ١٨٠٧ عدة بعثات إلى فارس: بعثة روميه، وجوبير، وجوانين، وبونتيم، ودا لابلانش، وجاردان. وفي بعثة روميه تسلم الشاه رسالة من نابليون يقترح فيها توحيد القوى للصراع ضد بريطانيا وروسيا[٢]. وفي أثناء قطع العلاقات بين فارس وبريطانيا، والتحالف مع فرنسا تعهد جوبير لشاه فارس بمده بالسلاح، ومساعدته على الاستيلاء على جورجيا[٣]. ومثل هذه التعهدات قدمها رسل نابليون اللاحقون إلى شاه فارس.

---

١. انظر **Gardane A.**، مرجع سابق، ص ١٢، وانظر كذلك قائممقامي، مرجع سابق، ص١٢.

٢. لم يتمكن روميه من بدء المباحثات في فارس لأنه لم يمكث فيها أكثر من ثلاثة أسابيع (من ٢٤ سبتمبر إلى ١٢ أكتوبر)؛ إذ توفي فجأة في ظروف غامضة. انظر: إيغامبرديف م. أ. "فارس والعلاقات الدولية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، سمرقند، ١٩٦١،(باللغة الروسية)، ص٧٩ -٨١، وللاطلاع على حادثة مهاجمة بعثة جوبير في بيازيت انظر أرشيف سياسة روسيا الخارجية، سانت بطرسبورغ، الأرشيف الرئيس، الخزانة ١-١٣، الاضبارة ٨، الورقة ١٣و١٤. وحول الخروج السريع لبعثة جوانين (بإلحاح من الوزير جارفورد جونس)، انظر المرجع نفسه، الاضبارة رقم ٥، الورقة ١١٢.

٣. انظر محمود محمود، مرجع سابق، ص ٤٠.

في أوائل عام ١٨٠٦، وتحديداً (من ١٦ فبراير إلى ١٦ إبريل) كان مبعوث القيصر الروسي ستيفانوف في بلاط الشاه حاملاً معه مقترحات السلام. إلا أن الحكومة الفارسية تباطأت في الرد على تلك المقترحات بانتظار نتائج المباحثات مع الفرنسيين[١].

ولكن عندما كان جوبير يناقش التنازلات التي يمكن أن يحصل عليها من فارس مقابل التوقيع على اتفاقية التعاون مع فرنسا لم يكن يحمل أي تفويض لإبرام أيّ اتفاقية، شأنه في ذلك شأن روميه. ويبدو أن الهدف من إرساله إلى فارس كان جسّ النبض، والعمل على إطالة أمد الحرب الفارسية الروسية. وفي الوقت الذي كانت تجرى فيه المباحثات (من فبراير حتى يوليو عام ١٨٠٦) أنزل الجيش الروسي عدداً من الهزائم بالجيش الفارسي، واستولى على باكو ودربند وغيرها. وأخذت أوضاع حكومة الشاه تزداد سوءاً يوماً بعد يوم لاستمرارها في خوض الحرب ضد روسيا معولة على مساعدة الإنكليز أولاً، والفرنسيين ثانياً[٢].

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

وفي غضون ذلك لم يكن في نية بريطانيا تقديم المساعدة لفارس على الرغم من أنها هي التي حرضتها على شن الحرب ضد روسيا. ولكن في الوقت نفسه لم ترد التفريط بالمكاسب التي حصلت عليها من المعاهدة التي وقعتها معها في عام ١٨٠١ لأنه في حال إلغاء المعاهدة (وهذا يمكن أن يحدث نتيجة لمباحثات فرانكو فارسية)، فسيتعين على الإنكليز إغلاق باب التجارة الهندية الفارسية، ومحاصرة سواحل فارس بعد أن يجروا باشا بغداد إلى هذه القضية.

---

١. انظر.Gardane A، مرجع سابق، ص ٢٤

٢. كرست الباحثة الفارسية مز روشان زامير مقالة قيمة سلطت فيها الضوء على وقائع المنافسة الإنكليزية الفرنسية في بلاط الشاه في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر.انظر: روشان زامير م. "نفوذ سياسية إنكليز دار بار قاجار ورقابة سياسة فرنسا دار فارس – باررسيا تاريخي-"، ١٩٧٧ رقم ٢ (باللغة الفارسية).

وتحسباً لمثل هذه الحال أضاف مالكولم مادة جديدة إلى مخطط استعمار منطقة الخليج العربي تنص على إقامة "دولة حاجزة" من ولايتي البصرة وبغداد، تكون تحت رعاية بريطانيا، والإسراع في الوقت نفسه في حل الإمبراطورية العثمانية وتفكيكها[١]. كما كان في نية الإنكليز أيضاً احتلال القواعد الفارسية في الخليج العربي[٢].

ومما كتبه مالكولم إلى الحاكم العام في الهند في ٢٣ نوفمبر عام ١٨٠٦ بهذا الخصوص: "إن ذلك إما أنه سيرغم الشاه على تغيير سياسته، وإما أن يعرِّض ممتلكاته وحياته للخطر؛ إذ إنّ مثل هذه الإجراءات لن تؤثر هيبته فحسب، بل ستثير سخطاً وتبرماً شديدين بين رعاياه، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى اندلاع الفتن والعصيان، والثورات"[٣]. كان مالكولم يقصد من قوله "اندلاع الفتن، والعصيان، والثورات" حدوث انقلاب على الشاه تم التحضير له من قبل الإنكليز أنفسهم.

يتضح من هنا أن الإنكليز خططوا للقيام بانقلاب في فارس قبل التوقيع على المعاهدة الفرانكو فارسية في "فينكين– شتاين" (Finken-Stein) بوقت طويل، بل قبل توقيع معاهدة تلست[٤] بين نابليون والإسكندر الأول، التي كان الهدف منها إقامة تحالف روسي – فرنسي. وهذه الأحداث إن لم تسوّغ فإنها توضح بقدر ما اتخاذ مثل هذا الإجراء. ومع الأخذ بالحسبان الخلل المقصود في الترتيب الزمني في أيامنا، فقد ذكر كيلي (.Kelly) في كتابه المفصل حول السياسة الإنكليزية في الخليج العربي في

---

[1]. انظر .Kelly J. B، مرجع سابق، ص ٨٤– ٨٥.

[2]. في هذه الأثناء كانت السفينة الحربية البريطانية فوكس تجوب مياه الخليج ذهاباً وإياباً بوظيفة بوليسية. وبعد عدة أشهر كانت هناك عمارة موجودة في مياه الخليج بقيادة فيريو. انظر.Kelly J. B، مرجع سابق، ص٨٣، ٨٦.

[3]. انظر .Kaye J.W، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٣٩٨.

[4]. جرى التوقيع على اتفاقية تلست بين نابليون والاسكندر الأول في ٧ يوليو عام ١٨٠٧..... المترجم

القرن التاسع عشر أن خطة "تحريض فارس على الشاه" بدأت عند الإنكليز بعد التوقيع على معاهدة تلست للسلام[1].

أظهرت معاهدة فينكين- شتاين التي تم توقيعها في شهر مايو عام ١٨٠٧ حرص حكومة نابليون على إدخال فارس في صراع مع بريطانيا وروسيا. وكان الطعم الرئيس الموجه إلى الأوساط الحاكمة الفارسية الاعتراف بجورجيا شفهياً ولاية لفارس، والتعهد شفهياً بمساعدتها في الحرب ضد روسيا. وبعد ستة أيام من التوقيع على المعاهدة حمل نابليون تعليماته لجاردان وأرسله إلى طهران على رأس وفد كبير. وبعد خمسة أشهر وصل هذا الوفد إلى طهران.

وفي أواخر شهر ديسمبر من العام نفسه صادق الشاه على اتفاقية، ووقع معاهدة تقوم فرنسا بموجبها بتزويد فارس بـ ٢٠ ألف بندقية. كما تم التوقيع على اتفاقية تجارية فرانكو - فارسية منحت التجار الفرنسيين امتيازات كثيرة، ووسعت نظام الامتيازات الأجنبية الخاصة بالمعاهدتين المجحفتين بين فرنسا وفارس (عام ١٧٠٨ وعام ١٧١٥)[2].

وفي محاولة منه لوضع الفرنسيين في مواجهة الإنكليز الذين يبرهنون على أنهم غزاة ومستعمرين شرهين جداً في هذه المنطقة وافق الشاه على إنشاء قواعد فرنسية في الخليج العربي.

---

١. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق ص ٨٣.

٢. تم التوقيع على المعاهدة في عام ١٧١٥من قبل جد الجنرال جاردان، والجدير بالذكر أن اسم جاردان كان معروفاً في فارس وليوانت، حيث شغل ممثلو هذه العائلة مناصب رفيعة، وكانت لهم علاقات قديمة. انظر ص ١٨٣ من " **Driault E. La politique orientale et les iles be Bahrein. P.,** ١٩٣٦ ".

أدت معاهدة فينكين- شتاين إلى إرباك الرأي العام الأوربي وتضليله؛ إذ أظهرت التحالف الفرنسي الفارسي قوياً. إلا أنه بعد مضي شهرين على توقيع معاهدة صلح تلست بين فرنسا وروسيا أدار نابليون ظهره إلى فارس، ولم يلتزم بتنفيذ المعاهدة الموقعة معها. واتضح أن الهدف من بعثة الجنرال جاردان جمع المعلومات عن موارد فارس، وقوتها العسكرية.

وكذلك العمل بكل الوسائل لتأجيج نار الحرب والعداء بينها وبين روسيا، بصرف النظر عن المعاهدة الفرنسية الروسية[1]. وليس كما يدعي جاردان بأنه يحمل تعليمات بالتقريب بين الطرفين. وبغية جمع المعلومات عن فارس كانت بعثة جاردان تضم عدداً من المراقبين، ورجال المخابرات، بما في ذلك خبراء بحرية عسكريين لدراسة الموانئ الفارسية[2].

في أثناء سير المباحثات الفرانكو فارسية ظهر للإنكليز أن موقف فارس قد تغير منهم. وبصرف النظر عن الفتور الذي حدث لاحقاً في اهتمام الحكومة الفرنسية بفارس بدا للإنكليز احتمال أن يتشكل وضع يمنعهم من الاستيلاء على مواقع رئيسة مهمة في الخليج العربي، سواء بسبب ممانعة فارس، أو بسبب مقاومة تبديها أيّ دولة أوربية. وإضافة إلى ذلك يمكن لفارس، إذا ما تلقت مساعدة خارجية من مثل هذه الدولة، أن تعيق سياسة الاستعمار البريطانية في الشرق الأوسط. كما أن الاتفاقية التجارية بين فرنسا وفارس جعلت التجار الفرنسيين في ظروف أفضل من ظروف التجار الإنكليز. وهذا يعني بالنسبة لبريطانيا ظهور منافسين لها في منطقة نفوذها وحدها.

---

1. انظر محمود محمود، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٦.

2. انظر .Gardane A، مرجع سابق، ص ٤٦، وكذلك انظر أرشيف سياسة روسيا الخارجية، مرجع سابق، الاضبارة ٥، الورقة ٥٣.

وجدت الحكومة البريطانية أن الوضع الذي تشكل في فارس في بداية عام ١٨٠٨ نتيجة لعدم نشاط البعثة الفرنسية، وانشغال معظم قوات الشاه في الشمال، ومن ثمّ عدم إمكانية مقاومة الضغط من الجنوب، يشكل الفرصة المناسبة لها لتنفيذ مخططاها" التي تجول في خاطرها منذ أمد بعيد"[١] تجاه الخليج العربي. وعليه توجهت بعثة من بريطانيا إلى فارس برئاسة هارفورد جونز. ولدعم هذه البعثة جهزت "حكومة الهند البريطانية" التي يرأسها الحاكم العام في الهند، مينتو حملة عسكرية بقيادة جون مالكولم لإرسالها إلى مياه الخليج. (درجت في الأوساط السياسية الإنكليزية تسمية مثل هذه الحملة "بالبعثة الدبلوماسية").

تشير المراجع التاريخية الإنكليزية إلى أن خلافاً وقع بين حكومة لندن وحكومة الهند البريطانية بسبب بعثة جونز وحملة مالكولم العسكرية، وأنه كان هناك تخوف من أن يؤدي التقاء المبعوثين إلى صدام بينهما[٢]. إلا أن الوثائق والأحداث المتزامنة تقريباً تدحض ذلك.

فبعد مرور ٤٠ سنة على هذا الحدث ذكر جون كَي (**John Kaye**) في كتابه الذي نشره عن حياة مالكولم: "وجد اللورد مينتو أن بالإمكان الاستفادة من إشراك مالكولم في هذه المسألة (تنفيذ المخططات الاستعمارية) في أثناء وجود جونز في طهران (أي إرسال مالكولم إلى ذلك القسم من البلاد الذي لن يصله نفوذ جونز وتأثيره)، ولهذا تم إرسال مالكولم أولاً إلى الخليج العربي وتم تكليفه بمهمة عامة لا تتسم بطابع

---

١. انظر أرشيف سياسة روسيا الخارجية، خزانة وزارة الخارجية، المكتب الفارسي، المجلد الأول ص ٤٣٢.

٢. انظر **Kaye J. W.K**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٠٢، ٤٠٥ وغيرها.

محدد. والظاهر أنه كان يجب إرسال مالكولم حاملاً حقيبة دبلوماسية تخفي وراءها فوهات مدافعنا الإنكليزية. وقد رأى اللورد مينتو أن الأمر يتطلب جندياً نشيطاً"[١].

نلاحظ مما سبق أنه يوجد في "حكومة الهند البريطانية" أشخاص على اطلاع جيد ودراية واسعة بالأوضاع في الخليج العربي، يقومون بتوزيع الأدوار على مرؤوسيهم بدقة، ويحددون من يقوم بإجراء المباحثات، ومن يقف خلف المدافع. عندما ركب مالكولم سفينته المتجهة إلى بومباي، التي من المقرر أن يصلها جونز أيضاً، أبلغ قيادته قائلاً: "إذا ما رأيت أن تصرفهم (يقصد الفارسيين) يستدعي اتخاذ الإجراءات الكفيلة بجعلهم يدركون أننا نملك ما يكفي من وسائل لتحقيق غاياتنا، فإنني لن أتردد باتخاذ مثل هذه الإجراءات"[٢].

عندما تأخر جونز عن الوصول إلى بومباي، بسبب التفافه حول رأس الرجاء الصالح، قرر الحاكم العام في الهند اللورد مينتو، الذي خشي من ضياع الفرصة المؤاتية إرسال "بعثة" مالكولم دونما تأخير. وقبل إبحار الأخير وجه إليه الكلمات التالية: "لقد عزمت على أن أضع تحت قيادتكم القوة التي يجب أن تترك الانطباع الذي نريده في نفوس أولئك الذين أنتم في طريقكم إليهم. وسأوافق على أيّ زيادة في القوات ترونها ضرورية لمرافقتكم".

واقترح في أثناء ذلك تحميل سفن الأسطول الحربي والحملة المتجهة إلى الخليج العربي بما تتسع له هذه السفن من جنود "بصفة بحارة"[٣]. (تشير مصادر معلومات

---

١. انظر Kaye J. W.K، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٠٢.

٢. انظر Kaye J. W.K، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٠٥.

٣. للاطلاع على رسالة اللورد مينتو الموجهة إلى مالكولم المؤرخة في ١٨٨/٣/٩ انظر Kaye J. W، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤١١.

رسمية إلى أن عدد سفن عمارة مالكولم في ١٠ مايو ١٨٠٨، التي وصلت إلى موانئ فارس بلغ ٣٠ سفينة حربية وناقلة)[١].

بلغ قوام المجموعة الأولى (النسق الأول) من القوات البحرية التي وصلت إلى الخليج ثلاث سفن تحمل على متنها ٣٠٠ جندي، تم اختيارهم من قوات الفوج ٨٤، وكانوا يرتدون ملابس البحارة، و١٠٠ مقاتل من سلاح الفرسان، و٥٠ من الجنود الهنود، ومدفعية ميدان مع طواقمها.

وتشكل هذه المجموعة "قوة التأثير"[٢]؛ ومن الممكن دعم أعمالها القتالية بنيران مدافع السفن البالغ عددها ١٠٠ مدفع, وبمدفعية الميدان الملحقة بهذه المجموعة، التي يمكن أن يصل تأثيرها إلى ما بعد الساحل، وتستطيع الدفاع عن أيّ قاعدة يتم احتلالها إلى حين وصول المجموعة الثانية (النسق الثاني) من القوات البحرية، التي يبلغ عدد جنودها ١٠ آلاف جندي ينتظرون إشارة من مالكولم[٣].

قبل يومين من إقلاع مالكولم بسفينته رفع تقريراً إلى الحاكم العام في الهند جاء فيه: " إن القوة التي تم تشكيلها تنفيذاً لتعليماتكم، والتي لا توحي من مظهرها الخارجي بأنها قوات حملة عسكرية، قادرة على سحق أيّ وحدة عسكرية قد تستطيع

---

١. انظر رسالة من جاردان موجهة إلى وزير خارجية فرنسا شامباني المؤرخة في ١٨ يونيو ١٨٠٨ في: Gardane A. مرجع سابق، ص ١٧٣. كما أنه لا يمكن الشك بصحة هذه المعلومات ؛ إذ إنه تم إعلام الشاه بها رسمياً عند وصول عمارة مالكولم إلى الخليج.

٢. انظر Kaye J.، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤١٢.

٣. كانت قوات الحملة العسكرية البريطانية في هذا الوقت تتمتع بخبرة عالية في خوض الأعمال القتالية في البر، ليس في الهند فحسب، بل على الساحل الجنوبي للخليج العربي.

الوصول إلى جزيرة موريشيوس. مع أنه من الصعب التصديق بقدرة أيّ وحدة على الوصول إليها"[1].

من هنا يمكننا أن نستنتج أن هذه القوات لم تكن مخصصة أبداً للوقوف ضد الفرنسيين، وإنما ضد الفرس؛ إذ إنّ الإنكليز خططوا لاستخدامها، ليس من أجل إظهار القوة فقط، وخوض الأعمال القتالية المحتملة كمجموعة أولى في فيلق الحملة البريطانية، إنما من أجل التحريض، واستثارة النزاعات في داخل فارس. كما ذكر مالكولم في تقريره إلى مينتو أيضاً:"أنّ وجود هذه القوة سيمكنني من تقديم المساعدة والدعم، إذا ما دعت الحاجة القصوى إلى ذلك، للفئة التي تقف إلى جانبنا"[2].

رأى مالكولم أن ضرب حصار على السواحل الفارسية من الهند إلى بغداد، والاستيلاء على قواعد فارسية في الخليج "سيرغم الشاه على تغيير سياسته، أو يعرِّض ممتلكاته وحياته للخطر"، وهذا ما ذكره للحاكم العام في الهند عام ١٨٠٦، كما سبق أن أشرنا. وهاهو مالكولم الآن يقود حملة مهمتها إجبار فارس بالقوة على أن تصبح أداة للسياسة الإنكليزية، و إلا وقع انقلاب في البلاط الملكي بمساعدة زمرة مأجورة. وكان مرشح مالكولم لمنصب الشاه، ممثل سلالة الزنديين المخلوعة، نجف خان، الذي اصطحبه مالكولم معه من الهند، وكان هذا يتقاضى راتباً من الإنكليز.

مما ذكره جاردان عن مكائد الإنكليز في ذلك الحين أن بريطانيا "كانت تتصرف دائماً بشؤون فارس سراً من خلال عملائها، وعلناً من خلال قناصلتها الأذكياء، وأنها كانت مسرفة في إنفاق الذهب". ومن المعلومات التي ذكرها أيضاً أن الإنكليز تمكنوا

---

[1]. جزيرة موريشيوس قاعدة بحرية فرنسية [تقع في المحيط الهندي، وقد نالت استقلالها لاحقاً.......المترجم]

[2]. انظر **Kaye J. W**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤١٢.

من تشكيل جماعة موالية لهم في بلاط الشاه برئاسة عمدة أصفهان[١]. من المعلوم أنه بتحريض من هذه الجماعة تمرد في فارس عام ١٨٠٨ اثنان من الإقطاعيين المحليين[٢]. وإن الوكلاء البريطانيين استغلوا نفوذهم لتنظيم انتفاضة تفجرها في وقت واحد القبائل العربية الساحلية، التي كانت تهدد فارس من الجنوب[٣].

لقد اتضح الآن لماذا لم تكن بعثة مالكولم العسكرية "ذات طابع محدد"، ولماذا كان عليها العمل في تلك البقعة من البلاد، التي كان من الصعب على جونز أن يبسط نفوذه فيها.

في الوقت الذي كان ينبغي على هذا الأخير الضغط على حكومة الشاه مباشرة، مستفيداً من وجود قوة عسكرية تحت تصرفه في الخليج العربي يستطيع استخدامها حين يشاء، كان مالكولم يشرف على العمليات على سواحل الخليج وفي منطقة بغداد – البصرة، وفي ولايات فارس الجنوبية[٤]. وكان الإنكليز يأملون أن تفضي جهودهم إلى قيام انقلاب على القصر في طهران، وحدوث فتن داخل البلاد يضعف المملكة تماماً، ويسهل عليهم التدخل العسكري بالقوات المعدة سلفاً.

---

١. انظر Gardane A.، مرجع سابق، ص ٨٥، ١٧٣.

٢. انظر فيساي، مرجع سابق، ط ١ ، ص ٢٥٦.

٣. انظر إيغامبردييف م. أ. مرجع سابق، ص ١١٩.

٤. ذكر المؤرخ المعاصر محمود محمود في حديثه عن أهداف مالكولم عام ١٨٠٨، أن هذا الأخير كان يتطلع للاستيلاء على قواعد في منطقة الخليج العربي حتى يتمكن من فرض إرادته على فارس. انظر محمود محمود، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٨١.

أقلعت سفن مالكولم من بومباي في ١٧ أبريل عام ١٨٠٨. وعندها كتب أحد ضباط الجيش الأنجلو هندي، وكان يأمل في نهاية سريعة لحملة مالكولم أنه "بعد مالكولم لن يبقى أمام جونز سوى وضع الأختام على المعاهدات التي يعقدها مالكولم"[١].

ولأن حكومة الشاه كانت تفتقر إلى وسائط حربية بحرية لحماية موانئها، ما كان أمامها إلا أن تنظم دفاعها عن هذه الموانئ بالقوات البرية فقط. ولهذا أصدر الشاه أمراً في بداية شهر أبريل بإرسال أربعة آلاف جندي إلى شيراز وبوشهر؛ لمساعدة ولاية فارس الجنوبية[٢]. وهذا الأمر، الذي أصدره الشاه في اللحظة التي كانت فيها القوات الفارسية تفتقر إلى الدعم والإمدادات على المسرح الشمالي، يدل بشكل واضح تماماً على أن حكومة الشاه كانت على دراية تامة بالخطر الذي خيم على البلاد منذ ظهور الأسطول البريطاني في مياه الخليج العربي. وكان الشاه يرى أنه كان يحتاج إلى فرقة لا يقل عدد أفرادها عن سبعة آلاف جندي، إلا أنه لم يستطع تأمين أكثر من نصف هذا العدد إلا بقليل[٣].

ومن الواضح أن الحكومة الفارسية كانت على دراية بمهمة حملة مالكولم العسكرية، بل من الممكن أن معلومات كانت قد وصلت إلى الشاه تفيد بأن الإنكليز يستخدمون في أعمالهم إلى جانب الجنود أشخاصاً آخرين. ومما لاشك فيه أن انتهاج سياسة "تحريك النار بأيدي الغير" مكنت الإنكليز من إجبار شيوخ الخليج العربي على المشاركة في مغامراتهم العسكرية.

---

١. انظر **Kaye J. W**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٤٠.

٢. انظر **Gardane A.**، مرجع سابق، ص ١٧٤.

٣. أرشيف: مواد ووثائق أرشيف سياسة روسيا الخارجية، مرجع سابق، الاضبارة ٤٠.

وليس بخاف على أحد من الذي شارك من الشيوخ في هذه الحملة. فأعمال حاكم عمان في هذا الوقت السيد سعيد كانت مرتبطة بشكل مباشر مع مكائد مالكولم ودسائسه. ففي شهر مايو من عام ١٨٠٨ بالتحديد استولى السيد سعيد على مدينة خورفكان المسيطرة على مشارف مضيق هرمز. ولا ريب في أن الإقدام على هذا العمل تم بالتنسيق مع مالكولم في أثناء وجوده في مسقط، وهو في طريقه إلى فارس.

قبل الانتقال للحديث عن الأعمال اللاحقة لمالكولم في أثناء وجوده في الخليج، لنعد قليلاً إلى ما هو متبع في الأوساط السياسية الإنكليزية حول تسمية مثل هذه الحملة بالبعثة الدبلوماسية، ولنتساءل: هل يصح القول عن "مجموعة القوات البحرية الإنكليزية التي جاءت إلى الموانئ الفارسية، وعلى متنها وحدات مشاة من جنود الفوج الرابع والثمانين، يرتدون ملابس البحارة وقد أُلحقت بها مدفعية ميدانية" أنها بعثة دبلوماسية ؟ للإجابة عن هذا السؤال سوف ننظر إلى المسألة من جانبيها الرسمي والعملي.

أولاً: من الجانب الرسمي: وصل رئيس ما يسمى بالبعثة لإجراء مباحثات دبلوماسية، أما من الجانب العملي فقد قام الجنرال مالكولم، قائد المجموعة العسكرية البحرية بالتوغل في مياه الخليج العربي معتمداً على التفوق العسكري لقواته، واحتل المشارف المؤدية إلى بوشهر.

وفي الوقت ذاته أراد وضع حكومة الشاه أمام الأمر الواقع. أما هدفه فكان تكبيل فارس بالتزامات محددة تجاه إنكلترا؛ ثانياً: لم يتم تحديد المهمة الرسمية "للبعثة" الكبيرة العدد، إضافة إلى السفن الحربية. وتدل الوثائق المكتشفة على أن هدف مجموعة القوات عملياً هو التدخل، والوقوف إلى جانب الجماعات التي تؤيد الإنكليز. ولهذا من الطبيعي جداً أنه لا يجوز بحال من الأحوال تسمية مجموعة مالكولم التي

وصلت إلى بوشهر في شهر مايو عام ١٨٠٨ بالبعثة. فمثل هذه التسمية تخفي الطبيعة العدوانية لظهور الأسطول الإنكليزي في المياه الإقليمية لفارس.

تتلخص وظيفة حملة مالكولم في إظهار قوة التحدي. ولهذا يجب النظر إلى استمرار وجودها في الخليج العربي على أنه احتلال[1]. وبالمناسبة كلمة احتلال لم يكن أحد من المستعمرين يستخدمها سوى مينتو. ولكن بغية التخفيف من وقعها كان يضيف إليها صفة الودي فيقول: "الاحتلال الودي".

عندما كان مالكولم في بوشهر طلب من شيخها الإسراع بإبلاغ الشاه أنه يطلب بدء المباحثات، أو، حتى نكون أكثر دقة، طلب من الشيخ إبلاغ الشاه أنه يريد منه "الإصغاء إلى مطالبه"؛ إذ إنّ مالكولم كان في هذا الوقت يهدد بإنهاء التجارة الهندية الفارسية، ومحاصرة جزيرة خرج، واحتلالها. لقد تركت قوة الحملة واللهجة الديكتاتورية التي استخدمها مالكولم الانطباع الذي أراد الإنكليز تركه؛ إذ تمت الموافقة له على ما طالب به في بوشهر بتبجح خلافاً لما كان عليه في السابق. فقبل ثماني سنوات كان يلجأ إلى حياكة الدسائس، وتدبير المكائد، وتقديم الرشاوى، وتشكيل شبكة عملاء عندما كان ينتظر السماح له بمقابلة رسمية.

بعد أن علمت حكومة الشاه بوصول حملة مالكولم، وبالمطالب التي عرضها، ترددت في كيفية التصرف؛ إذ إن الرفض المباشر لمطالبه يعني أن الإنكليز سيجعلون سواحل الخليج وألوية فارس تحت النار والسيف. وبعد شيء من التردد طلب الشاه

---

[1]. يسمي المؤرخ الفارسي ف. آدميات وجود السفن الحربية البريطانية في المياه الإقليمية لفارس في عام ١٨١٩ دون تردد احتلالاً، انظر .Adamiyat F مرجع سابق، ص ٨٠؛ في حين يتهرب الساسة الإنكليز عن التحدث عن الاقتحام الذي وقع في عام ١٨٣٨، عندما نزلت القوات البريطانية– الهندية في جزيرة خرج. وبالمناسبة كانت المجموعة الأولى من القوات البريطانية التي احتلت خرج في عام ١٨٣٨ أقل عدداً من حملة مالكولم.

من مالكولم وقتاً للتباحث مع والي فارس. وكان الشاه يهدف من وراء ذلك كسب الوقت، وإرسال قوة إضافية إلى الجنوب قوامها ثلاثة آلاف جندي بقيادة إسماعيل بك. وسرعان ما أدرك مالكولم أن موقف الشاه أكثر صلابة مما كان يعتقد، ولا سيما أن قوات الشاه وقوة شيخ بوشهر احتشدت على امتداد الخط الساحلي. ولم يتم السماح للجنود الإنكليز بالنزول إلى اليابسة.

وقد كانت القوات الفارسية يقظة جداً من محاولة إبرار القوات البريطانية على جزيرة خرج. حتى إنّ الشيخ أخبر الإنكليز بأنه "مكلف بالاهتمام" بسلامة الجزيرة، وبمنع قوات الفرسان الإنكليزية من النزول إلى اليابسة. وبهذا الشكل تحول الخليج العربي عملياً منذ شهر مايو ١٨٠٨ إلى منطقة حشد للقوات البريطانية والفارسية. وهذا كان يهدد باندلاع المعارك القتالية.

على الرغم من أن الوضع كان شديد التعقيد، إلا أن الشاه لم يكن له بد من أن يستخدم الطرق الممكنة كافة لمواجهة مالكولم ورفض سياسة إملاء الشروط التي ينتهجها؛ إذ إنّ قبوله بمطالب مالكولم يعني الاستسلام للإنكليز دون قيد أو شرط.

كما أن الشاه الذي صقلته التجارب السابقة يدرك تماماً أن وجود مالكولم في البلاط سيرافقه تدبير المكائد. كما كان يعي أيضاً أن مالكولم على استعداد في هذه المرة لتنظيم انقلاب في بلاطه. إلا أنّ وجود الجنرال جاردان في طهران في هذا الوقت، ومحاولته منع التوغل الإنكليزي في فارس، أعطى الشاه دعماً ملحوظاً للثبات على موقفه.

لم يبقَ أمام مالكولم فيما بعد إلا الاعتراف بأن "لغة التحكم وإملاء الشروط"، التي لا يستطيع استعمالها، سوى قائد حملة سبق له أن كسب معركة، أو يملك تفوقاً

واضحاً في القوى والعتاد لا يمكنها إنقاذ حملته من الأخفاق. وعندها وجد مالكولم نفسه أمام أمرين: إما تعزيز مطالبه بقوة السلاح، أو الانسحاب بصمت، ومن ثم طلب الدعم. ونتيجة للإجراءات الدفاعية التي اتخذتها الحكومة الفارسية وحاكم فارس اضطر مالكولم لاختيار الأمر الثاني. وهكذا توجه في بداية شهر يونيو إلى الهند على متن السفينة دوريدا، طلباً للدعم والإمدادات. إلا أن رحيل مالكولم لا يعني بشكل من الأشكال أن الضغط الإنكليزي على فارس من الجنوب قد انتهى أو قل؛ إذ إنّ قوات الحملة، باستثناء السفينة دوريدا، ظلت في الخليج العربي، واستمرت في استعراض القوة العسكرية البريطانية. صحيح أن السفن البريطانية لم تقم بتنفيذ أعمال قتالية؛ إلا أنها لم تنسحب أيضاً من الخليج، مستفيدة من عدم وجود قوة بحرية لفارس قادرة على إجبار الغرباء المتطفلين على مغادرة مياهها الإقليمية.

من الواضح تماماً أن قائد الحملة، الذي غادر طلباً للمساعدة والدعم، لم يكن هدفه الدفاع عن الهند من الخطر الفرنسي، (كما يدعي المؤرخون البرجوازيون، وبقولهم إنّ ذلك كان الهدف الرئيس "للبعثة")، وإنما كان ذلك من أجل إقامة قواعد عسكرية على سواحل الخليج العربي. حتى إنّ مالكولم كان يحلم باليوم الذي يعود فيه إلى هذه المنطقة "مع ريح مؤاتية، ويستقر فيها كسيد مالك لجزيرة محصنة، ومتصرفاً بمصير فارس والجزيرة العربية"[1].

تلقى الحاكم العام في الهند اللورد مينتو تقريراً من مالكولم، يخبره فيه بإخفاق حملته. وعندها ما كان من مينتو إلا أن أرسل إلى السير هـ. جونز يخبره بنبأ إخفاق الحملة، ويأمره بالتوجه فوراً إلى طهران، والبدء بالمباحثات مع الشاه، والاعتماد على

---

[1] . هذا ما دونه مالكولم في مذكراته في الثامن من يوليو عام ١٨٠٨ عندما مر بسفينته بالقرب من جزيرة خرج. انظر **Kaye J. W**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٢٤.

القوة التي أبقاها مالكولم في الخليج. إلا أنه بعد عدة أيام، وما إن وصـــل مـــالكولم إلى كلكتا حتى عاد ورفع تقريراً خاصاً إلى اللورد مينتو. وعلى أثر ذلك وجه هذا الأخير أمراً إلى جونز بالبقاء في بومباي.

في الثلاثين من أغسطس من العام نفسه عقد في "المقر العام للتوسع البريطاني في الشرق" – كلكتا مجلس سياسي حربي، تمت فيه مناقشة تقريـــر مـــالكولم، وخطـــط الأعمال الحربية التي يقترحها. وتمت توقيع المجلس على الخطة، وإقرارها، كما تم اتخاذ قرارات خاصة بإرجاء سفر جونز؛ وإرسال مجموعة ثانية من القوات إلى الخليج؛ ومنح قائد الحملة الجنرال مالكولم سلطة عسكرية وسياسية عليا في منطقة الخليج[١].

لقد عمل "مجلس تجار كلكتا"[٢] – كما يسميه ك.ماركس، حسب تعليمـــات لندن. إلا أنه بعد أن وافقت الحكومة البريطانية على الحملة العسكرية علـــى الخلـــيج العربي كان جونز قد أبحر متجهاً إلى طهران قبل أن يصل إليه أمر مينتـــو بالبقـــاء في بومباي[٣].

عندما يسمي المؤرخون البرجوازيون حملة مالكولم العسكرية "ببعثة دبلوماســـية" يحكمون على المظهر الخارجي للمسألة، وينهون قصة هذه البعثة بأن مالكولم عاد مـــن بوشهر إلى الهند بسبب كاسر أمواج، وأنه تم إرسال جونز ليحل محلـــه متناســـين أن مالكولم عاد إلى الهند بمفرده من أجل طلب الدعم والإمدادات، وأن القسم الأكبر من

---

١. انظر رسالة مينتو إلى مالكولم المؤرخة في ٩ مارس ١٨٠٨ في Kaye J. W، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٢٤.

٢. انظر ماركس ك. مقتطفات أحداث متزامنة في تاريخ الهند، موسكو، ١٩٤٧ ص ١٠٥

٣. انظر Kaye J. W، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٤٨.

القوات البحرية الأساسية التي تم تعيينه قائداً عليها بقيت راسية في مياه الخليج، كما تناسى هؤلاء أيضاً القرار الذي اتخذه المجلس السياسي الحربي في كلكتا.

عندما تلقى الجنرال مالكولم الأوامر باحتلال جزيرة خرج "بقوة عسكرية مدعومة بجميع صنوف القوات، ومستكملة بالكوادر" سارع إلى تشكيل المجموعة الثانية من القوات. وقبل نهاية شهر سبتمبر كانت هذه المجموعة تنتظره في بومباي بعد أن تم إعداد خطط عمليات لهذه المجموعة "بدقة متناهية". وقد ذكر كَي في هذا الخصوص أن " ذلك ما جعل مالكولم يشعر بالسعادة تغمره"[١].

عندما ركب مالكولم سفينته في كلكتا أخذ يكتب: " أتوجه الآن إلى ذلك البلد (إلى فارس) ومعي جميع الصلاحيات العسكرية والسياسية، التي كنت أرغب بالحصول عليها.(كان حلمه العودة إلى المنطقة والاستقرار فيها كسيد يتحكم بمصير البلدان المتاخمة للخليج العربي... مؤلفة الكتاب)، وأنا الآن أحظى بثقة لا متناهية. وباختصار أنا متجه إلى هناك، حيث بإمكاني العمل كما تمليه علي مصلحتي ومشاعري"[٢].

في حين كان مالكولم في طريقه إلى بومباي لحقت به سفينة سريعة تحمل له تعليمات جديدة من الحاكم العام في الهند تطالبه بتأجيل حملته. فقد تبين أن جونز قد رحل إلى فارس كونه لم يستلم الأمر الثاني المعاكس من مينتو، الذي يأمره فيه بالبقاء في بومباي لتأخر وصوله مدة يومين. كما أن تعليمات صدرت لجونز من الحكومة البريطانية تطالبه أيضاً بالبقاء في الهند، تأخرت أيضاً مدة ٢٤ ساعة[٣].

---

١. انظر Kaye J. W، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٣٥.

٢. انظر رسالة من مالكولم إلى شارلوت مالكولم، سبتمبر ١٨٠٨، انظر Kaye J. W، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٣٥.

٣. ا نظر Kaye J. W، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٨٨.

لاشك في أن السبب الرئيس الذي أدى إلى إرجاء غـزو القـوات البريطانيـة لمنطقة الخليج في خريف عام ١٨٠٨ يكمن في الأحداث التي شهدها أوربـا في هـذه المدة. فقد وصلت أنباء إلى مينتو تفيد بأنه حصل إنزال للقوات البريطانية في البرتغال. ورأى مينتو أن القيام في هذا الوقت، وفي هذه الظروف المتشكلة بمحاولة إنزال القوات الإنكليزية في فارس يعد أمراً محكوماً عليه بالإخفاق على الأغلب؛ إذ لا يمكن الاعتماد مطلقاً على دعم ومساعدات كبيرة من أوربا.

خصوصاً أن حشد قوات الشاه في جنوب فارس لصد طلائع قوات مالكولم يدل على أن فارس سوف تصمد، ولن تستسلم، وحتى لو وصلت قوات دعـم بريطانيـة لتلك الطلائع. صحيح أنه كان لدى مالكولم عدد كاف من القوات لمحاصرة فـارس، والاستيلاء على قواعد الخليج العربي وسواحله، إلا أنه بدون دعم من أوربا لن يكون هذا العدد كاف للتقدم إلى عمق البلاد وجعلها ترضخ لسياسة الإملاء. ولهذا، وخوفاً من نتائج غير محمودة للاقتحام، تم في نهاية الأمر إرجاء هذه المسألة إلى لحظـة تكـون أكثر ملاءمة، حيث يسمح مجرى الأحداث "باستئناف الخطط الموضوعة لفارس"[١].

واستناداً إلى تعليمات مينتو، التي جاء فيها أنه لم يتم حذف مسألة اقتحام منطقة الخليج العربي من جدول الأعمال، ولم توضع بعد نهاية لحملة عام ١٨٠٨، بقيـت في المنطقة المجموعة الأولى من القوات التي وصلت إلى الخليج العربي في فصل الربيـع، في حين كانت المجموعة الثانية الموجودة في بومباي على أهبة الاستعداد لركوب السفن في أيّ لحظة. وكتب مينتو لمالكولم أنه " إذا رفض الشاه طلبات جونز في المرحلـة الأولى، عندها " يجب أن لا يكون هناك أي تباطؤ في تنفيذ الإجراءات التي حددناها". وأصدر

١ انظر رسالة مينتو لمالكولم المؤرخة في ٣٠ سبتمبر ١٨٠٨ في **Kaye J. W**، مرجع سابق، المجلـد الأول، ص ٤٣٥.

أمراً إلى القائد الجنرال مالكولم بإعادة تمركز القوات في البصرة بغية "مباشرة مصالح الإنكليز في هذا المكان بشكل فعال"، والتواجد في الوقت نفسه بالقرب من الميدان المحتمل لخوض الأعمال الحربية في فارس، ودراسة الموقف لاتخاذ القرارات المناسبة، واستمالة من يلزم من الأشخاص، وغير ذلك.

اقترح الحاكم العام في الهند اللورد مينتو نشر القوات الموجودة في الخليج، ونقل قسم منها إلى البصرة على أن لا يتم لفت النظر وإثارة الشكوك، بغية تجنب مواجهة الحكام المحليين: شيخ بوشهر ووالي فارس مع الإنكليز. وكتب مينتو لمالكولم يخبره بضرورة أن يستبقي لديه ما يلزمه فعلاً من المرافقين "للأمور اللازمة من أجل الشئون البغدادية"، تحسباً من عدم إمكانية استخدام القوات الموجودة في الخليج حالياً في البصرة دون إثارة الشكوك".

يدل اقتراح مينتو بنقل قسم من القوات إلى البصرة على نية الإنكليز تثبيت أقدامهم حتى في هذا القسم من الخليج، وتحويل ناحيته الشمالية الغربية مستقبلاً إلى نقطة استناد في الشرق الأوسط. إضافة إلى ذلك رغب مينتو أن تمارس ضغوط إضافية على الحكومة العثمانية، آخذاً بعين الاهتمام احتمال عقد معاهدة مع الدولة العثمانية مستقبلاً[1].

الواقع أن اتخاذ القرار بإرسال المجموعة الثانية من القوات إلى الخليج، وإرجاء موعد التوغل، لا يحمل من حيث المبدأ أي شيء جديد في السياسة البريطانية تجاه فارس؛ إذ إنّ الأهداف بقيت على ما كانت عليه. فإذا ظهر أن الضغط العسكري من جهة الخليج العربي، والنشاط الهدام في فارس، غير كافيين (لتثبيت النفوذ الإنكليزي)،

---

[1]. جرى التوقيع على المعاهدة في عام ١٨٠٩

عندها يتم زج المجموعة الثانية من القوات الموجودة "بمتناول اليد"[1]. وظـــل تهديـــد سيادة فارس قائماً.

عندما وصل جونز إلى فارس كان المطلوب منه ما كان مطلوبـــاً مـــن ســـلفه: استخدام جميع الوسائل لتدبير المكائد والدسائس بالاعتماد على مالكولم الذي غادر إلى البصرة. وقد أكد مينتو في تعليماته على ضرورة أن يكون هناك تفاهم وتنسيق تام في العمل بين مالكولم وجونز(وهذا ما حدث فيما بعد).

وصل جونز إلى بوشهر في الثالث عشر من أكتوبر عام ١٨٠٨[2] علـــى رأس قوة بحرية تضم الفرقاطة نيريدا، المسلحة بستة وثلاثين مدفعاً، وعـــدداً مـــن الـــسفن الأخرى. وكان تعامله مع السلطات الفارسية غير عادي؛ إذ طلب من شيخ بوشـــهر عبد الله رسول أن يبدي له الاحترام والتقدير بالحضور شخصياً مع المقـــربين منـــه إلى السفينة البريطانية.

وقبل أن يطأ جونز أرض فارس هدد بالقول إنه إذا رفض الشيخ تنفيذ ما طلب منه فسيكون مسؤولاً أمام حكومة صاحب الجلالة. وقد جرت مراسم استقبال جونز للشيخ عبد الله رسول ومن معه بشكل مهين؛ إذ أمر جونز أن تطلق مدفعيـــة الـــسفن

[1] . عبارة لمينتو. يُعد وصف كيلي لتعليمات مينتو المميز مثالاً لتزييف الإنكليز للوقائع التاريخية. لقد ذكر كيلي مثلاً أن مينتو طلب من مالكولم " توطيد علاقات الصداقة مع باشا بغداد" وقد تبين فيما بعد أنه كان يقـــصد بـــذلك التحريض قتل الباشا. وكذلك هدف حملة مالكولم يقتصر، حسب رأي كيلي، على" ضمان أمن الهند فقط" فحين تم عرض خمسة آلاف جندي كمساعدة للشاه، أو للسلطات العثمانية، انظر **Kelli J. B.**، مرجـــع ســـابق، ص ٩١-٩٢.

[2] **P. ٨...Morier J. A. A Journey through Persia, Armenia and Asia Minor. ١٨٠٨- ١٨٠٩. L., ١٨١٢.**

"طلقات التحية" من فوق رؤوس الضيوف بصورة متعمدة" مما أدى إلى تغطيتهم بدخان المدافع، وتطاير حشوات القذائف أمام أعينهم"[١].

كان وصول جونز إلى بوشهر، شبيهاً بوصول مالكولم إليهـا؛ أي مصحوباً بالاضطرابات، التي كان لكل منهما دور في تأجيجها. وقد ذكر موريير(**Morier J. A**)، الذي قدم مع جونز في كتابه: " لقد تميز وجودنا في بوشهر بنزع السلطة من الشيخ وإسقاطه". وقد وصف الشيخ بأنه "شاب عربي خامل، وفاجر، وغير محارب".

والواقع أن هذا الوصف الذي نعت موريير به الشيخ لا ينطبق على التصور الذي يتشكل عند النظر في أعمال الشيخ عبد الله رسول التي ترافقت مع إقامة مالكولم في بوشهر على مدى أربعة أشهر؛ إذ إن هذا الشيخ وقف عندها في وجه الإنكليز موقفاً رجولياً حازماً. فقد قام بتنظيم مقاومة كانت من أحد الأسباب التي أدت إلى إخفاق حملة مالكولم.

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

من الواضح تماماً أن القضية لا تتعلق بافتقار عبد الله رسول إلى القوة، وإنما القضية أن أعماله كانت تتعارض تماماً مع مراد المحتلين الإنكليز وأخلاقهم. ولهذا حققوا مرادهم عندما أخذوا يقدمون الرشاوى، ويدبرون المكائد، مما أدى إلى وقوف الشيخ مكبلاً أمام الشاه، ووالي فارس. ومما يؤكد على أنه كان للإنكليز ضلع في إلقاء القبض عليه (في ٢٥ أكتوبر) أن ذلك جرى في اللحظة التي قدم فيها الشيخ لمقابلة جونز، وعندها تم تكبيله بالأصفاد وإلقاؤه في السجن[٢].

---

١. انظر **Morier J. A.**، مرجع سابق، ص ١١، ١٣.
٢. انظر **Morier J. A.**، مرجع سابق، ص ١٥، ١٨.

وبعدها تم تعيين محمد نوبي خان، الذي كان عضواً في البعثة الفارسية في الهند عام ١٨٠١ خلفاً لعبد الله رسول. ومحمد نوبي خان رجل موال للإنكليز. عندما كان جونز يعمل موظفاً في البصرة علمه محمد نوبي خان العربية والفارسية.

وفيما يخص الأشخاص الآخرين الذين عمل جونز معهم فقد ذكر موريير أسماء بعضهم في كتابه. فمن الأصدقاء المقربين من جونز على سبيل المثال عبد الله آغا وهو أحد أصدقاء عبد الله رسول. وقد تعرف عليه جونز عندما كان يقيم في بغداد[١].

من الواضح أن عبد الله آغا الذي كان من المقربين إلى الشيخ ويعرف أسراره قام بنقل هذه الأسرار إلى الإنكليز، الذين استغلوها بدورهم للقيام بانقلاب عليه في بوشهر. ويبدو أنه لعب في هذه القضية دوراً كبيراً أيضاً "العميل النشيط للإنكليز" في شيراز، جعفر علي خان، الذي كان مراسلاً لجونز إلى كل من والي فارس، وحاكم فارس[٢].

وقد ترافقت عملية تغيير الحكومة في بوشهر التي دبر لها الإنكليز مع حدوث فتن واضطرابات. فقد ذكر موريير في كتابه: "أن الدكاكين كانت مغلقة، وكانت الشوارع مملوءة بالرجال وهم يحملون حوائجهم المترلية، وكانت زوجاهم وبناهم يلطمن على صدورهن، ويطلقن النحيب والرثاء بصوت عال[٣].

استمر جونز في إثارة الاضطرابات في بوشهر وتأجيجها، والضغط على والي شيراز. وفي الوقت نفسه كان يوجه التهديدات إلى الشاه بتراعات داخلية جديدة، كما

---

١. انظر. Morier J. A.، مرجع سابق، ص ١٢، ٢٣.

٢. عندما تحدث مؤلف كتاب "فارس نامه" عن هذه الأحداث لم يذكر، مع الأسف، أسماء أشخاص آخرين سوى محمد نوفي وأخيه محمد جعفر. انظر فيسائي، مرجع سابق، ص ٢٥٦.

٣. انظر. Morier J. A.، مرجع سابق، ص٢٣، ٢٩.

كان يفعل مالكولم، الذي كان يهدد أيضاً بخلعه من العرش واستبداله بخان، الذي اصطحبه معه من الهند. في هذا الوقت طلب جونز في رسالة بعثها عن طريق عملائه عقد تحالف مناوئ لروسيا وفرنسا، واقترح تقديم مساعدات مالية إلى فارس لمتابعة الأعمال القتالية في الشمال، والتهديد في الوقت نفسه ببدء أعمال قتالية في الجنوب[1].

لجأ جونز في أثناء المفاوضات المطولة بخصوص استقباله في طهران إلى تدبير المكائد، وتقديم الرشاوى. وقد أشار إلى ذلك كاتب سيرة مالكولم في كتابه معبراً عن اندهاشه كيف أن جونز لم يكن يقدم الرشاوى على شكل هدايا، وإنما كان يعطي الأموال مباشرة وعلناً. "ففي إحدى المرات وضع كمبيالة على طبق بقيمة خمسين ألف قرش"[2].

عندما كان جونز يشق طريقاً لنفسه إلى طهران بحبك المكائد والدسائس، وإطلاق التهديدات، وتقديم الذهب رشاوى وهو على الأراضي الفارسية، كان مالكولم قد جهز في بومباي المجموعة الثانية من القوات الإنكليزية– الهندية.

وقد أرسل هذا الأخير رسالة في الثالث من يناير عام ١٨٠٩ إلى آرتور ويلسلي[3] يقول فيها: "أنا موجود الآن في بومباي، وسأتوجه بعد عشرة أيام إلى الخليج مع فرقة صغيرة، تعدادها قرابة ألفي رجل تم اختيارهم بشكل جيد، وسيلحق بنا إذا اقتضت الحاجة من ثلاثة إلى أربعة آلاف رجل. والهدف أنتم تعرفونه: إنه تثبيت أقدامنا في جزيرة خرج، واحتلال مواقع على سواحل الخليج، وفي شرق الدولة

---

١. انظر Gardane A مرجع سابق، ص ٥٨، ٥٩.

٢. انظر Kaye J. W.، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٢.

٣. آرتور ويلسلي هو شقيق الحاكم العام السابق في الهند، وكان في ذلك الوقت قائد حملة في إسبانيا. وأصبح منذ عام ١٨٠٩ دوق ولينغتون.

العثمانية. وسنقوم بتحريك احتياطاتنا لوضع الأساس المناسب في الأماكن التي نحتلها بحيث نستطيع إنشاء أي بناء عليه"[١].

كان مالكولم قد كتب هذه الرسالة في الأول من يناير. إلا أنه بعد مضي أسبوعين تقريباً كان الوضع قد تغير، كما سبق أشرنا. ونظراً لتفاقم الأوضاع في أوربا بالنسبة للإنكليز فقد بدا أن القيام بأعمال حربية في الشرق الأوسط في هذا الوقت يعد مجازفة خطيرة. وفي نهاية يناير وبداية فبراير أرسل الحاكم العام للهند رسالة رسمية وبخاصة إلى مالكولم، ذكر فيها أن استمرار وجود شاه فارس بين نارين يعد ظرفاً سيساعد جونز على إنجاح مهمته.

أما فيما يتعلق باحتلال خرج "وهو ما نأمله جميعاً بشدة "، فإن الحملة العسكرية اللازمة لذلك "ستتطلب إنفاق مصاريف كبيرة جداً"، وهذا ما يفضّل أن نتجنبه في الوقت الحاضر؛ إذ إنّ "تأثير الأحداث في أوربا على الأوضاع وعلى سياسة إمبراطوريتنا في الهند قد تغير مع ظهور النتائج الأولى للمنافسة في إسبانيا"[٢]. واقترح مينتو نهجاً أكثر حذراً في هذا الوقت، وهو تأمين حماية مواقع المؤخرة في الهند، والكف مؤقتاً عن "استخدام القوة العسكرية، وعدم إظهار العداء" تجاه فارس.

واعتقاداً منه بأن مسألة التنازل عن جزيرة خرج يمكن أن تحل من خلال المفاوضات، أكد مينتو على أن فارس " لن ترفض تقديم مثل هذه التضحية". وجدد النصح بضرورة تعريف احتلال الجزيرة في أثناء المفاوضات، كما تعرفه السياسة الإنكليزية المراوغة بأنه "احتلال ودي"، والإيحاء بإمكانية إدراج مادة خاصة بالتنازل عن الجزيرة في معاهدة سلام أنجلو فارسية نهائية. وتحسباً من أن تخطئ تنبؤات مينتو

---

١. انظر **Kaye J. W.**، مرجع سابق، المجلد الأول ص ٤٤٧، ٤٤٨.

٢. انظر **Kaye J. W.**، مرجع سابق، المجلد الأول ص ٤٥١.

برفض حكومة الشاه أن تخطو الخطوة المناسبة للإنكليز، وضع خطة أخرى لتحقيق هدفه، وهي الطلب من فارس، بأي حجة كانت، التنازل للإنكليز عن نقاط صغيرة على جزيرة خرج "كمنشأة ميناء مؤقت مثلاً، ثم طلب نقاط أخرى كمستودعات للمؤن، ومن ثم لتنظيم حراسة إنكليزية، وهكذا إلى أن تصبح الجزيرة فعلياً قاعدة إنكليزية".

وكما كانت الحال قبل أربعة أشهر لم يعارض مينتو من حيث المبدأ تجريد حملة عسكرية ضد الخليج العربي، إلا أنه، بسبب الأوضاع في أوربا، رأى أن يكون ذلك "ضمن نطاق ضيق". وبمراعاة احتمال أن لا يكون مالكولم قد استلم الرسالة في بومباي، فقد أضاف قائلاً: "أما إذا كانت القوات العسكرية قد أقلعت مبحرة وتقوم بتنفيذ مهامها، فعندها لا أطلب إعادة الحملة من جزيرة خرج".

وهكذا استمر الوضع بالتعقيد في هذه المنطقة على مدى عشرة أشهر منذ أن ظهرت المجموعة الأولى من القوات الإنكليزية في الخليج العربي. ويعود السبب في استمرار الوضع تعقيداً إلى وصول قوات إضافية مع جونز في شهر أكتوبر عام ١٨٠٨، والانتهاء من إعداد المجموعة الثانية في الهند في شهر يناير من عام ١٨٠٩. ومما زاد من حدة التوتر أيضاً أنشطة شبكة العملاء الإنكليز المنتشرة في ولايات فارس الجنوبية، مكائد جونز ودسائس الإنكليز في البصرة وبغداد.

وحتى بداية شهر فبراير من عام ١٨٠٩ كان أمام حكومة الشاه اختيار أحد أمرين لا ثالث لهما: إما الرضوخ في سياستها الخارجية للتحكم الإنكليزي (وهنا يتحتم عليها قطع العلاقات مع فرنسا فوراً، والتعهد أمام الإنكليز ببعض الالتزامات التي تفيدهم)؛ أو اتخاذ إجراءات حاسمة كفيلة بالدفاع عن جزيرة خرج، وعن سواحل الخليج. ولأن الحكومة الفرنسية لم تقيد نفسها بشيء سوى إعطاء الوعود الشفهية

بتقديم المساعدة لفارس، ما كان من شاه فارس إلا أن طلب من جاردان في مطلع شهر فبراير، وبإلحاح من جونز، مغادرة فارس.

وقبل أن يطلب منه ذلك أخبره بأن تخلي فرنسا عن فارس بهذا الشكل جعلها ضعيفة جداً"، لكي "تقاوم الإنكليز في وسط دولته". أما جاردان نفسه فكان يعتقد أن الشاه والبلاط قد رضخا أمام الظروف"[١]. وقد كتب جاردان في هذه الأيام أن الشاه" كان في وضع بائس: ففي الشمال كانت الحرب مستمرة مع روسيا، أما من الجنوب فسيبدأ بين لحظة وأخرى غزو بريطانيا، التي تطالب إما بالحرب أو بإقامة تحالف يُهلك فارس[٢].

في الثالث عشر من فبراير غادر جاردان طهران، وفي الرابع عشر ظهر فيها جونز. ذلكم هو الوضع الذي أتاح لهذا الأخير عقد ما يسمى" المعاهدة الأنجلو فارسية التمهيدية[٣].

في الحقيقة تعد هذه المعاهدة بالنسبة لبريطانيا قصاصة ورق؛ إذ إنّ الإنكليز ما اعتزموا حتى إبرامها. فها هو مينتو يقول لمالكولم في رسالته بصريح العبارة: "عندما أقول إننا ملتزمون بتنفيذ هذه المعاهدة فإنني أعني بذلك التنفيذ الأكيد لها من قبل فارس"[٤]. يتضح من هنا أن بريطانيا لم تكن تريد من هذه المعاهدة سوى فرض شروطها على فارس.

---

١. انظر Gardane A مرجع سابق، ص ٥٩.

٢. انظر Kelly J.M.، مرجع سابق، ص ٩٤.

٣. انظر Altchison C. U.، مرجع سابق، المجلد الخامس، ص ٤٥– ٤٨.

٤. انظر Kayw J. W. مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٥٠٨.

الواقع أن معاهدة عام ١٨٠٩، التي لا تلزم بريطانيا بأي شيء، ألغت جميع الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمتها فارس في السابق مع دول أوربية أخرى. وقد نص البند الثاني منها على أن لا تبرم فارس أيّ معاهدة أو اتفاقية مستقبلاً مع أيّ دولة إلا تحت مراقبة بريطانيا. وجاء في المادة الرابعة منها أنه في حال دخول الأفغان إلى الهند يتعهد الشاه بمهاجمتهم من الخلف.

كما جاء في المادة السابعة أنه في حال نشوب حرب بين فارس والأفغان لا يتعهد الإنكليز بأيّ مشاركة فيها، ولكن يفرضون نفسهم كوسطاء فقط أثناء مفاوضات السلام بين هاتين الدولتين. إضافة إلى ذلك تعهد الشاه بعدم السماح لأيّ قوات أوربية بعبور أراضيه. ومن الملاحظ في هذه المعاهدة أن المواد المتعلقة بوجود القوات الإنكليزية في الخليج العربي تختلف عن المواد المماثلة الواردة في معاهدة عام ١٨٠١.

ففي السابق كان قدوم القوات الإنكليزية إلى الخليج مرهون بظهور الفرنسيين فيه، أما الآن فلهم مطلق الحرية في تجهيز أيّ حملة إلى الخليج.

إضافة إلى ذلك، عند التطرق إلى الحملات العسكرية، كحملة مالكولم في المعاهدة، تم إظهارها بكل وقاحة على أنها منة لشاه فارس، وهي تحت تصرفه. أما فيما يخص قوام مثل هذه الحملة وأهدافها ومدة بقاءها، فهذا أمر يعود لتقدير الإنكليز وحدهم (المادتان الخامسة والسادسة). وبهذا الشكل أصبح الشاه يملك (تحت تصرفه) "فرقة بحرية حربية إنكليزية" هدفها منذ مايو عام ١٨٠٨ احتلال خرج[1].

---

[1]. قبل أن يوازن المؤرخ الفارسي فاروقي معاهدة عام ١٨٠٩ بالوضع الحقيقي المتشكل، كان ينظر إلى موادها المتعلقة "بتقديم" سفن حربية إنكليزية إلى فارس على أنها حقيقة لا مراءاة فيها. انظر **Faruqhy A.**، مرجع سابق، ص٧٦– ٧٧.

وهكذا استغل الإنكليز ضعف فارس، وانتهكوا حقوق سيادتها في مياه الخليج الإقليمية، وأصبح لديهم موطئ قدم في المنطقة، حيث شكلوا فيما بعد نقاط استناد لحملتهم المقبلة.

بغية استمرار فارس في حربها ضد روسيا قدمت لها بريطانيا، حسب معاهدة عام ١٨٠٩ مبلغ ١٥٠ ألف تومان. ولتقييم قلة هذا المبلغ وضآلته يكفي القول إنّ جونز قدم رشوة بقيمة ٣٥ ألف تومان فقط لإبعاد المندوب الفرنسي جوانين عن تبريز[١]. تبين الرسالة الموجهة من مينتو إلى مالكولم المؤرخة في شهر يوليو عام ١٨٠٩ موقف بريطانيا من المبلغ المقدم إلى فارس.

وقد ذكر مينتو في هذه الرسالة أنه في حال توجيه اللوم إلى الإنكليز على عدم الالتزام ببنود المعاهدة يمكن عندها التذرع بأن الحكومة البريطانية رفضت المصادقة عليها. وقال أيضاً: "نحن ملزمون بتنفيذ الشروط الرئيسة في المعاهدة. وأعني بذلك مساعدة مشروطة بالوقوف ضد فرنسا وروسيا. أما فيما يخص تقديم المساعدة لفارس بعد عقد معاهدة السلام بين روسيا وبريطانيا فنحن لن نستطيع أن نوافق على هذه المادة أو أن نرفضها كلياً. فهذه المادة خاصة بسياسة الإمبراطورية"[٢].

يستخلص من هذا القول للحاكم العام في الهند اللورد مينتو بما لا يدع مجالاً للشك أن محور ارتكاز السياسة البريطانية في فارس في العقد الأول من القرن التاسع عشر هو استمرار تحريضها بلا توقف على الحرب ضد روسيا.

---

١. انظر صورة من رسالة جوانين إلى وزير خارجية فرنسا شامباني في الأرشيف التاريخي – العسكري الحكومي المركزي، د ٤٠١، الورقة ٢٦.

٢. انظر **Kaye J. W.**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٥١٠.

وكما أشير سابقاً كان اهتمام الإنكليز ينصب بالدرجة الأولى على استمرار الحرب بين فارس وروسيا؛ إذ إنه عند ازدياد اعتماد فارس على بريطانيا ستجعلها الحرب وسيلة للتوسع الإنكليزي في القوقاز وفي آسيا الوسطى. في الثلاثين من أغسطس عام ١٨٠٨ عُقد مجلس حرب بحضور الحاكم العام للهند، تمت فيه المصادقة على خطة مالكولم. وكانت النتيجة المباشرة للقرارات السياسية التي اتخذها هذا المجلس تحريض فارس على الحرب.

ولنتذكر الآن توصياته التي نصت على أن الذراع الرئيسة لسياسة بريطانيا في البلدان المتاخمة للخليج العربي هي الاستفزاز، وإشعال نيران الحروب، وإثارة النزاعات الداخلية، وإضعاف هذه البلدان بهدف استعمارها. أما بالنسبة لفارس فإن الحملة العسكرية عام ١٨٠٩، شأنها شأن الحرب ضد روسيا لم تعد عليها بأي شيء سوى هدر الأموال الطائلة. أما المعاهدة التمهيدية التي وقعتها مع بريطانيا فقد ظهر أنها ما هي سوى نير لا تقوى فارس على تحمله.

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

أرسلت السلطات البريطانية إلى الخليج العربي في بداية عام ١٨١٠مجموعة القوات البحرية الثانية، التي تم تجهيزها في الهند قبل سنة بقيادة مالكولم، وذلك لتعزز مواقعها في الخليج العربي كرأس جسر أساسي لزيادة توسعها في الاتجاه الشمالي والغربي والجنوبي.

يرى الباحث الفارسي محمود محمود بعين ساذجة أن مالكولم جاء إلى الخليج مرتدياً "حلة السلام" دون أن يلاحظ أنه في هذه المرة كان يدفع فارس خلسة لخوض حرب جديدة[1]. كان مينتو يؤيد كل التأييد كل ما ينوي مالكولم القيام به. وعندما توجه هذا الأخير إلى الخليج قال له مينتو: "إن الوضع في فارس يتطلب مراقبة يقظة

[1]. انظر محمود محمود، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٨٢.

وإيجاد سواعد يمكن الوثوق بها، وحثها على العمل إذا ما وقعت حادثة غير متوقعة". وفي الوقت الذي تم فيه تحريض فارس على الاستمرار في حربها ضد روسيا كان مالكولم يعمل أيضاً على "تضييق الأنشوطة على رقبة فارس" بإعادة النظر في معاهدة عام ١٨٠٩ مستذكراً كلام مينتو" سيكون المجال مفتوحاً أمامكم ليتم في النهاية فرض نفوذنا باتفاقيات جديدة وبظروف مناسبة"[١].

في شهر شباط عام ١٨١٠ وصل مالكولم إلى بوشهر على رأس عمارة بحرية قوامها ١٧ سفينة تحمل على متنها ٢٠٠٠ رجل حسب بعض المصادر، أو ٣٠٠٠ رجل حسب مصادر أخرى[٢]. لكن الشاه لم يسمح لأكثر من ٥٠٠ رجل بالمرور إلى عمق البلاد، إلى شيراز[٣]. وكان مالكولم يحمل معه ما يعادل بالعملة الروسية ٢٠٠ ألف روبل، و ١٠٠ مدفع نحاسي، وكان يصطحب معه حرفيين للحرف المتنوعة لصب المدافع، وعمالاً لبناء السفن، وعدداً كبيراً من المدربين[٤]. كانت حملة مالكولم الثالثة والأخيرة تضم أيضاً عملاء – عناصر الاستخبارات– ممن تلقوا تدريبات خاصة. وقد حظي بعضهم فيما بعد بشهرة واسعة في مجال عمله من أمثال: إيليس، ومكدونالد،

---

١. انظر **Kaye j.w.**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٥٠٩– ٥١٠.

٢. يشير تقرير مرسل من تورماسوف إلى رومیانتسیف مؤرخ في يونيو– يوليو ١٨١٠ إلى أن العدد كان ٢٠٠٠ رجل. انظر الأرشيف التاريخي– العسكري الحكومي المركزي للاتحاد السوفيتي، د ٤٢٢، الورقة ٩٢، في حين يشير تقرير آخر موقع في تاريخين: ١٧ فبراير و ٥ يوليو عام ١٨١٠ إلى أن العدد ٣٠٠٠. انظر أرشيف سياسة روسيا الخارجية، سانت بطرس بورغ، الأرشيف الرئيسي، الخزانة ١–١٣، الخزانة ١٣، د ٤، الورقة رقم ١٠٠ ورقم ١٣٠.

٣. انظر أرشيف سياسة روسيا الخارجية، مرجع سابق، د ٥، الورقة ١٣٠. وانظر أيضاً الأرشيف التاريخي، مرجع سابق، د ٤٢١، الورقة ٩٢.

٤. انظر أرشيف سياسة روسيا الخارجية، مرجع سابق، د ٥، الورقة ١٠٠.

وبوتينهير، وليندسي، وإثنان آخران: كريستي، وهرانت، توفيا في فارس في بداية طريق ترقيهما في منصبيهما[1].

كانت عناصر الاستخبارات هذه تجوب البلاد كلها، وتراقب بيلوجستان، ومكران وغيرهما من الإمارات الجنوبية لفارس. وقد توجه مالكولم شخصياً إلى معسكر ولي العهد عباس ميرزا بالقرب من السلطانية، على أمل ممارسة الضغط عليه. وقد استحوذت المسألة اهتماماً خاصاً؛ إذ إنّ عباس ميرزا كان يقود جيشاً فارسياً ضد العثمانيين، وعمل مالكولم على استمرار الحرب مع روسيا ووعد بزيادة المساعدة المالية بمقدار ١٥٠ ألف تومان في حال القيام بحملة جديدة ضد روسيا. ووجد الإنكليز الوقت مناسباً ليطلبوا من فارس وضع موانئ بحر قزوين تحت تصرفهم، مقابل مساعدة تقدم للشاه.

وفي عام ١٨١٠ حاولوا مرة أخرى التوغل في حوض بحر قزوين على أمل الحصول على إذن من الشاه ببناء ترسانات سفن حربية إنكليزية في موانئه[2]. وبمجرد أن رست السفن في ميناء بوشهر أراد مالكولم إرسال رجال الاستخبارات لاستطلاع الولايات الشمالية لفارس "ودراسة سواحل بحر قزوين وتفحصها، وتقديم وصف عنها لاختيار المكان المناسب لبناء السفن"[3]. إلا أن الشاه رفض ذلك إدراكاً منه بأن النشاط غير العادي للإنكليز، بالقرب من الحدود الروسية الفارسية، سيزيد من تعقيد الموقف بين فارس وروسيا أكثر فأكثر. إضافة إلى أنه قد خبر من تجاربه المريرة كيف يتصرف الإنكليز في مياه الخليج العربي. ولكن مما لا شك فيه أن رجال الاستخبارات الإنكليز استطاعوا، بطريقتهم، مراقبة موانئ بحر قزوين ودراستها.

---

[1] انظر .Kelly J. B، مرجع سابق، ص ٩٥.

[2] . انظر الأرشيف التاريخي – العسكري الحكومي المركزي، د ٤٢٢، الورقة ٩٢ و ٩٣.

[3] . انظر أرشيف سياسة روسيا الخارجية، مرجع سابق، د ٥، الورقة ١١٧، ١١٩.

أما في منطقتي البصرة وبغداد فقد استمرت مكائد ودسائس مالكولم. إلا أن عميلين كان قد أرسلهما إلى بغداد سراً لقيا مصرعهما وهما على الأراضي الفارسية. وقد كان واضحاً للسلطات الفارسية أن الهدف من كل ما يقوم به الإنكليز من أعمال ومكائد في بغداد هو في النهاية تثبيت نفوذ بريطانيا بما يضر بمصالح فارس.

وتجدر الإشارة إلى أن الإنكليز عندما كانوا يقدمون السلاح إلى فارس، ويحرضونها على مواصلة الحرب ضد روسيا، كانوا يدركون تماماً أنه لم يعد لهم ثمة أمل في أن تستمر فارس بخوض الحرب ضد روسيا. ولهذا عندما أنجز مالكولم استطلاعاً شاملاً في فارس سارع إلى الخروج منها، وكان ذلك في شهر يونيو من عام ١٨١٠. وقد رفع تقريراً إلى منتو جاء فيه: " وفي ظل الوضع الراهن للجيش الفارسي لم يعد أي أمل من أن يثمر استمرار وجودي هنا عن أي شيء جدير بالاهتمام".

يشير تحليل جولة مالكولم إلى القواعد والأماكن التي أولاها الإنكليز أهمية قصوى في الخليج العربي. في عام ١٨٠٨، عزم الحاكم العام في الهند على إرسال مالكولم إلى الناحية الشمالية الغربية من الخليج العربي، بهدف تثبيت النفوذ الإنكليزي هناك. وفي عام ١٨١٠ غادر مالكولم إلى بغداد للغرض نفسه. وكان ظهور ممثل للإدارة الأنجلو هندية في بغداد، كما في أي مكان، يصاحبه اندلاع الفتن و تدبير المكائد؛ فما إن مضى على وجوده شهر واحد (سبتمبر عام ١٨١٠) في بغداد حتى وقعت فيها أحداث غير عادية.

على الرغم من أن ناشر مذكرات مالكولم ووثائقه لم ينشر من الوثائق ما يكشف النقاب عن نشاطه في بغداد، إلا أننا حصلنا على معلومات من مصادر أخرى تفيد بأن مالكولم كان يرسل عملاء سريين ورجال استخبارات حتى من فارس. وبهذا الشكل تم

سلفاً إعداد الأرضية التي ستستند عليها أعمال الإنكليز، حسب برنامج حدده سلفاً مخطط مالكولم في المادة الرابعة كما أشرنا سابقاً.

عندما أبدى الإنكليز بوضوح عدم ارتياحهم من باشا بغداد، وقف هذا الأخير في وجههم. ومن المحتمل جداً أن يكون مالكولم قد عرض على الباشا مساعدة إنكليزية بغية جذبه إلى طرفه، وإقناعه بالانفصال عن السلطان. والواقع أن الإنكليز كثيراً ما كانوا يتعاملون بهذه الطريقة مع حكام منطقة الخليج العربي[1]. وما يهمهم في النهاية أن يقع الباشا في شباكهم. وفي حال "رفض" المساعدة الإنكليزية يتحولون إلى الخطة البديلة التي تكون معدة سلفاً، وهي خلعه واستبداله بشخص لين العريكة يسير بالاتجاه الذي يلائمهم.

ولأن أعمال الوكلاء الإنكليز في الدولة العثمانية كانت منسقة مع أعمال مالكولم في فارس من غير المستبعد أن يكون رحيله عن فارس مرتبطاً بمعلومات وصلت إليه من بغداد تشير إلى نية السلطان بتغيير الباشا، والأحداث التالية قد تؤكد هذا التخمين: قبل وصول مفرزة السلطان إلى بغداد ببضعة أيام لعزل الباشا عن منصبه ظهر في المدينة مالكولم، وأقام معسكراً في ضواحي المدينة، معززاً بذلك موقع المقيم الإنكليزي ريتش. بعد ذلك وقع صدام بين أنصار الباشا ومفرزة السلطان في بغداد. وقد جر هذا الصدام خلفه صراعاً داخلياً دموياً. وكان مالكولم ينتظر بصبر نتيجة المذبحة. وفي النهاية أخذت قوة الباشا بالانهيار. وفي اللحظة الحرجة لم يبق أمامه إلا أن يتوجه إلى مالكولم وأصدقائه طلباً للمساعدة". وفي هذه اللحظة بالذات غدر الإنكليز بمن كان ضحية لمكائدهم. وعلى الرغم من أن الباشا ناشد المقيم مد يد العون له "برهاناً على الصداقة القائمة بينهما" ؛ إلا أن هذا الأخير رد عليه بمراوغة: أنه "على

---

[1]. انظر مثلاً تاريخ العلاقات الإنكليزية العمانية خلال هذه المدة في الفصل الرابع من كتابنا هذا.

الرغم من مشاعره الشخصية نحوه إلا أن الدور العام الذي يؤديه، والعلاقات التي تربط حكومته مع الباب العالي تمنعه من إمكانية أي تدخل منه"[١].

في السادس من أكتوبر علم مالكولم من خلال جواسيسه باقتراب النهاية. فأمر بتعزيز مقرات الحراسة ومراكز المراقبة بالقرب من معسكره تحسباً من احتمال قيام القوات العثمانية، بعد الإجهاز على الباشا بالالتفاف على المقيم الإنكليزي ريتش ومالكولم. وفي ليلة اليوم السابع فر إلى معسكر مالكولم شخص كان مقرباً من الباشا، هو ديوان أفندي، وهو (في الواقع عميل مأجور للإنكليز. قدم خدمات جليلة للمستر ريتش في أثناء مناقشات ومماحكات كانت تدور بينه وبين الباشا في السابق. وكان ديوان أفندي مخلصاً للحكومة الإنكليزية). وفي صباح السابع من أكتوبر قتل الباشا[٢].

وبهذا الشكل اتضح تماماً أن ديوان أفندي كان جاسوساً وعميلاً سرياً لدى باشا بغداد، الذي تم الإيقاع به بمساعدة ديوان أفندي في شراك المكائد الإنكليزية. بعد ذلك شغل منصب الباشا القتيل شاب عديم الخبرة، في السنة الثامنة عشرة من عمره، كان مالكولم قد تعرف عليه منذ عام ١٨٠١. أي إنّ هذا الشاب كان محط أنظار الإنكليز منذ مدة طويلة.

وهكذا كان الإنكليز يدبرون مكائدهم في بغداد بالشكل الذي كانوا يدبرونها في بوشهر، التي جرى فيها أيضاً تغيير السلطات عند ظهور جونز فيها. وعندها حل شاب له توجهات انكليزية محل الشيخ السابق لبوشهر.

---

١. انظر **Kaye j.w.**، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٤١–٤٣.

٢. انظر **Kaye j.w.**، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٤٢–٤٣.

بعد مضي عشرة أيام على تغيير الحاكم في بغداد رأى مالكولم أن مهمته قد انتهت. ولهذا شق طريقه عائداً إلى الهند. وفي طريق العودة توقف في مسقط في شهر نوفمبر، حيث أثيرت الفتن، ووقعت أعمال قتالية. وفي تلك الأثناء غدر الإنكليز بالحاكم المحلي السيد سعيد. وفي الوقت نفسه قام الأسطول البريطاني بحملات تأديبية على امتداد ساحل الخليج العربي بغية قمع المقاومة التي كان يبديها السكان المحليون[1]، الذين تعرضوا لشتى أنواع القمع، واستمر الاحتلال البريطاني عملياً لمياه الخليج الإقليمية. ومما ساعد الإنكليز على القيام بأعمال التحريض، والسيطرة على الخليج أنهم استطاعوا صرف قوى الحكومة الفارسية وانتباهها إلى الشمال.

بعد رحيل مالكولم عن فارس بعدة أشهر وصل إليها أوزلي ومعه المساعدة التي كانت فارس موعودة بها منذ مدة طويلة. وكانت قيمة هذه المساعدة ٢٠٠ ألف تومان، و١٢ مدفعاً، و١٢ ألف قذيفة، و١٢ ألف بندقية، وأقمشة من الجوخ تكفي لحياكة ملابس لـ ١٢ ألف جندي[2]. وحضر مع أوزلي عدد كبير من المستشارين العسكريين. وكان الغرض من ذلك كله حث فارس على الاستمرار في الحرب ضد روسيا.

في نهاية شهر فبراير من عام ١٨١١ أرسل الجنرال تورماسوف برقية إلى وزير الخارجية رومينتسيف جاء فيها:

---

1. انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب.

2. انظر تقرير الماركيز باولوتشي من تفليس إلى روميانتسيف المؤرخ في ٢٦ مارس عام ١٨١٢. في أرشيف سياسة روسيا الخارجية، مرجع سابق، د ٥، الورقة ١٥٨.

"إن الإنكليز الموجودين في تبريز يجتهدون في تدريب طواقم المدافع الفارسيين، ويلحون على ولي العهد بضرورة حشد عدد أكبر من القوات لإرسالها إلى حدودنا بالتأكيد، والقيام بعمليات حاسمة"[1].

عندما وصل أوزلي إلى فارس كان مكلفاً مثل سلفه بانتهاز فرصة تسليم اللباس العسكري، والعتاد، والذخائر، وإيقاع فارس في شباك اتفاقية جديدة تزيد من تعلقها وتبعيتها لبريطانيا. إلا أن الجانب الإنكليزي رفض إقرار المعاهدة الأنجلو فارسية الجديدة، التي توصل إليها أوزلي مع فارس في عام ١٩١٢. وبذلك تكون الحكومة البريطانية قد كررت العمل نفسه الذي قامت به بخصوص معاهدة عام ١٨٠٩؛ أي رفض توقيعها.

وقد رأت بريطانيا أن هذه المعاهدة أيضاً خطوة على طريق تقوية المواقع الإنكليزية وتعزيزها في فارس، التي لوحظ توسعها منذ عام ١٨٠٩. والواقع أن سنان هذه المعاهدة الأنجلو فارسية الجديدة كانت موجهة أيضاً ضد روسيا؛ إذ تم التوقيع عليها في شهر مارس، أي قبل اعتداء نابليون على روسيا بثلاثة أشهر. وأظهرت هذه المعاهدة اتجاهاً جديداً لمصالح الاستعمار البريطاني في حوض بحر قزوين. وفيما بعد أصبحت بعض مواد هذه المعاهدة أساساً للمعاهدة النهائية بين بريطانيا وفارس عام ١٨١٤.

إذا كانت بريطانيا قد ألزمت فارس في معاهدتيَ عام ١٨٠٠ و١٨٠٩ بالقتال ليتسنى لها المحافظة على مستعمراتها وتعزيزها في الهند وحمايتها في حال مهاجمتها من قبل الأفغان، وكذلك منع القوات الأجنبية من عبور أراضيها، فإن معاهدة عام ١٩١٢ ألزمت فارس خوض الحرب في سبيل المصالح البريطانية في أيّ حال تحاول فيها أيّ

1. انظر أرشيف سياسة روسيا الخارجية، مرجع سابق، د ٥، الورقة ١٤٨.

دولة الوصول إلى مستعمراتها عبر خراسان، أو تتارستان، أو بخارى، أو سمرقند أو عبر أي طريق آخر (المادة الأولى). كما تعهد الشاه بعدم السماح لأي أوربي بالمرور من أراضيه إذا لم يوافق الإنكليز على ذلك[1].

وعندما طالب الإنكليز فارس بالدخول في الحرب في سبيل مصالحهم، لم يأخذوا على أنفسهم أي تعهد قاس بتقديم المساعدة لها في حال دخولها في حرب مع أيّ دولة على الأراضي الفارسية بالذات. وتتوقف مسألة منح المساعدة لفارس على قرار الحاكم العام للهند (المادة الثانية). وحسب معاهدة عام ١٨١٢ اهتم الإنكليز بشكل خاص بضرورة أن تمتلك فارس أسطولاً حربياً "في بحر قزوين". ولهذا أبدى ملك بريطانيا استعداده التام لتقديم ضباط، وبحارة، وصناع سفن، ونجارين، وغيرهم من أجل مساعدة فارس في بناء أسطول لها في بحر قزوين.

ومن هنا يتضح أن بريطانيا لم تكن تحث فارس على مواصلة الحرب ضد روسيا فقط، وإنما كانت تعمل على تحقيق أهدافها التوسعية. وتنص المادة التاسعة من المعاهدة على أن الحكومة البريطانية على استعداد لإرسال قوات عسكرية إلى الخليج العربي "لمساعدة" فارس، على أن تتعهد فارس بدفع المصاريف الخاصة بذلك. وقد أبقت معاهدة عام ١٨١٢ على مادة بهذا الشأن تتضمنه المعاهدة السابقة تنص على أنه بإمكان الوحدات البحرية الحربية الإنكليزية الدخول إلى الخليج العربي دون تصريح سابق بذلك، في حين تحتاج إلى تصريح من الشاه إذا ما أرادت النزول في موانئ محددة.

والشيء المميز في هذه المعاهدة هو المادة الثانية عشرة التي تنص على أن "هدف هذه المعاهدة تحقيق رغبة الطرفين المتعاقدين بتقديم الدعم لبعضهما، وفي الوقت نفسه تقوية سلطتهما ومستعمراتهما وتعزيزها، وتوسيعها لحمايتها من عدوان الأعداء(؟!).

[1]. انظر نص المعاهدة في Aitchison C. U.، مرجع سابق، المجلد العاشر، ص ٤٨ – ٥٣.

ويعرب صاحب الجلالة، ملك بريطانيا عن أمله في منع الدول الأجنبية من التوغل في فارس، وأن تساعد (هذه المعاهدة) على زيادة الأهمية السياسية لها (لفارس)، وتوسيع أراضيها".

ويبدو أن الخشية من اتساع الأراضي الإنكليزية على حساب فارس جعل سلطات الشاه تصر على إدراج مادة في المعاهدة تنص على أنه: "إذا عرض أحد الأحزاب المتنافسة أي ولاية على الحكومة البريطانية مقابل الحصول على مساعدتها فعلى الحكومة البريطانية رفض مثل هذا العرض. وفي حال قبولها تقديم المساعدة لا يمنحها ذلك الحق في الاستيلاء على هذا القسم من فارس".

ومثل هذه المادة لم تكن بالطبع وليدة المصادفة. فهي تعكس خبرة الشاه التي حصل عليها نتيجة توغل الحملة العسكرية البريطانية في الخليج العربي عام ١٨٠٨ لتقديم دعم "لأحد الأحزاب"؛ ولا سيما أن الإنكليز كثيراً ما عملوا على تحريض الحكام المحليين، واستغلوا لجوء هؤلاء إليهم طلباً للمساعدة. فمثلاً قدموا "مساعدات" للسيد سعيد، ولباشا بغداد، ولشيوخ صغار، وحكام آخرين في منطقة الخليج العربي. وجميع هؤلاء أصبحوا فيما بعد أتباعاً "موالين" للإنكليز. ومثل هذه الأعمال مارسها الإنكليز مع خانات خراسان أيضاً[1].

على الرغم من الجهود الكثيرة التي بذلتها الدبلوماسية البريطانية، والطغمة العسكرية لإطالة أمد الحرب بين فارس وروسيا، إلا أن استمرارها لم يكن له معنى بالنسبة لفارس؛ إذ لم تستفد حتى من غزو نابليون لروسيا، كما لم تستفد من الأسلحة الإنكليزية، ومن وجود المستشارين الإنكليز. وبالنهاية أدى تخلف فارس وضعفها إلى هزيمتها أمام روسيا. وفي عام ١٨١٣ عقدت معاهدة روسية – فارسية تضمنت مادة

---

[1]. انظر سوكولوف، ا. ي. مرجع سابق، ص ٣٩.

تحظر على فارس امتلاك أسطول حربي في بحر قزوين. وبهذا الشكل وضعت روسيا حداً للحملة البريطانية في هذا الاتجاه.

ورغبة منها في الإبقاء على فارس تحت قبضتها، وزيادة تعلقها بها واعتمادها عليها استأنفت بريطانيا المباحثات مع فارس بشأن عقد المعاهدة النهائية التي جرى التوقيع عليها في ٢٥ نوفمبر عام ١٨١٤. وبسبب هذه المعاهدة احتكرت بريطانيا التجارة الخارجية لفارس، ولا سيما التجارة التي تمر عبر الخليج العربي، كما أخضعت لمراقبتها منطقة الخليج كلها. والجدير بالذكر أن هذه المراقبة تم فرضها بقوة السلاح، الأمر الذي يتناقض مع المادتين الثانية والتاسعة من المعاهدة.

لقد أعطت هذه المعاهدة النهائية المسوّغ القانوني لوجود القوات البريطانية في منطقة الخليج العربي. وبمقتضى المادة الثانية من هذه المعاهدة أصبح الأسطول البريطاني "المرابط في جزيرة خرج تحت تصرف الشاه"، وعليه تقديم المساعدة لفارس. إلا أن هذه الشروط، التي تم إدراجها في هذة المادة كان الهدف منها حماية مصالح الإنكليز، وليس مساعدة فارس.

فمثلاً كانت مساعدة الشاه بالأسطول مرهونة باقتناع الإنكليز "بإمكانية النجاح في تنفيذ هذا العمل"، وما هي وجهة نظرهم في هذا الأمر. أي إنّ الشاه لن يستطيع استخدام هذا الأسطول لتنفيذ أي عمل خاص به ما لم يكن هذا العمل مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بمصالح الإنكليز وحصل على موافقتهم بذلك. وبالطبع لن يوافق الإنكليز على استخدام أسطولهم في أي عمل لا يعود عليهم بالفائدة والمكسب.

صحيح أن هذه المادة حظرت على السفن البريطانية الدخول إلى موانئ فارس "باستثناء حالات الضرورة القصوى"، لكن الإنكليز كانوا يستطيعون أن يعزوا جميع

"زيارات" سفنهم (وهذا ما فعلوه فيما بعد)، التي يفرضونها على فارس، بما في ذلك الحملات العسكرية "التأديبية"، التي كانوا يقومون بها على امتداد الساحل الشمالي للخليج العربي إلى حالات الضرورة القصوى. عندما اطلع الباحث الفارسي فاروقي على هذه المادة في المعاهدة لاحظ كيف أن الإنكليز استطاعوا بهذا الشكل الانتقال تدريجياً من ممارسة دور الشريك لفارس في منطقة الخليج العربي إلى ممارسة دور الحكم الفاصل[1].

أما وجهة نظرنا فإن معاهدة عام ١٨١٤ لم تكن تشكل البداية في عملية الانتقال من دور الشريك إلى دور الحكم الفاصل (فذلك قد حصل منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر واستمر على امتداد القرن الثامن عشر)، وإنما جعلت الإنكليز يثبتون وضعهم رسمياً، ويعدون أنفسهم أهم الدولة البحرية الحربية الوحيدة في الخليج العربي. وهذا في الواقع ما جعل المقيم البريطاني في الحقبة الأولى من القرن التاسع عشر يمارس دور قاضي التحكيم في النزاعات الداخلية بين الشيوخ المحليين. كما تضمنت هذه المعاهدة الأنجلو- فارسية الموقعة عام ١٨١٤ مواداً تتعلق بالتجارة التي تميزت منذ القرن التاسع عشر بأنها تجارة غير متكافئة. وقد كتب جاردان عن ذلك في كتابه عن عام ١٨٠٧-١٨٠٨ أن ممارسة التجارة الخارجية في فارس كانت تقتصر تقريباً على الإنكليز فقط[2].

في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر شهدت بريطانيا أزمة فرط الإنتاج، بسبب انخفاض الطلب وازدياد الإنتاج. وأصبحت مسألة إيجاد أسواق لترويج البضائع الإنكليزية في سنة ١٨١٠ مسألة ملحة وبالغة الأهمية. وفي عام ١٨١٥ تعرضت

---

[1] انظر .Faroughy A، مرجع سابق، ص ٧٧.

[2] انظر .Gardane A، مرجع سابق، ص ٣٩.

بريطانيا لأزمة جديدة من هذا القبيل. حتى إن الكاتب الإنكليزي بكنجهام ذكـــر في كتابه أن شركة الهند الشرقية وجدت نفسها في وضع حرج لدرجة أنها كانت تـــضطر لتصدير كمية محدودة فقط من البضائع في كل عام. وقد أوجب عليها ذلك البحـــث عن أسواق وتوسيعها لترويج بضائعها [1].

كانت فارس في بداية القرن التاسع عشر تصدر الحرير من يـــزد، وكاشـــان، وكليان، والسجاد، والصوف، والقطن من أصفهان، والخمور، وماء الورد، والفواكه، والخيول، والبغال من شيراز [2]. أما الواردات (التي كانت تأتيها بشكل أساسي مـــن الهند عن طريق الخليج العربي) فكانت من الأرز، والسكر, والنيلة، والفلفل وغير ذلك من أنواع التوابل؛ كما كانت تستورد من البنغال الأقمشة، والحديـــد، والفـــولاذ، والقصدير، والرصاص، وأقمشة الصوف؛ أمّا الجوخ الإنكليزي الملون فكان يأتيها من بومباي بشكل أساسي. ويقول بكنجهام إنّ ثمن جميع صادرات فارس لم يكن يـــشكل ثلث ثمن وارداته؛ أي إنّ تجارتها لم تكن متكافئة على الإطلاق. وفي أوائل القرن التاسع عشر أخذ الإنكليز يُخرجون من فارس حتى النقود الإسبانية، والألمانيـــة، والبندقيـــة، وبالأخص"الروبيات الفارسية" [3]. ويوجد من الباحثين من أضاف إلى هذه القائمة أيضاً سبائك الذهب والفضة [4].

كانت التجارة تمارس في فارس من قبل الإنكليز أنفسهم، أو من قبل أشـــخاص يكونون تحت حمايتهم. وقد كتب هويد في كتابه عن التجارة في السنوات العشر الأولى

---

[1]. انظر. **Buckingham**، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١١٥.

[2]. انظر **Heude W. A Voyage up the Persian Gulf and a Journey Overiand from India to England in ١٨١٧. L., ١٨١٩. (P ٤٣).**

[3]. انظر" **Buckingham** "، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١١٥.

[4]. انظر. "**Heude W**"، مرجع سابق، ص ٤٣.

من القرن التاسع عشر: "... إضافة إلى الطرادات، والفرقاطات، والسفن العربية الصغيرة، والزوارق المحلية كانت عادة ما تأتي من الهند من ١٠ إلى ١٢ سفينة كبيرة. وكانت هذه السفن تعمل بالتجارة في الخليج العربي تحت حماية علمنا. وكانت ٧ أو ٨ سفن من هذه السفن تقوم برحلتين في العام الواحد[١]. أما بكنجهام فكتب في عام ١٨١٦ يقول: "كان عدد السفن التي تعمل بالتجارة الحديثة بين فارس والهند يتراوح مابين ١٢ و ١٥ سفينة. وكانت هذه السفن تأتي في كل عام من البنغال وبومباي"[٢].

كان أكثر الموانئ التي ترتادها السفن البريطانية المحملة بالبضائع: ميناء بوشهر، ومسقط، والبصرة. وهي الموانئ الرئيسة في الخليج. ففي ميناء بوشهر، الذي يعد ميناء فارس الرئيس، كانت السفن تفرغ القسم الأكبر من حمولتها، والقسم الآخر يتم توزيعه ما بين مسقط والبصرة وجزر البحرين وغيرها من جزر الخليج العربي. وإلى جانب السفن البريطانية كانت تشترك في التجارة في الخليج العربي سفن عربية وزوارق محلية. وقد فسر هويد عبارة "السفن العربية" عندما قال: (أبحرنا من بومباي على متن ما تسمى سفينة عربية، وهي سفينة تم بناؤها في إنكلترا وتبحر رافعة العلم الإنكليزي، وصاحبها تاجر عربي. وتعد السفن العربية، والقول لا يزال لهويد، من "أردأ أنواع تجارة بلادنا")[٣]. يدل هذا على أن سفناً من أردأ الأنواع كانت تعمل بالتجارة الإنكليزية؛ وأن مثل هذه السفن "العربية" كثيراً ما كانت تخدم التجارة الإنكليزية.

أما بالنسبة للزوارق المحلية فهي بالطبع مراكب ذات حمولة صغيرة جداً. إلا أنها مع ذلك ظهرت منافسة لشركة الهند الشرقية ومعيقة لتجارتها. والفصل التالي يروي حوادث حرق الإنكليز لهذه المراكب التابعة للسكان المحليين، وكيف كانوا يتخذون

١. انظر. "Heude W"، مرجع سابق، ص ٤٢.

٢. انظر "Buckingham"، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١١٥.

٣. انظر. "Heude W"، مرجع سابق، ص ١٩.

من عبارة "مكافحة القرصنة" حجة لهم، لإبعاد حتى هؤلاء المنافسين الضعفاء، كما فعلوا بالتجار على السواحل وفي جزر الخليج العربي. وسنرى فيما بعد كيف أن السفن المحلية القليلة التي بقيت بعد الحملات العسكرية البريطانية أصبحت في عام ١٨٢٠ تخضع لمراقبة الإنكليز لتزداد أوضاع "السفن العربية" سوءاً على سوء.

وبهذا الشكل سيطر المستعمرون الإنكليز في الربع الأول من القرن التاسع عشر على تجارة فارس الخارجية، التي تمر عن طريق الخليج العربي. وأدى إغراق الأسواق الفارسية بالبضائع المستوردة إلى الحيلولة دون تطور الصناعة الفارسية. وبقي استيراد القطن والصوف؛ أي المواد الخام للصناعة الإنكليزية من فارس يشكل في ذلك الوقت ثقلاً نوعيًّا بسيطاً في التوازن التجاري العام معها. وبدأت فارس تتحول بشكل عام إلى سوق لترويج البضائع الإنكليزية، ومصدر للمواد الخام. ومع مرور الوقت أخذت وتيرة هذا التحول تزداد أكثر فأكثر.

في أوائل القرن التاسع عشر بدأت تظهر بوادر الصناعة في فارس. ففي تبريز مثلاً بدأت تعمل، حسب أقوال بوروزدنا "مغازل الحرير، والمصابغ، ومبارم الحرير، ومعمل منتجات حريرية، ومصنع أكياس الخيش القطني "الجنفيص"، ومصنع للصابون، ومدبغة جلود، ومصنع أواني صينية آسيوية، ومعمل صغير لإنتاج البارود، ومصنع أنابيب إسمنتية عادية، وورشة لطلاء الذهب، وورشة حدادة"[1].

نلاحظ أن جميع هذه المنشآت مخصصة للصناعات الخفيفة، أما الصناعات الثقيلة (ولا سيما صناعة التعدين) فلم تظهر إلا مؤخراً. إلا أن هذه الصناعات الخفيفة لم تسلم من تدخل من قبل الإنكليز الذين قاموا بمسح لأغوار الأراضي الفارسية.

[1]. انظر بوروزدنا ف. وصف موجز لرحلة سفارة روسيا الإمبراطورية إلى فارس عام ١٨١٧. سانت بطرس بورغ، ١٨٢١، ص ١٠٣. (باللغة الروسية).

وهذا ما تحدث عنه بوروزدنا أيضاً حيث قال إنّ الإنكليز جاءوا إلى فارس من أجل "التنقيب عن المعادن الخام" إلا أن استكشافاتهم وتنقيبهم آنذاك لم يتكلل بالنجاح[١]. كما أن استخراج فارس للمواد الخام والرصاص، وتشغيل معمل البارود، لم يكن يجري دون مراقبة الإنكليز. وهذا ما تحدث عنه الجنرال يرمولوف في عام ١٨١٧، حيث قال أنّ سباكة المصنوعات المعدنية كان يتم تحت إشراف الإنكليز، وأن عمال السباكة كانوا يتلقون تدريبهم في الهند[٢].

سعى الإنكليز إلى التدخل في جميع مجالات الحياة في فارس. وقد كان رئيس أركان القوات البريطانية في الهند العقيد جونسون يرى عند وصفه للمبادئ الواجب إتباعها من قبل أبناء جلدته المقيمين في بلاد تتبع للإنكليز، أن من أهم المبادئ بسط النفوذ الإنكليزي في جميع مجالات الإدارة: السياسية والقانونية والمدنية والتجارية[٣]. وقد تمت مراعاة هذا المبدأ في الهند بمقتضى السياسة, وتم تطبيقه من قبل المستعمرين في كل مكان استطاعوا التوغل فيه، بما في ذلك فارس، حيث وسعوا نشاطهم الهدام فيها لدرجة كبيرة بعد معاهدة عام ١٨١٤.

تبين المصادر الروسية، بما في ذلك وثائق بعثة الجنرال يرمولوف إلى فارس عام ١٨١٧، ولا سيما مذكراته، مدى التدخل الإنكليزي في جميع مجالات الحياة في فارس. وكثيراً ما لفت يرمولوف النظر إلى أن مسألة التدريب القتالي، ولاسيما في بلاط ولي عهد شاه فارس عباس ميرزا (حيث توجد القوات الفارسية الوحيدة القادرة على القتال، والتي لا تحتاج إلى أي نوع من التدريبات) كان في يد الإنكليز. وقد كتب يرمولوف أنه عندما اصطف الجنود الفارسيون لاستقباله في أثناء بعثته إلى فارس كان

---

١. انظر بوروزدنا ف. مرجع سابق، ص ٩٦.

٢. انظر الأرشيف التاريخي – العسكري الحكومي المركزي، د ٦٤٢، الورقة٤١– ٤٢.

٣. انظر.Johnson J. W ، مرجع سابق، ص ٢٠٢

يقف في المقدمة ضباط إنكليز، وكان حرس عباس ميرزا من الضباط الإنكليز أيضاً، والمدفعية إنكليزية، والفرسان يحملون سيوفاً إنكليزية، وحتى قادة القوات النظامية كانوا جميعاً من الضباط الإنكليز فقط. كما كتب يرمولوف في مذكراته ساخراً:" أن الإنكليز احتكروا فارس حتى في فن الحرب، الذي لم يعترف لهم أحد به حتى الآن". ذلك أن فن أساليب التدريب القتالي التي امتاز بها الإنكليز في فارس لها طابع "حضاري- متمدن". وقد رأى ضباط بعثة يرمولوف بأم أعينهم كيف كان المدربون الإنكليز يوجهون اللكمات إلى أوجه الفارسيين المرابطين على الجبهة[1].

كان الإنكليز يحاولون استغلال أي ثغرة تساعدهم على توسيع نفوذهم وتعميقه في فارس. وبغية كسب ثقة الشاه، وعباس ميرزا، ووجهاء فارس البارزين لم يكن أسهل عليهم من التملق والتزلف، وكانوا يبدون استعدادهم للقيام بالاحتفالات ومراسم الاستقبال، ولا سيما في البلاط.

وقد كتب سوكولوف، أحد أعضاء بعثة يرمولوف في مذكراته أن الإنكليز يتذللون كما يفعل في فارس العبيد أمام أسيادهم. وفي الوقت نفسه ينثرون الذهب بسخاء "لإعماء" الشاه وحاشيته. أما في منطقة الخليج العربي، حيث يعرفون قدر قوتهم، فقد كان المستعمرون الإنكليز يستخدمون أساليب مختلفة كل الاختلاف، فقد كانوا يستعملون المدافع والحراب، ويشنون "الحملات التأديبية" الواحدة تلو الأخرى لإرهاب السكان المحليين على الساحل وفي جزر الخليج (انظر الفصل الرابع).

كما كتب سوكولوف في مذكراته أن الإنكليز سعوا لضم "المواقع الملائمة على سواحل الخليج العربي إلى الأراضي التي احتلوها في الهند"، وكانوا في الوقت نفسه "يحرضون الفارسيين على متابعة حربهم ضد روسيا. وكل ذلك من أجل صرف الانتباه

---

[1]. انظر الأرشيف التاريخي- العسكري الحكومي المركزي، د ٦٤٢، الأوراق ٧-١٠، ٤١-٤٣.

مجلس وزراء طهران، قصير النظر عن أي عمل يقومون به ويرون أنه يحافظ على سلامة جوهرهم الثمينة – الهند، وإلى جانب ذلك كانوا يعملون سراً على إثارة الفتن والاستمرار في التمرد على السلطة الشاهانية في خراسان حتى الآن"[1].

استمر الإنكليز في تحريض فارس على خوض الحرب ضد روسيا طيلة الربع الأول من القرن التاسع عشر. ومن أجل تحقيق هذا الهدف عقدوا معاهدة عام ١٨١٤، و"غمروا" فارس بالمرشدين والمستشارين والمدربين، وحثوا الأوساط الحاكمة في فارس على الانتقام. أي صفوة القول أن كل ما قام به عملاء بريطانيا في فارس كان موجهاً لتحريض فارس وحثها على متابعة الحرب ضد روسيا. وكانت المخططات الاستعمارية بعيدة المدى هي الأساس الذي بنى الإنكليز عليه سياستهم في هذه البلاد.

بعد أن استمعت حكومة الشاه إلى صوت الإنكليز، واعتمدت على المساعدات والدعم المشروط بمعاهدة عام ١٨١٤ أشعلت نيران حرب جديدة ضد روسيا في شهر يوليو من عام ١٨٢٦. وبذلك أوقعت فارس نفسها من جديد في وضع حرج، وراح الشاه يستجدي الدعم ممن حرضوه، ولكن كما قال فلاديمير إيليتش لينين: "بريطانيا خدعت بلاد فارس. ومثل ذلك لا ينطبق على معاهداتنا"[2].

---

[1]. انظر سوكولوف أ. ي. مرجع سابق، ص٣٧، ٣٩.

[2]. انظر لينين ف. إ. كراس مواد حول فارس، ص ٧٠٥.

الفصل الرابع

السياسة البريطانية تجاه المشيخات

اليعاربة في سدة الحكم

كانت عمان في القرنين السابع عشر والثامن عشر أكبر الإمارات على الساحل الجنوبي لخليج عمان والخليج العربي. والمساحة التي شغلتها هذه الإمارة شملت الناحية الشرقية لشبه الجزيرة العربية. ووصلت حدودها الغربية إلى واحة البريمي[١]. وكان لموقعها الجغرافي دور في سيطرة حاكمها على الطرق التجارية في الخليج العربي وبحر عمان. وكونها تحتل موقعاً ملائماً، وتشكل نقطة مراقبة على الطرق الفارسية الهندية، فقد كانت محط أنظار المستعمرين، الذين قدروها حق قدرها في مختلف الأزمان.

يلقب حاكم عمان عادة بالإمام أي الزعيم الروحي للبلاد. وبذلك كانت السلطتان الدينية والدنيوية تنحصران في شخص واحد. والأئمة الذين اكتسبوا أوسع شهرة في تاريخ عمان السياسي في القرن السابع عشر هم: الإمام ناصر بن مرشد [١٦٢٤- ١٦٤٩]، الذي أجبر البرتغاليين على تسليم قلاعهم على الساحل (بحيث لم يبق لديهم من تحصينات تحميهم، حتى وقت وفاته في عام ١٦٤٩، سوى قلعة في مسقط، وأخرى في مطرح)[٢].

---

١. للتعرف على الموقع الجغرافي لعمان، وسكانها، وقبائلها انظر كتاب كيلي **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص٣-٧. حيث توجد معلومات تم جمعها على مدى قرن ونصف من قبل أجيال من الوكلاء والمقيمين الإنكليز في هذه الإمارة.

٢. عند وفاة الإمام ناصر بن مرشد خلفه [ابن عمه وقائد جيشه] سلطان بن سيف (١٦٤٩- ١٦٦٨) الذي شن هجمات على البرتغاليين ونجح في انتزاع مطرح ومسقط من أيديهم عند منتصف القرن السابع عشر. ولم يكتف

والإمام سيف بن سلطان[1]، الذي أصبحت عمان في عهده أقوى إمارة على الساحل الجنوبي للخليج العربي. وقد تمكن في أواخر القرن السابع عشر من طرد البرتغاليين من آخر حصوهم في شرقي إفريقيا، وضمها إلى عمان. كان أئمة عمان في أثناء النزاعات الداخلية في النصف الأول من القرن الثامن عشر إما أهم يظهرون تبعيتهم لفارس، وإما أهم يسعون لاقتطاع أراض أكثر مما لهم على الساحل الشمالي

الإمام الجديد بإخراج البرتغاليين من آخر معاقلهم في بلاده، بل تتبع فلولهم خارجها نحو ممتلكاتهم في الهند، وشرقي أفريقيا.

ويرى بعض الباحثين أن سنة وفاة الإمام سلطان بن سيف هي ١٦٦٨، في حين يرى آخرون أن الوفاة وقعت عام ١٦٧٩. انظر:

Badger, Op. Cit., pp.xxxviii, ٩٠ F.; Miles, Op. Cit.; p٢١٤.; Hopwood, Op. Cit.; p٩٩

وكذلك انظر بدر الدين عباس الخصوصي: دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ٢ ج، منشورات ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٤، ج١، ط٢ ص ٦٧، ٦٩.

كان تعاقب الحكام اليعاربة منذ عهد ناصر بن مرشد حسب ما ورد في كتاب لجمال زكريا قاسم على الشكل الآتي: أول الأئمة ناصر بن مرشد (١٦٢٤– ١٦٤٩)، خلفه ابن عمه سلطان بن سيف (١٦٤٩– ١٦٦٨)، خلفه ابنه بلعرب بن سلطان، الذي تنافس مع أخيه سيف بن سلطان على الحكم، وأصبح الأخير إماماً في عمان حتى وفاته في سنة ١٧١١، وخلفه سلطان بن سيف حتى سنة ١٧١٨، حيث رأى البعض تنصيب ابنه سيف بن سلطان [الثاني] البالغ من العمر ١٢ عاماً إماماً؛ في حين رأى البعض الآخر تسليم الحكم إلى أحد أفراد أسرته، ويدعى مهنا بن سلطان الذي حكم عمان حتى سنة ١٧٢٠، حيث قتل على يد يعرب بن بلعرب، الوصي، الذي تجاهل أمر الوصاية على سيف بن سلطان [الثاني] واستحوذ على السلطة مما كان دافعاً لخلعه من قبل بلعرب بن ناصر، الذي عقد الإمامة لسيف بن سلطان للمرة الثانية في عام ١٧٢٣، وتولى أمر الوصاية عليه بنفسه إلى أن تم عقد البيعة بالإمامة في عام ١٧٢٤ لمحمد بن ناصر، الذي استمر قائماً على شئونها حتى عام ١٧٢٧ حيث تنازل للإمام سيف بن سلطان [الثاني] الذي بلغ السن التي تؤهله لتولي شؤون الإمامة. وبهذه الطريقة نودي بسيف بن سلطان [الثاني] إماماً للمرة الثالثة. وقد لجأ خلال حكمه إلى نادر شاه طلباً للمساعدة على منافسيه. انظر جمال زكريا قاسم مقتبسات من ص ١٢٨ وما بعدها من "الخليج العربي": دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول ١٥٠٧– ١٨٤٠، إصدار دار الفكر العربي– القاهرة، ١٩٨٥].

[1]. حكم من عام ١٦٩٢ إلى عام ١٧١١، حسب قول بدر الدين عباس الخصوصي، المرجع السابق، ص ٦٨ .... المترجم

للخليج العربي، وذلك تبعاً لقوة سلطتهم. اضطر الإمام سيف بن سلطان [الثاني] من أجل تثبيت نفسه في الحكم إلى اللجوء مرتين إلى الشاه نادر شاه يستنصره على خصومه. إلا أن ذلك لم يَحُل دون هزيمته أخيراً في النزاع الإقطاعي[1].

آل بوسعيد في سدة الحكم

في منتصف الأربعينات من القرن الثامن عشر شهدت البلاد حرباً أهلية قاتل فيها الأخ أخاه، واستمرت لأكثر من عقد من الزمن، وأودت بحياة الكثير من الأقرباء بالدم في عائلة الغافرية المسيطرة[2]، واستنفدت قوة القبائل التي كانت تشكل ركيزة الجماعات المتنافسة على الحكم. وفي هذه الظروف ظهر والي صحار، أحمد بن سعيد، كأقوى شخصية في الساحة السياسية في عمان وأعلن نفسه إماماً في عام ١٧٤٩[3]، واضعاً بذلك بداية لعائلة آل بوسعيد الحاكمة، التي لا تزال تحكم البلاد حتى هذا اليوم. كان أحمد بن سعيد من التجار، وملاك السفن.

وقد ذكر كيلي (kelly) في كتابه: أن التجارة والملاحة كانتا أساس السلطة في عمان في عهد أحمد بن سعيد، وأن الدخل الأكبر للدولة كان يأتي من الرسوم الجمركية. وهذ ما ميز الإمام أحمد عن أسلافه من الحكام الذين وضعوا ركيزة لملكية الأراضي[4]. استقرت الأوضاع في عمان في عهد أحمد بن سعيد بامتلاكه جيشاً نظامياً

---

1. للمزيد من الاطلاع على سلالة اليعاربة الحاكمة انظر محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، الأردن- عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، جزءان، ص ٣٠٦-٣١٧ الجزء الأول............ المترجم

2. الحرب الأهلية التي نشبت كانت بين الغافرية والهناوية.............. المترجم.

3. يقول جمال زكريا قاسم: " يرى السالمي العام الهجري الموافق لعام ١٧٤٥ هو العام الذي وصل فيه أحمد بن سعيد إلى الإمامة في عمان على حين يرى ابن رزيق بداية صراعه مع الفرس في عام ١٧٤١ هو العام الذي وصل فيه إلى الإمامة". انظر جمال زكريا قاسم، مرجع سابق، ص ١٤٤..... المترجم.

4. انظر. **Kelly G. B.**، مرجع سابق، ص ١٠.

قوياً، وإن كان صغيراً، وأسطولاً كان يعد آنذاك من الأساطيل الضخمة إلى حد ما. انتهز الإمام أحمد (ومن جاء بعده) تمزق فارس واستولى، لبعض الوقت، على نقاط هامة على الساحل الشمالي للخليج العربي كبندر عباس، وهرمز، وكذلك جوادر على خليج عمان. واتخذ في سياسته الخارجية موقفاً معادياً لبريطانيا، ووطد علاقات الصداقة مع حيدر علي، حاكم ميسور، وابنه تيبو سلطان[١]، وعقد حلفاً مناوئاً للإنكليز مع ميسور. واستناداً لمعاهدة التحالف تعهد حاكم ميسور، بنصرة الإمام أحمد في صراعه ضد أعدائه الإنكليز[٢].

عندما أشار مايلز (Miles) إلى رفض الإمام أحمد القاطع إقامة أيّ علاقة مع الإنكليز؛ أي رفضه الانجرار إلى سياستهم، ورفض التعامل مع الأوربيين أرجع السبب إلى "الخبرة التي ربما يكون قد اكتسبها أحمد من الغزو البرتغالي والإسباني للخليج العربي"[٣]. وتعد هذه ملاحظة على درجة كبيرة من الدقة. ولكن من قراءة أفكار مايلز، يمكن الاستنتاج أنّ هذا القرار كان النتيجة الطبيعية للسياسة الاستعمارية التي انتهجها الإنكليز، الذين غرسوا الشعور في نفوس سكان منطقة الخليج العربي بأن النير الإنكليزي ليس أقل مرارة على الإطلاق من سابقيه: النير البرتغالي والنير الهولندي.

في السنوات الخمس الأخيرة من حياة الإمام أحمد بن سعيد بدأ الصراع على الحكم بين أبنائه الخمسة، الذين كان لكل منهم نصيب في الحكم. توفي الإمام أحمد في سنة ١٧٨٣. وبعد مدة حكم قصيرة توفي ابنه الأكبر هلال. وخلفه الابن الثاني لأحمد ويدعى سعيداً. وفي عهد هذا الأخير تجدد الصراع على العرش.

---

١. هكذا ورد الاسم في النص الروسي، وورد في أطلس تاريخ الإسلام أن الاسم هو تيبو صاحب، انظر حسين مؤنس، مرجع سابق، ص٢٥٩........المترجم.

٢. انظر Salil – ibn – Razik، مرجع سابق، ص ١٥٥، ١٥٦، ١٧١.

٣. انظر Miles S. P.، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٢٦٨.

وكان منافسو سعيد على الحكم إخوته الثلاثة: قيس وسيف وسلطان إضافة إلى ابنه حمد. وقد استطاع هذا الأخير إجبار أبيه على منحه السلطة الإدارية المطلقة في البلاد[1]. إلا أن سعيداً احتفظ لنفسه بلقب الإمام وبقي في عاصمة الإمارة الرستاق. كان حمد أول حاكم فعلي لعمان لا يلقب بالإمام، وإنما "بالسيد". وهو لقب الأسرة الحاكمة في عمان.

بعد وفاة حمد في عام ١٧٩٢ تجدد الصراع الداخلي على الحكم. وفي العام التالي اتفق الإخوة الثلاثة – أبناء أحمد، الذين كانوا يقيمون في عمان، على اقتسام البلاد فيما بينهم. وعملاً بهذا الاتفاق بقي سعيد في الرستاق محتفظاً بلقب الإمام، وانصرف عن الشؤون العامة للدولة؛ وأقام قيس في صحار، وسلطان في مسقط، التي سرعان ما انتقلت إليها أهمية عاصمة الإمارة. ومنذ ذلك الحين بدأت تظهر في بعض المراجع الأوربية تسمية الإمارة كلها بمسقط فقط (أو عمان ومسقط) معاً. كان وصول سلطان إلى الحكم بتدخل من الوكلاء الأوربيين، وفي مقدمتهم الإنكليز. ولهذا جاءت سياسته كلها منسجمة مع مصالح الأخيرين.

انتهز السيد سلطان نشوب الفتنة في فارس في عام ١٧٩٤ واستولى على "شهبهار [جاه بهار]، وبندر عباس، وجزيرتي قشم، وهرمز[2]. عندما عجز آغا محمد، الذي وصل إلى سدة الحكم في فارس في السنة التالية عن استرداد المنطقة المحتلة وإخراج السيد سلطان منها؛ لافتقاره إلى أسطول حربي، توصل إلى اتفاق معه على تأجيره المنطقة مقابل ستة آلاف تومان تدفع له سنوياً[3].

---

[1]. كما أجبر عمه سيفاً على الفرار إلى إفريقيا.

[2]. للمزيد من الاطلاع على سلالة آل بوسعيد انظر محمود شاكر، مرجع سابق، ج١، ص ٣١٨–٣٣٠.

[3]. ذكر كيلي أرقاماً تبين دخل عمان استناداً إلى تقارير وكلاء شركة الهند الشرقية. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٣– ١٥.

الإنكليز يغيرون اسم ساحل الشمال

تعود ملكية أكبر مساحة من الأراضي الواقعة على الساحل الجنوبي للخليج العربي منذ القرن الثامن عشر لحلفين قبليين هما: القواسم أو(الجواسم) وبني ياس. تمتد الأراضي التي تنتقل فيها قبائل هذين الحلفين من رأس مسندم حتى أبو ظبي. وهي تحيط بالخليج العربي من جهته الجنوبية الشرقية (انظر الخريطة الملحقة). وقد عُرفت هذه المنطقة، قليلة السكان على مدى قرون من الزمان باسم ساحل الشمال.

وبقي هذا الاسم ملازماً لها إلى أن ظهر فيها الإنكليز، الذين أطلقوا عليها، لأغراض دعائية وغايات في نفوسهم، تسميات مختلفة، كان أولها ساحل القراصنة. ثم غيروا هذه التسمية إلى عمان المتصالحة، أو الساحل المتصالح. وكان هدف الإنكليز من إطلاق تسمية ساحل القراصنة على هذه المنطقة لصق عيب ملفق بالقبائل المحلية. وفي غضون ذلك ظهر بين الإنكليز من كتب صراحة عن هذه المنطقة كما لو أنها مهداً للقرصنة العالمية، عادًّا السكان المحليين، أصحاب المنطقة، غير قادرين على القيام بأي عمل سوى القرصنة[1].

وقد أخذ هذه التسمية عن الإنكليز، دون تبصر أو دون تفكير في معناها المهين، الكثير من الأوربيين وغير الأوربيين وفيهم باحثون من الشرق الأوسط: بدءاً من الساسة ثم المؤرخين، وانتهاءً بالجغرافيين. وحدث أن أطلق البعض من المؤرخين الغربيين

---

[1] . جدير بالذكر أنه يوجد حتى بين المؤرخين الإنكليز المعاصرين، الذين لا يعملون في حقل السياسة، أشخاص يتحفظون على هذه التسمية، وقد رأوا، بعد طول تفكير عدم شرعية تسمية هذا الساحل بساحل القراصنة. فكيلي مثلا يستخدم هذه التسمية. ولكن بتحفظ. ففي وصفه لمنطقة من ساحل الخليج العربي تقع خلف رأس مسندم يقول: "وتُعرف هذه المنطقة الآن باسم "عمان المتصالحة"، أو "الساحل المتصالح". وكانت تسمى في السابق "بالشمال"، أو "الصير". انظر **Kelly J. B.**، ص ٣- ٤؛ وانظر **Belgrave**، مرجع سابق، ص ٣-٤.

في الآونة الأخيرة التسمية غير الصحيحة أي "ساحل القراصنة"، على الساحل الجنوبي للخليج: من شبه جزيرة مسندم حتى أبو ظبي، ونسب هذه التسمية للمدة الواقعة بين أواخر القرن الثامن عشر وعام ١٨٢٠ فقط، حيث تم تغيير هذه التسمية إلى عمان المتصالحة، أو الساحل المتصالح[١]. إلا أن مثل هذه النزعة لن تغير شيئاً من جوهر القضية، طالما أن المؤرخين يوافقون بصمت في هذه الحالة على افتراءات الإنكليز الدعائية بأن للسكان المحليين نزعة للقرصنة والبربرية، وأهم أصبحوا متحضرين على أيدي الإنكليز.

وسنوضح فيما يلي بالأدلة والوثائق كيف أن القبائل المحلية لم تكن أكثر ميلاً للقرصنة من الإنكليز أنفسهم. أما فيما يخص اتفاقية الاغتصاب، المسماة "بالمعاهدة العامة"، التي تم بها تغيير تسمية الشمال من ساحل القراصنة إلى عمان المتصالحة، فأقل ما يمكن أن يقال حولها أن الإنكليز أجبروا الشيوخ المحليين على توقيعها بعد أن أشعلوا حرب إبادة حقيقية ضد السكان. ولهذا فإن تسمية "عمان المتصالحة" لا تحدد المنطقة المشار إليها من ساحل الخليج العربي، لا شكلاً ولا مضموناً. ولا يصح بحال من الأحوال استخدام هذه التسمية في المراجع والمؤلفات الجغرافية. ويجب، من وجهة نظرنا، إعادة التسمية القديمة لهذه المنطقة، أي ساحل الشمال.

تمتد ممتلكات قبائل حلف القواسم من رأس مسندم إلى الشارقة (الشارجة)[٢]. أما الخط الساحلي الجنوبي فيتبع للقبائل الداخلة في حلف بني ياس[١]. وكان هذان الحلفان يتنافسان فيما بينهما على السيادة على ساحل الشمال.

---

١. انظر: بوديانسكي، مرجع سابق، ص ٥٦- ٥٧.

٢. للتعرف على قبائل القواسم انظر عبد الكريم الجبوري: القواسم ودورهم في مقاومة الاحتلال البريطاني، دار الطليعة الجديدة، دمشق، ٢٠٠٢، ص ٥٠- ٥١. وللتعرف على تاريخ القواسم انظر سالم ابن حمود السيابي، إيضاح المعالم في تاريخ القواسم، د. ن. ١٩٧٦........... المترجم

بعد وفاة نادر شاه انتهزت قبائل القواسم النزاعات والخلافات الداخلية في فارس واستولت على لنجة، وجزيرة قشم. إلا أن بقاءها هناك لم يدم طويلاً؛ إذ على الرغم من المقاومة العنيفة التي أبداها القواسم، استطاع الإمام أحمد [بن سعيد] إخضاع جميع موانئ الشمال إلى سلطته في عام ١٧٦٣ باستثناء رأس الخيمة. وفي الوقت نفسه تقريباً تمكن كريم خان من طردهم من لنجة.

بعد ذلك انتهز القواسم الفرصة الجديدة التي سنحت لهم عندما ضعفت السلطة المركزية، سواء في فارس (بعد وفاة كريم خان)، أو في عمان (في السنوات الأخيرة من حكم الإمام أحمد) ليعيدوا احتلال لنجة. وحاولوا التشبث بالساحل الشرقي لشبه جزيرة مسندم بعد إزاحة العمانيين عنه. وفي الربع الأخير من القرن الثامن عشر كان النصر في الصراع بين حكام عمان والقواسم سجالاً. وكان الهدف الرئيس في هذا الصراع موانئ دبا وخورفكان. إلا أن بؤر الصراع اشتعلت أيضاً في أماكن أخرى كقشم، التي تمكن السيد سلطان من طرد القواسم منها.

كان الشيخ صقر بن راشد هو الشيخ الأعلى لقبائل القواسم على مشارف القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد اتخذ من رأس الخيمة عاصمة له. وكان العمل الأساسي للسكان الصيد البحري[٢].

يتألف حلف بني ياس من عشرين قبيلة تقريباً. وخلافاً للقواسم كانت قبائل بني ياس تجمع في العمل مابين صيد السمك، واللؤلؤ، وزراعة التمور في واحة ليوا. قبل

[١]. للتعرف على حلف بني ياس انظر محمد مرسي عبد الله، إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣– ١٨١٨، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٧٨، ج١، ص ٩٨–١٠٣: وفوائد في تاريخ الإمارات، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، ٢٠٠٤. ص ١٣– ١٤ .... المترجم

[٢].انظر. **Kelli J. B.**، مرجع سابق، ص ١٧– ٢٠.

منتصف القرن الثامن عشر كانت قبائل بني ياس تتنقل صيفاً على الساحل، وتعود إلى ليوا لجني محاصيل التمر. وفي عام ١٧٦١ تم اكتشاف نبع للمياه الحلوة في جزيرة بالقرب من أبو ظبي. وعلى أثر هذا الاكتشاف انتقل القسم الأكبر من القبائل إلى الساحل، وتم أيضاً نقل مقر إقامة الشيخ الأعلى لبني ياس من واحة ليوا إلى الساحل. وعلى مشارف القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وقع صراع داخلي دموي انتهى بتزعم الشيخ شخبوط بن ذياب لحلف بني ياس.

لم يكن التنافس بين حلفي قبائل القواسم وبني ياس خلال القرن الثامن عشر خطيراً بحيث يؤدي إلى نزاعات مستديمة يستحيل تسويتها. ويعود السبب في ذلك إلى أن كلا الحلفين يدينان بالإسلام، ويتبعان المذهب السني. كما أن اختلاف المهنة كان يحد أيضاً من وقوع صدامات خطيرة بين هذين الحلفين.

مركز جمعة الماجد

هجرة العتوب

في نهاية القرن الثامن عشر كانت إمارة البحرين تنافس عمان في ثرائها. وكان حكام البحرين في تلك المدة ينحدرون من عرب حلف آل خليفة القبلي – عرب العتوب. وعرب العتوب، حسب ما يرى المؤرخون الشرقيون فرع قبلي رحل من نجد إلى الكويت والبصرة في بدايات القرن الثامن عشر. وفي عام ١٧٦٦ هاجرت جماعة كبيرة من عرب العتوب من الكويت لتستقر في الزبارة على الساحل الغربي لشبه جزيرة قطر، وكان على رأس هذه الجماعة الشيخ خليفة ابن محمد، وعرفت هذه الجماعة باسم آل خليفة.

وبعد عدة سنوات لحقت بها جماعة أخرى من الكويت أيضاً، تسمى بالجلاهمة، وكان على رأسها الشيخ جابر واستقرت في منطقة الرويس في الناحية الشمالية من

قطر. وعند استيلاء الفرس على البصرة في عامي ١٧٧٥- ١٧٧٦ رحلت الجماعة المقيمة فيها من عرب العتوب إلى قطر أيضاً ليرفعوا من عدد سكانها للمرة الثالثة خلال عقد من الزمن.

اشتهر عرب العتوب قبل رحيل قسم منهم إلى قطر بوقت طويل بأنهم أفضل ملاحين في منطقة الخليج العربي، وأكثر تُجاره همةً. عندما استقر العتوب في أماكنهم الجديدة سارعوا بتنظيم العمل بالوساطة التجارية وصيد اللؤلؤ وبيعه. وكان الثراء السريع لهؤلاء الدخلاء وفي مقدمتهم آل خليفة سبباً للنزاعات الداخلية التي نشبت في عام ١٧٧٩ بين هؤلاء المقيمين الجدد في الزبارة وسكان البحرين الأساسيين – البحرينيين، الذين كانوا قبل ظهور عرب العتوب يسيطرون على الوساطة التجارية، وصيد اللؤلؤ في المغاصات الغنية. وفي أثناء الصراع مع آل خليفة استنجد البحرينيون بحاكم بوشهر، الذي كانوا يعبرون من خلاله عن تبعيتهم لشاه فارس منذ أمد بعيد.

استمر الصراع بين الطرفين لسنوات عدة، وكان النصر فيه سجالاً بينهما. واستطاع شيخ بوشهر الاستيلاء على البحرين مرتين، لكنه لم يستطع الاحتفاظ بها لمدة طويلة. شارك الشيخ الأعلى للقواسم صقر بن راشد شيخَ بوشهر في حملته على البحرين عام ١٧٨٣. وأقام الوالي الفارسي ناصر بن مزكور[1] عدة سنوات في البحرين. وبدورهم استنصر آل خليفة الجلاهمةَ ووعدوهم بقسم من عوائد التجارة. إلا أن آل خليفة حنثوا بهذا الوعد بعد أن حققوا هدفهم.

وهذه الحادثة كانت السبب في جعل شيخ الجلاهمة رحمة بن جابر، الذي اتخذ من خور حسن حتى ذلك الحين مقراً لإقامته، يسخط على الشيخ أحمد بن خليفه ويضمر له ولمن يخلفه العداء. وفي صراعه الطويل ضد آل خليفة انضم رحمة بن جابر إلى حلف

[1]. انظر Tadjbakhche G. R.، مرجع سابق، ص ٤٠.

القواسم[1]. وفيما يتعلق بآل خليفة فقد عملوا على استغلال الفتن التي وقعت في فارس واستعانوا بالجلاهمة لتثبيت سلطتهم على البحرين. ولكنهم أدركوا في الوقت نفسه أنهم لن يستطيعوا الوقوف في وجه الجيش الفارسي فأعلن شيوخ آل خليفة تبعيتهم للشاه وراحوا يقدمون له قسماً من عوائد البحرين[2].

عند وفاة الشيخ أحمد [بن خليفة] في عام ١٧٩٦ تقاسم حكم البحرين ابناه: الشيخ سليمان والشيخ عبد الله. اتخذ الأول من الرفاع (جنوبي المنامة) مركزاً لممتلكاته، بينما اتخذ الثاني جزيرة المحرق مركزاً له. وأدى توزيع السلطة في الإمارة الإقطاعية، كالعادة، إلى إضعافها بشكل كلي. ومما أدى إلى تفاقم الوضع في مشيخة البحرين صعوبة حالة آل خليفة كوافدين- محتلين، ينظر إليهم البحرينيون، الذين يشكلون السواد الأعظم من السكان الأصليين نظرة عداء.

قبل قرن ونصف كانت هناك خمس جماعات قبلية تتنقل في منطقة الظفرة، التي تقع في عمق ساحل الخليج العربي إلى الجنوب من أبو ظبي: ثلاث منها كبيرة، واثنتان صغيرتان، ولم يكن لها شيخ أعلى. وعلى مشارف القرن التاسع عشر تحالفت هذه الجماعات مع قبائل بني ياس.

وكانت هناك ثلاث قبائل رحل كبيرة يتزعمها شيخ بني خالد القوي تقيم في المدينتين الرئيسيتين القطيف والهفوف على ساحل الأحساء. وفي عام ١٧٩٥ أخضع الشيخ الأعلى لبني خالد، عريعر بن سعدون، لسلطته ساحل الأحساء من الكويت حتى قطر.

---

[1]. انظر **Faroughy A.**، مرجع سابق، ص ٧١ – ٧٢.

[2]. للاطلاع على معلومات عن اقتصاد أرخبيل البحرين في هذه المدة، انظر في كتاب كيلي تقارير وكلاء شركة الهند الشرقية: **Keelly J. B.**، مرجع سابق، ص ٢٩- ٣٠.

ظهور الوهابيين على مسرح الأحداث

عندما رحل الحلفان القبليان الكبيران من عرب العتوب [آل خليفة والجلاهمة] عن الكويت بقيت قبيلة آل الصباح التي يتزعمها الشيخ الأعلى عبد الله بن صباح القبيلة السائدة فيها. وقد عرف عن الكويتيين في المرحلة التي تهمنا قدرتهم على القتال، ومهارتهم في التجارة. وهذه الميزة الأخيرة كانت أمراً مهماً للكويت؛ إذ إنها تقع على طريق تجارية قديمة تمتد من الخليج العربي حتى حلب. وكانت لهذه الطريق فائدة كبيرة للتجار في المدة التي انخفضت فيها التجارة في منطقتي البصرة وبغداد، ولا سيما في الثمانينات من القرن الثامن عشر.

ولأنّ الكويت تقع بالقرب من أملاك السلطان العثماني، استغلت القبائل الكويتية ضعف سلطة السلطان وحافظت على استقلالها قبيل القرن التاسع عشر. إلا أن ظهور الوهابيين[1] على مسرح الأحداث التاريخية حتّم على قبيلة آل الصباح البحث عن حماية لنفسها لدى عمال بغداد العثمانيين، الذين كانت العقد الهامة في تجارة الخليج العربي تحت سيطرتهم آنذاك.

في الربع الأول من القرن التاسع عشر مارست الحركة الوهابية دوراً محدوداً في تاريخ منطقة الخليج العربي. فقد دعا محمد بن عبد الوهاب، مؤسس الوهابية كتيار ديني، للعودة إلى ما كان عليه السلف الصالح من إيمان صادق وطهارة عقيدة، ورفض

---

[1]. "يتحدث الكتاب الوهابيون عن جماعتهم باسم الموحدين، أما إطلاق اسم الوهابيين عليهم فالأصل فيه أعداؤهم الذين أطلقوه عليهم عند بدء الدعوة. انظر: أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت، ٢ ج، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ج١، ص ٢١٣ (الحاشية)، نقلاً عن مقالة "الوهابية" التي كتبها المستشرق مارجوليوث Margoliouth في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى"............ المترجم

الشكل الذي كان عليه الإسلام قبل نهاية القرن الثامن عشر. وكان لابد من أن يتعرض الوعاظ الوهابيون إلى الاضطهاد.

ولهذا لم يجد محمد بن عبد الوهاب بداً من الفرار، حيث وجد ملاذاً لدى الحاكم القريب منه، الأمير محمد بن سعود، الذي وجد في شخصه نصيراً معيناً متحمساً لدعوته، وداعماً لمواعظه بقوة السلاح.

كان يطلق في أوربا على أتباع دعوة محمد بن عبد الوهاب اسم "الوهابيون". وقبيل القرن التاسع عشر انتصر "حلف السيف والعقيدة". فقد تبين قبل عام ١٧٩٢ (عام وفاة محمد بن عبد الوهاب) أن مساحات شاسعة من الأراضي في وسط الجزيرة العربية قد آلت إلى حكم الوهابيين، الذين وصلوا غرباً إلى البحر الأحمر، وشرقاً إلى مشارف الكويت.

كانت العلاقات بين القبائل والمشيخات على النطاق الساحلي الضيق في جنوب الخليج العربي تتسم بالتعقيد؛ إذ كان من الممكن أن تتحول النزاعات الداخلية البسيطة والخلافات المتكررة بين بعض القبائل والشيوخ إلى معارك كبيرة نتيجة للتنافس بين الإمارتين الكبيرتين عمان والبحرين، والعداء بين القبائل الكبيرة والأحلاف وغير ذلك. وفي غضون ذلك لابد من الاهتمام بمواقف شيوخ القبائل البدوية التي تنتقل من مكان إلى آخر بعيداً عن الساحل؛ إذ من شأن دعم هؤلاء الشيوخ أو معارضتهم لهذا الطرف أو ذاك أن يحسم النزاع بين الأطراف المتقاتلة.

ولهذا كان شيوخ السواحل يبحثون في النزاعات الداخلية عن الحماية لأنفسهم بالتحالف مع قبائل بعيدة. وكانت القبائل البدوية التي يتم جرها إلى صراع الحكام على الساحل تملأ صفوف الأطراف المتقاتلة، وتحول المعاركات الصغيرة والبسيطة إلى

معارك حقيقية كبيرة، يمكن أن تصل إلى مواقع بحرية. وفي هذه الظروف المعقدة سعى الوهابيون، بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، لإخضاع جميع العرب إلى سلطتهم.

تشكيل الأحلاف المناوئة للإنكليز:

زاد الإنكليز من تدخلهم السافر في الشؤون الداخلية للقبائل المحلية. واعتمدوا على الخبرة التي اكتسبوها في الهند في ممارسة الاستفزازات وتأليب الإمارات الصغيرة بعضها على بعض، وراحوا كدأبهم يطبقون مبدأ فرق تسد.

بعد أن طرد الإنكليز منافسيهم الفرنسيين من الهند لم يسودوا عليها مباشرة؛ إذ كانت إمارة ميسور في جنوب الهند لا تزال قوية إلى حد ما على الرغم من خوضها حروباً متعبة من عام ١٧٩٠ إلى ١٧٩٢. وكان حاكمها الأمير تيبو سلطان يملك قوة كبيرة، ويستعد لتجديد القتال ضد أعدائه.

وكان هذا الأمير يؤيد إقامة علاقات مع حيدر أباد، ومع عدد من حكام المراتها, وكان ممثلوه يعملون في هذا المضمار في شمال الهند أيضاً. وبذلك بات من الضروري قبل عام ١٧٩٨ قيام حلف واسع مناوئ للمستعمرين الإنكليز يضم أيضاً من الأفغان وفارس[1]. وعندما عقد هذا الحلف انضمت إليه عمان أيضاً بمقتضى اتحاد مناوئ للإنكليز كانت عمان قد عقدته في السابق مع ميسور.

وفي شهر أكتوبر من عام ١٧٩٨ اتبعت بريطانيا تكتيكها المشار إليه سابقاً، وأرسلت وكيلها إلى مسقط. وكانت تعمل في الوقت نفسه على توريط عدد من الإمارات الإقطاعية الهندية في حرب ضد تيبو سلطان. واستطاع الإنكليز القضاء على تيبو سلطان في المدة من فبراير حتى يونيو عام ١٧٩٩ على يد الجنود الهنود بشكل

---

[1]. انظر ميرزا جعفر خان، مرجع سابق، ص ١٢.

أساسي، والقوى قصيرة البصر من الإقطاعيين التي تم إغواؤها بمكاسب إقليمية على حساب ميسور.

بريطانيا تبدأ بفرض سيطرتها على الخليج العربي:

بعد ذلك بدأ الإنكليز يضعون أيديهم شيئاً فشيئاً على الإمارات الصغيرة التي ساعدتهم في الحرب ضد تيبو سلطان. وقد استخدموا هذا التكتيك أيضاً مع أطراف أخرى شاركت في التحالف المناوئ لهم. فقد دفعوا بحكام مسقط ليقدموا ادعاءات إقليمية على حساب فارس، بينما حرضوا الشاه على الاحتلال على حساب أفغانستان، وعلى الحرب ضد روسيا.

عندما توقف المبعوث الإنكليزي مهدي علي خان في عمان في خريف عام ١٧٩٨ كانت مهمته الاستفادة من الوضع المتشكل بعد هزيمة الفرنسيين في أبو قير؛ إذ كان السيد سلطان يؤيد وجود علاقات تجارية مع فرنسا. وعندها تمكن مهدي من عقد معاهدة مع عمان، بعد أن وعد السيد سلطان بالتوسع الإقليمي. وكانت هذه المعاهدة الأولى في سلسلة المعاهدات التي عقدت بين بريطانيا وشيوخ الخليج العربي[1]، والتي عكست سياسة التوسع البريطاني في هذه المنطقة.

ووفقاً لهذه المعاهدة تمكن الإنكليز من إزاحة منافسيهم واحتكار الأسواق العمانية. ذلك أن السيد سلطان تعهد لهم بعدم منح الفرنسيين والهولنديين مستقبلاً أيّ قطعة أرض لإنشاء محطات تجارية على ممتلكاته. كما أظهرت المعاهدة بشكل واضح نزعة الإنكليز المعادية لفارس؛ إذ استجاب السلطان لطلب الإنكليز منحهم الحق

---

[1]. انظر [Aitchison C. U.]، مرجع سابق المجلد العاشر، ص ٥٤- ٥٥.

بإنشاء محطة تجارية، وقلعة عسكرية. بل سمح لهم بوضع عدد غير محدد من الجنود والمدافع في بندر عباس، الذي استأجره من الشاه.

عندما طلب الإنكليز من السيد سلطان السماح لهم بإنشاء هذه القاعدة العسكرية (أي القلعة) أكدوا له أن بإمكانه الاعتماد عليها، إذا لزم الأمر في صراعه مع فارس. وبذلك جعلوه متعلقاً بهم. وعندما وضعوا أولى أقدامهم على الأراضي الفارسية استطاعوا التوغل إلى عمق منطقة الخليج العربي.

لقد شكلت معاهدة عام ١٧٩٨ بداية لاستفزازات إنكليزية لا حصر لها في عمان. وعندما كان الإنكليز يحرضون سلطاناً ومن يخلفه في الحكم على الاستيلاء على الأراضي، كانوا يفرضون عليه سيطرتهم شيئاً فشيئاً بتحويله إلى وسيلة لاعتداءاتهم. وعندما كانوا يعدون حكام عمان بدعم عسكري بأسطول، وقوات مشاة، ومدفعية، كانوا يدفعونهم للاستيلاء على تلك المناطق من الخليج العربي التي تخدم مصالحهم هم أولاً. وتم "بإذن" من حاكم عمان إقامة التحصينات الإنكليزية، وتحويلها إلى قلاع للاستعمار القادم لمنطقة الخليج بأكملها. وعندما كان الإنكليز يجرّون حكام عمان لحروب عدوانية كثيراً ما كانوا يغدرون بهم لإضعافهم وجعلهم بحاجة إليهم وتبعية لهم أكثر فأكثر.

كانت السفن الحربية البريطانية تشترك بصورة منتظمة في حملات السادة (حكام عمان) العدوانية في قصف المدن والمناطق المحصنة. وفي مثل هذه الحملات لم تكن نسبة القوى العمانية والإنكليزية (ونتائجها بالطبع) لصالح العمانيين، وإنما لصالح الإنكليز. وكانت الجزر وجميع المناطق التي يتم احتلالها تؤول [ظاهرياً] إلى حكم العمانيين و[عملياً] إلى الإنكليز الذين يقفون وراءهم. أما العمل على توسيع السيطرة فكان يتم بعدوان إنكليزي.

والواقع أنه كثيراً ما كانت القبائل العربية المقيمة على الساحل الجنوبي وجزر الخليج العربي وخليج عمان تتحد بالمقابل في تحالف مناوئ للإنكليز معتمدة على قوة الوهابيين. وقد استمر الصراع الأنجلو- عماني ضد القبائل المتحالفة طيلة الربع الأول من القرن التاسع عشر، على الرغم من عدم تكافؤ القوى ومن معرفة نتيجة هذا الصراع سلفاً. وحتى نهاية العقد الثاني من ذلك القرن كانت مشيخات الساحل الجنوبي متعلقة تماماً ببريطانيا.

ويمكن القول هنا دون مغالاة إن قمع حركات تحرر القبائل العربية في هذه المناطق تم من قبل الإنكليز بأيدي حكام عمان بالدرجة الأولى وغيرهم ممن تم جرهم من قَبل للسير في ركاب السياسة البريطانية.

ما إن تم عقد المعاهدة العمانية الإنكليزية في عام ١٧٩٨ حتى سارع الإنكليز بتحريض سلطان على القيام بحملة على البصرة لاسترداد دين لوالده أحمد من باشا بغداد. (من المعروف أنه في أثناء محاصرة الفرس البصرة استنجد باشا بغداد بأحمد بن سعيد والد السيد سلطان، وطلب مساعدته بأسطوله مقابل أجر محدد). عند مناقشة ادعاء السيد سلطان في هذا الأمر طلب الباشا المساعدة من المقيم البريطاني. إلا أن هذا الأخير لم يقدم أيّ مساعدة حقيقية. وهذا ما كان يجب توقعه. وكل ما قام به أنه تطوع لأن يكون وسيطاً بين السيد والباشا.

وكان هذا الوضع الذي شكله الإنكليز مفيداً لهم جداً: فقد ضغطوا على الباشا بقوة عمان مما ساعدهم كثيراً على استخدام الأخير بسهولة كبيرة لإظهار تهديد لفارس قبيل وصول مالكولم إليها. كما شكل الإنكليز بؤراً أخرى خطيرة على فارس في الخليج العربي.

عندما توجه مالكولم إلى فارس عام ١٨٠٠ توقف في مسقط عدّة أيام، أصر خلالها على الحصول على تأكيد السيد سلطان على معاهدة عام ١٧٩٨. وبتوقيع السيد سلطان على معاهدة عام ١٨٠٠ أبقى احتمال إنشاء قلعة عسكرية للإنكليز في بندر عباس قائماً. وكان هذا يشكل تهديداً لفارس. إضافة إلى ذلك دفع الإنكليز سلطان إلى شن هجوم على البحرين وخرج، واعدين إياه بدعم عسكري بأسطولهم.

لو تذكرنا الآن أن مالكولم وجد في أثناء مباحثاته مع البلاط في طهران عام ١٨٠٠ أن تنازل فارس عن هذه الجزر إلى الإنكليز، يعد حجر الزاوية في تلك المباحثات لتبين لنا بيد من تمّ توجيه حملة السيد سلطان. ومن الواضح تماماً أنه على مشارف القرن التاسع عشر حاول الإنكليز التشكيك بتبعية تلك المناطق الاستراتيجية الهامة على الخليج العربي كبندر عباس وخرج وغيرها لفارس.

رسخت معاهدة عام ١٨٠٠ الأنجلو عمانية مواقع الإنكليز في عمان. وخلافاً للمعاهدة السابقة تم في هذه المعاهدة إدراج مادة جديدة تمنح الإنكليز الحق في أن يكون لهم مقيم في مسقط. ويجدر بالذكر أنه إلى جانب النزعة المعادية لفارس، كان للإنكليز أهداف أخرى من تحريضهم لسلطان على التوسع الإقليمي على حساب المشيخات المجاورة له، وهي أولاً– صرف انتباه عمان عن أن تكون أحد أعضاء التحالف المناوئ للإنكليز. ثانياً – جس النبض في إمكانية تشكيل تكتل يسير في ركاب السياسة الإنكليزية يضم البحرين، والإحساء، والوهابيين، وعمان، وقبائل الساحل الفارسي.

منيت الحملة التي شنها السيد سلطان على البحرين بتحريض من مالكولم بالإخفاق. ذلك أن الحكام المحليين استنصروا الشاه. وعندما علم سلطان بذلك سارع أيضاً بإجراء مفاوضات مع الشاه. لكنه في الوقت نفسه أنزل قواته في خرج، وعرض

على الشاه أجراً سنوياً مقابل استخدام هذه الجزيرة، كما الحال بالنسبة لميناء بندر عباس. إلا أن الأوضاع الداخلية في فارس لم تكن في هذا الوقت كالأوضاع التي كانت عليه في أثناء حملات الغزو، التي كان يقوم بها الإمام أحمد؛ إذ إنّ الخلافات والتراعات الداخلية التي شهدتها فارس كانت قد انتهت في العقد الأخير من القرن الثامن عشر، وقويت الحكومة المركزية. عدا عن أنه لم تعد هناك اتصالات سرية بين سلطان والإنكليز بشأن فتح علي شاه.

أفشل الموقف الثابت لحكومة الشاه جميع محاولات سلطان الاستيلاء على الجزر، واضطر هذا الأخير للانسحاب والتوقف عن الإقدام على أيّ محاولة للاحتلال. وكان السيد سلطان يدرك تماماً أن دخوله الآن في حرب مع فارس يشكل له خطراً جسيماً. ذلك أن الوهابيين أخذوا في عام ١٨٠٠ يهددون عمان مباشرة، بعد أن انتهوا من إخضاع الساحل الجنوبي للخليج العربي إلى سلطتهم. وسنرى لاحقاً كيف أن الصدامات بين الوهابيين ومجموعات عمانية مختلفة كانت تقع في كل عام تقريباً.

رفض فتح علي شاه بصورة قاطعة جميع مطالب الإنكليز بصدد جزر الخليج العربي حينما جرت مباحثات طهران في عام ١٨٠٠. وعندما أخفق الإنكليز في هذه المرة في تحقيق مرادهم في بلاط الشاه ركزوا جهودهم وزجوا قواهم لاحتلال مواقع على الساحل الجنوبي للخليج العربي. وسددوا أولى ضرباتهم إلى حلف القواسم، الذين استوطنت قبائلهم أراض استراتيجية هامة عند رأس مسندم القريب جداً من الساحل الفارسي. وعندها ردت قبائل حلف القواسم على هذا الاعتداء بمقاومة مشتركة باسلة.

يعد من الصعوبة بمكان تتبع تفاصيل نضال القواسم قبل الحملة التي جردتها بريطانيا ضدهم عام ١٨٠٥. ذلك أن توسع الإنكليز كان يتم، كما سبق أشرنا،

بإخضاع هذه القبائل، ليس لهم إنما لحاكم عمان، الذي يتوارون خلفه. وكان القواسم يخوضون الصراع ضد هذا الأخير بالاشتراك مع الوهابيين. وتعد وثائق المستعمرين أنفسهم؛ أي تقارير الوكلاء البريطانيين الذين عملوا في منطقة الخليج العربي من المراجع القيمة جداً الخاصة بهذه المرحلة.

ولكن مع الأسف وجدت الباحثة صعوبة في الوصول إليها. أما كتب الباحثين الإنكليز وخصوصاً كيلي، الذي استفاد كثيراً من هذه الوثائق، وكان يسترشد بها في كتبه، فلا يمكن الاعتماد عليها وعدها مراجعاً قيمة؛ ذلك أنها كانت متحيزة، وفيها أحياناً تزييف للوقائع، ولكونها أهملت مراحل هامة وجوهرية في العلاقات الإنكليزية القبلية، أو عدها غير ذات أهمية. وفي الوقت نفسه من الصعب نقد الوقائع المسرودة في كتب المؤرخين، ككتاب كيلي مثلاً لعدم توافر مصادر أخرى للمعلومات.

انضمت إلى تحالف القبائل الذي تشكل ضد عمان والإنكليز المتوارين خلفها، أحلاف قبلية من القواسم، وآل خليفة، وآل الصباح، تحت زعامة الوهابيين[1]. وكانت عمليات هذا التحالف منذ عام ١٨٠٠ حتى عام ١٨٠٣ ناجحة إلى درجة أن السيد سلطان اضطر لأن يتنازل للوهابيين عن واحة البريمي، التي تغطي المشارف المؤدية إلى عمان من جهة الغرب. كما وافق على أن يدفع لهم الإتاوة السنوية.

---

[1]. تشير الباحثة هنا إلى أن آل الصباح دخلوا في تحالف بزعامة الوهابيين، في حين ذكرت آنفاً أن ظهور الوهابيين على مسرح الأحداث التاريخية حتَّم على قبيلة آل الصباح البحث عن حماية لنفسها لدى عمال بغداد العثمانيين! كما أنه من المشكوك فيه أن يكون آل الصباح قد دخلوا في تحالف مع الوهابيين والذي يعزز هذا القول أن جمال زكريا قاسم يقول: "على الرغم من أن السعوديين استمروا في مواصلة عملياتهم الهجومية ضد الكويت إلا أن تلك الهجمات لم تؤد إلى نتيجة إيجابية من حيث إخضاع الإمارة لنفوذهم. انظر جمال ذكريا قاسم، مرجع سابق، ص ٤٠٥؛ أما أبو حاكمة فيقول: "ولقد استمر نجم الكويت في الشمال في الصعود طوال العشر سنوات الأخيرة. فإنهم قد استمروا مستقلين، دون أن يخضعوا للوهابيين" انظر. أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٣٦..................المترجم.

بعد مقتل عبد العزيز بن محمد بن سعود في شهر أكتوبر من عام ١٨٠٣ حاول السيد سلطان الانضمام إلى قوات باشاوات بغداد وسوريا التي قرر السلطان العثماني زجها في المعركة ضد الوهابيين مستغلاً الصراع على الحكم الذي احتدم بعد مقتل عبد العزيز. إلا أنه لم يتم تنفيذ هذه الحملة، وقتل السيد سلطان في أثناء عودته من البصرة في اشتباك وقع مع "قطاع طرق مجهولين" عند رأس مسندم في شهر نوفمبر عام ١٨٠٤[١]. وليس من المستبعد أن يكون حاكم عمان قد قتل على يد القواسم.

لقد كشف موت سلطان مكائد الإنكليز، الذين كانوا يقفون وراءه. فقد طلبت السلطات البريطانية في الهند من ديفيد سيتون (**David Seton**)، المقيم البريطاني في الخليج العربي "تقديم الدعم والمساعدة" لأحد أبناء سلطان في اعتلاء العرش؛ لتضع يدها بعد ذلك على التجارة (ونحن نضيف على السياسة أيضاً) في هذه المنطقة. وصل سيتون إلى مسقط في شهر مايو عام ١٨٠٥ وسارع لترشيح الشخص الذي جاء دوره لإتمام اللعبة السياسية الإنكليزية. وقد وقع اختياره على سعيد بن سلطان. إلا أن الإنكليز الذين راهنوا على سعيد انتظروا سنتين تقريباً قبل أن يعترفوا به رسمياً زعيماً على عمان.

وقد استغل الإنكليز هذين العاملين لتحويله إلى أداة طيعة في أيديهم. قبل كل شيء دفع سيتون بسعيد لشن هجوم على القواسم. وترأس بنفسه هذه الحملة العسكرية. ومما تجدر الإشارة إليه أن وضع سعيد لم يكن مستقراً بعد في عمان؛ إذ كان ينازعه على الحكم أقرباء له: عمه، وأخوه سالم، وابن عمه بدر[٢]. كما أن تهديد

---

١. انظر **Kelly J.B.**، مرجع سابق، ص ١٠٥.

٢. كان بدر يعتمد في أعماله العسكرية على قوة الإنكليز "، انظر **Persian Gazetteer.**، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٨٢٧، ١٩٢٥، ١٩٢٦.

الوهابيين لعمان من الغرب كان لا يزال قائماً. ولهذا لم يكن سعيد يجرؤ على تصعيد الموقف بتنظيم حملة على سواحل فارس لولا تحريض الإنكليز له.

في الواقع كانت القوى العمانية في أواخر عام ١٨٠٤ وبداية عام ١٨٠٥ منشغلة بشؤونها الداخلية، في حين كانت القوات الفارسية منشغلة بأعمال القتال في الشمال، الأمر الذي شكل ظرفاً مناسباً استغله القواسم واتحدوا مع قبائل من لنجة وحلف قبائل بني معن المقيمة في جزيرتي قشم وهرمز.

وبتضافر الجهود تمكنت هذه القبائل من طرد الحكام العمانيين الاسميين ومن معهم من الوكلاء الإنكليز، واستولت على هاتين الجزيرتين. وبعد أن أصبح القواسم أسياداً على مضيق هرمز ضربوا مع حلفائهم حصاراً على ميناب وبندر عباس. وقد تجلى نضال القبائل المحلية ضد الإنكليز كما في السابق بشن الهجمات الجريئة ضد أسطول المستعمرين.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

والواقع أن الإنكليز كانوا في عام ١٧٧٨ يدفعون الفدية لاستعادة سفنهم، التي يتم الاستيلاء عليها. أما في أوائل القرن التاسع عشر فقد أصبحوا أكثر ثقة بأنفسهم، وأخذوا يفرضون شروطهم على السكان المحليين.

عندما وصل سيتون إلى أسوار بندر عباس أمر ببدء قصف التحصينات فيها. وبعد مقاومة ضارية اضطر المدافعون عنها للاستسلام في الثامن من يونيو عام ١٨٠٥. وتعرضت للمصير نفسه جزيرة قشم أيضاً، التي وسع الإنكليز فيها من بناء مواقعهم الاستنادية "بموافقة" سعيد.

وعندما جابه الإنكليز مقاومة ضارية من قبل القواسم تأكد لهم استحالة تحقيق هدفهم في القريب العاجل بالطرق العسكرية فقط، على الرغم من تفوقهم الكبير جداً

بالأسلحة. ولهذا لجؤوا إلى مناورة الالتفاف (تدبير المكائد والدسائس)، وقرروا تقويض قوة هذا التحالف القبلي من الداخل بزيادة تدخلهم في الخلافات التي كثيراً ما كانت تقع بين القبائل.

في أواخر عام ١٨٠٥ حل حسين بن علي في زعامة القواسم محل ابن عمه الشيخ الأعلى لحلف القواسم سلطان بن صقر، الذي لجأ بعد أن تم خلعه إلى مسقط، حيث المقيمية البريطانية[١].

وفي هذا الوقت ظهر المقيم البريطاني سيتون على رأس سفنه، وأملى على الشيخ سلطان بن صقر الذي أعيد شيخاً أعلى على القواسم اتفاقية يتعهد فيها بعدم التعرض للسفن البريطانية. والذي علم عن هذه الاتفاقية أن الإنكليز تطرقوا فيها لأول مرة إلى مسألة القرصنة في الخليج العربي. وبالطبع كان لا بد من أن تكون صياغتها نموذجية بالنسبة لنظام الاستعمار الإنكليزي. فقد جاء فيها أنه إذا أراد القواسم الخروج على هذه الاتفاقية وتكرار الهجوم على سفن الإنكليز فإنه يتعين على الشيخ الأعلى إنذار الإنكليز بذلك سلفاً(قبل ثلاثة أشهر). وإلا فإن من حق الإنكليز عد هذا التصرف حرباً غير معلنة، و"قرصنة"[٢].

في الواقع يعد هذا إقراراً من الإنكليز موقع بخط يدهم على أن نضال قبائل الخليج العربي لا يمت بصلة إلى القرصنة البحرية، وأن انتفاضتهم ما هي سوى حركة تحرر وطني ضد المستعمرين. وتدل بعض بنود الاتفاقية بشكل واضح جداً على جوهر

---

١. انظر Kaye J. W.، مرجع سابق، مج ٢، ص ٣٩٨. يوجد خلاف حول تاريخ خلع الشيخ سلطان بن صقر وتعيين حسين بن علي في زعامة القواسم، فطائفة تعيد ذلك إلى عام ١٨٠٨، وطائفة أخرى تعيده إلى عام ١٨٠٩. ولكن لا يوجد من يقول أن ذلك حدث في عام ١٨٠٥؛ انظر صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي (١٧٤٧-١٨٢٠)، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٦، ص ١٤٩ وما بعدها.................. المترجم

٢. انظر Aitchison C. U.، مرجع سابق، المجلد ١٠، والملاحق في هذا الكتاب.

سياسة الاستعمار الإنكليزية في الخليج العربي. وقد تجلت حقيقة هذه السياسة العدوانية في مطلب لصوصي، وهو أن تدفع قبائل حلف القواسم للإنكليز عشرات الألوف من الدولارات، ومطلب آخر احتلالي، هو إقامة تحصينات إنكليزية في رأس الخيمة[1].

يظهر من أعمال الإنكليز في الخليج العربي بعد حملة عام ١٨٠٥-١٨٠٦ مباشرة على أنهم بدأوا تنفيذ خطة فرض سيطرتهم على المنطقة بأكملها من خلال عمليه عسكرية ضد قبائل القواسم. وفي هذه المدة زادوا من مكائدهم ودسائسهم في بغداد والبصرة، ووسعوا نشاط استطلاعهم في جنوب فارس، ومهدوا السبيل للاستيلاء على بندر عباس، وقشم، ورأس الخيمة وغيرها من مناطق الخليج.

وفي الوقت نفسه زادوا من وجودهم العسكري في المنطقة؛ إذ لم تغادر جميع السفن البريطانية التي شاركت في حملة عام ١٨٠٥-١٨٠٦ مياه الخليج بعد عقد "الاتفاقية". وفي عام ١٨٠٧ انضمت إلى هذه السفن عمارة حربية قوامها سبعة طرادات حربية قدمت من الهند[2] لاستعراض القوة أمام فارس. عدا عن أن سفن حملة مالكولم بقيت في مياه الخليج من عام ١٨٠٨ إلى عام ١٨١٠. ومما لاشك فيه أن هدف الإنكليز من إخضاع قبائل القواسم إلى سلطتهم لم يكن له أيّ علاقة بما يسمى "مكافحة القرصنة"، إنما كان الهدف الاستيلاء على مناطق استراتيجية هامة، كالجزر والسواحل عند المدخل إلى الخليج العربي.

بعد حملة عام ١٨٠٥- ١٨٠٦ تتابعت الحملات العسكرية الإنكليزية التي جلبت الموت والدمار للسكان المحليين على امتداد ساحل الخليج العربي. وهنا تجدر

---

١. انظر Aitchison C. U.، مرجع سابق، المجلد ١٠.

٢. انظر Wilson A. T.، مرجع سابق ص ٢٠٥؛ وانظر Miles S.p.، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣١٢.

الإشارة إلى أن المؤرخين الإنكليز لم يوردوا الوقائع التاريخية بشكلها الصحيح في مراجعهم التاريخية وزيفوا الطابع الإحتلالي للحملات التي قامت بها بريطانيا في الأعوام: ١٨٠٥- ١٨٠٦ و١٨٠٨-١٨٠٩ و١٨١٩-١٨٢٠.

وقد بات واضحاً للجميع أسباب تزييف الوقائع. وهناك الكثير من المؤلفين من دول أخرى استمروا على مدى قرن ونصف بترديد افتراءات المستعمرين الدعائية وأكاذيبهم. فمنهم من كان يفعل ذلك بحكم نزعته، ومنهم بسبب قلة الاطلاع ونقص المعلومات لديه. بل يوجد بين المؤلفين من لم يعر هذه الحملات الأهمية التي تستحقها.

وكانت النتيجة أنه ساد رأي واسع، ولم يزل حتى الآن، وهو أن سياسة بريطانيا في الخليج العربي اقتصرت في بداية القرن التاسع عشر على إدخال النظام وفرض الشرعية والعدالة بين قبائل المنطقة[١].

والواقع أنه لم تتم في السابق ولا في الآونة الأخيرة إثارة قضية العدوان الإنكليزي على الخليج العربي بحجة ما يسمى مكافحة "القرصنة". وحسب المراجع التي تم التوصل إليها يمكن الحكم على أن المؤرخ الإيراني "مانشور غورغاني" هو أول من تطرق إلى مسألة التدخل البريطاني في شؤون الخليج العربي.

وقد ذكر في كتابه أن الإنكليز كانوا ينتهجون باستمرار "سياسة التعنت" في هذه المنطقة منذ عام ١٨٠٠. وكانوا يتدخلون في شؤون الخليج العربي بشكل سمج وغير قانوني مما كان يزعج العرب. "عندما وجد العرب أن الإنكليز يتدخلون بشكل غير مسوّغ في شؤون الخليج "العربي"، ويسعون للسيطرة على مياهه، التي لم يكن لهم

---

١. يأخذ بهذا الرأي على سبيل المثال كيرزون، انظر **Curzon G.**، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٤٤٩- ٤٥٠.

الحق حتى في دخولها، أخذوا يشنون الهجمات على سفنهم. وعندها عد الإنكليز هذه الهجمات قرصنة، وأطلقوا على العرب المسلحين، الذين رفضوا التدخل في شؤونهم الخاصة اسم "القراصنة"[١].

ولقد تناول غورغاني هذه المسألة بصورة صحيحة ولكن ليس بالشكل الجدي والحاد كما ينبغي. فمثلاً هو لم يتحدث عن التزييف المتعمد للوقائع التاريخية؛ أي كان مثله بذلك مثل المستعمرين أنفسهم، وغيرهم من المؤرخين البرجوازيين؛ كما أنه لم يسم كفاح السكان المحليين العادل بالنضال التحرري الوطني، وغير ذلك.

وبهذا الصدد نود أن نستذكر أساليب نضال الشعوب الأخرى في القرن التاسع عشر ضد هؤلاء المستعمرين أنفسهم. لقد ذكر آنجلس في كتاب فارس والصين أن السكان "كانوا يصعدون إلى السفن التجارية مخفين أسلحتهم، وفي أثناء الإبحار كانوا يستلون سلاحهم الأبيض ويعملون الذبح بقادة السفن والركاب الأوربيين، ويستولون عليها. وكانوا يسرقون ويقتلون كل من تصل لهم أيديهم من الأوربيين.

وقال أيضاً: "حتى الحمالين الذين يهاجرون إلى دول أجنبية كانوا يثيرون الشغب، ويشعلون الفتن في كل سفينة تشق طريقها إلى جهات أجنبية. وكانوا يقاتلون من أجل الاستيلاء عليها، ويفضلون الغرق معها أو الموت بلهيب نيران تأكلها على أن يستسلموا. لقد أدت سياسة القرصنة التي انتهجتها الحكومة البريطانية إلى اندلاع انتفاضة عامة شارك فيها جميع الصينيون ضد كل غريب أجنبي. وهذه السياسة هي التي أسبغت على هذه الانتفاضة صفة حرب إبادة"[٢].

---

١. انظر م.غورغاني، مرجع سابق، ص ٥٧.

٢. انظر آنجلس، مرجع سابق، ص ٢٢١– ٢٢٢.

من المعروف أن الإنكليز يسمون مثل هذا النضال الشعبي تحديداً بالقرصنة. فمثلاً دعت صحيفة ديلي تلغراف "إلى شنق أي جنرال صيني يتم القبض عليه على صواري السفينة الحربية الإنكليزية، والنظر إليه على أنه قرصان وقاتل".

في بداية القرن التاسع عشر شن الإنكليز حرب إبادة في منطقة الخليج العربي. ويعترف بكنجهام (Buckingham)، أحد أعضاء الحملة العسكرية البريطانية عام ١٨٠٨- ١٨٠٩ صراحة بأنه لم يكن بالإمكان إنجاز مهام الحملة ضد القواسم كاملة دون إسكات الناس بإبادتهم جميعاً[١].

أما فيما يتعلق بالقرصنة وما شابهها، فمن المعروف منذ القدم أنه يتم في بريطانيا تحديداً، تمجيد أسماء القراصنة على أهم أبطال. وهناك العديد من العائلات، التي لا يزال اسمها يذكر حتى الآن، قامت بجمع الأموال من "حملات القرصنة".

وقد كان ملوك بريطانيا يولون رعايتهم للقرصنة، واللصوصية، والاعتداءات وغير ذلك من القرصنة البحرية الرسمية وشبه الرسمية. وعلى الرغم من أن عصر ازدهار القرصنة الإنكليزية قد انقضى قبل منتصف القرن التاسع عشر، إلا أن السلطات البريطانية لم تغض النظر فيما بعد عن الكسب بهذه الطريقة. وشجعت على القيام بجميع أشكال الاعتداء على السفن التجارية الأجنبية.

فمثلاً في شهر ديسمبر من عام ١٨١٤ أرسل القنصل الروسي في لندن "دوباتشيفسكي" إلى حكومته في بطرسبورغ يعلمها بأن جزائريين استولوا على سفينة تجارية روسية محملة بأسماك مجففة، وأنه بعد تحرير السفينة من الجزائريين أمر الأميرال

---

١. انظر Buckingham، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٢٤٣- ٢٤٤.

الإنكليزي "فليمينغ" بإعادة هذه السفينة إلى الجزائريين[1]. تجدر الإشارة إلى أن هذه الحادثة وقعت في العام نفسه الذي كان الإنكليز يدّعون فيه بحماس شديد إلى القضاء على القرصنة في الخليج العربي.

يقدم الباحثون الإنكليز، الذين يبدون "غضبهم النبيل" من الأساليب الوحشية التي يمارسها الأهالي المحليون في مقاومتهم، حسابات سياسية غير صحيحة عندما يتجاهلون الاستيلاء سراً على الأراضي الاستراتيجية الهامة في الشرق الأوسط مع الحديث عن مكافحة القرصنة. ومن أجل ذلك لا يأنف الإنكليز من خوض الحرب تحت العلم البريطاني يداً بيد مع الرجل الذي بث الرعب في الخليج العربي، القرصان المشهور رحمة بن جابر، والتوجه لمحاباة الوهابيين وغير ذلك.

ومما يؤسف له أن المؤرخين الإيرانيين قل ما تحدثوا عن الأوضاع في الخليج العربي، في حين كرسوا الكثير من صفحات كتبهم للحديث بإسهاب عن أخبار حياة البلاط. كما يصعب الحصول على معلومات عن القرصنة في المصادر والمراجع الإنكليزية التي يمكن الوصول إليها.

ومع ذلك يمكن بموازنة المعلومات المتوافرة الاستنتاج بأن ما يسمى بهجمات القراصنة في الخليج العربي لم تكن لها نزعات معادية للأوربيين بقدر المعاداة للإنكليز تحديداً. فمثلاً يقول بكنجهام في إشارة إلى إحدى الحوادث: "حين استولى القراصنة على السفينة كان قبطانها يحمد ربه لأن سكان الخليج العربي يعرفون أنه فرنسي؛ إذ لم يكن مستبعداً أن يقوم السكان بذبح أي كان إذا ما ظنوا أنه إنكليزي"[2]. في حين

---

[1]. انظر أرشيف سياسة روسيا الخارجية، الأرشيف الرئيسي، أسطول وزارة الخارجية، ١١- ٣٤، الاضبارة ١، الورقة ٤١/أ.

[2]. انظر Buckingham،مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٦٦.

كان تعامل الإنكليز مع الإفريقيين (الاسم الذي كانوا يطلقونه على القراصنة) أفضل. مع أن الإفريقيين شاركوا في الدفاع عن رأس الخيمة[١].

ويشير كيلي أيضاً إلى طبيعة نضال القبائل المحلية المناوئة للإنكليز. لكنه يحاول أن يرد ذلك لدوافع دينية. ويتسائل ما الذي يميز هجمات القبائل العربية على السفن البريطانية عام ١٨٠٤– ١٨٠٥ عن الأعمال الإنكليزية في المدة السابقة. ويجيب بنفسه عن السؤال بأن "هذه الهجمات تتسم بالتعصب الديني"، ويضيف "حتى وإن كان من المشكوك فيه أن تنفيذها كان يتم بأمر من سعود" (يقصد هنا الوهابيين). وهو يرى أن الترعة القتالية الفطرية لدى القواسم ازدادت باتباعهم للمذهب الوهابي[٢].

ولم يجرؤ على رد السبب في اشتداد الروح القتالية لدى السكان إلى السياسة الاستعمارية والعدوانية التي انتهجها الإنكليز، والتي جعلت سكان الخليج العربي يهبون للنضال، ولا سيما على مشارف القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حين تمادى الإنكليز في تدبير مكائدهم، وتدخلهم في الشؤون الداخلية للمشيخات، وتعددت حملاتهم العسكرية التي تميزت بطبيعة حرب إبادة.

وقد اضطر كيلي للاعتراف بأن القبائل المحلية ما كانت لتكتسب شهرة القرصنة لولا "الصدامات الطويلة مع حكام مسقط الأكثر ثراء"، الذين كان الإنكليز يقفون وراء ظهورهم كما هو معروف[٣].

---

١. المرجع نفسه، ص ٣٤٨.

٢. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٠٦.

٣. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٩– ٢٠.

يرى أحد الباحثين الإنكليز ممن عاصر الأحداث أن صراع السكان المحليين مع المستعمرين لم يكن من أجل السلب والنهب، وإنما كان من أجل إظهار عدائهم للمستعمر سواء كان برتغالياً أو إنكليزياً[1].

ورد في الفصل الثاني من هذا الكتاب أن أعمال السلب والنهب والإرهاب التي نفذها البرتغاليون في المناطق الساحلية وفي جزر الخليج العربي كانت السبب في اندفاع السكان المحليين لمقاومتهم في القرن السادس عشر. وبالطبع أطلق البرتغاليون على أعمال المقاومة اسم القرصنة. ويرى الباحثون الإنكليز أن سبب الصراع ضد البرتغاليين يكمن في نظام البرتغال الاستعماري، الذي اعتمد على الظلم والاستبداد. ولكن عندما انتفض السكان لمقاومة الإنكليز عجز هؤلاء عن تقييم الوقائع بشكل موضوعي وأدرجوا مقاومة السكان تحت مسمى "القرصنة".

ويتبين من الموازنة بين أعمال البرتغاليين والإنكليز في هذه المنطقة التشابه الغريب بينهما. من ذلك: ممارسة الضغط العسكري، وإقامة النقاط المحصنة، وجهاز المقيمين والوكلاء وغير ذلك. الفرق الوحيد الذي يمكن تمييزه بين الطرق التي اتبعها البرتغاليون في القرن السادس عشر وطرق الإنكليز في القرن التاسع عشر أن البرتغاليين انتهجوا سياستهم بشكل علني وسافر في حين أخفى الإنكليز سياستهم بالرياء والنفاق، وبادعائهم بأنهم يدافعون عن الهند، وبالاحتلال الودي، والدفاع عن هيبتهم وسمعتهم، وتقديم المساعدة لهذا الشيخ أو ذاك، والاهتمام بسلامة التجارة، ومكافحة القرصنة وتجارة الرقيق، وغير ذلك.

[1] Heude W. A Voyage up the Persian Gulf a Journey Overland from India to England in ١٨١٧. L., ١٨١٩. P ١٣٧.

عاد الإنكليز إلى أساليبهم الاستفزازية مع توجه مالكولم بحملة على فارس عام ١٨٠٨، وعند احتلال مياه الخليج (١٨٠٨- ١٨١٠). ومن أجل تحقيق أهدافهم كانوا أولاً: يستخدمون قوى الشيوخ للضغط على فارس من جهة الخليج العربي؛ وقد أدخلوا إلى الموانئ الفارسية إضافة إلى السفن التابعة للأسطول الأنجلو- هندي سفن الحكام المحليين الذين هم في تبعية للإنكليز.

وثانياً: عندما توجه مالكولم إلى فارس توقف في عمان لبضعة أيام كما فعل في عام ١٨٠٠. وقد تزامن ذلك مرة أخرى مع هجوم حاكم عمان على شيوخ الساحل الجنوبي للخليج العربي. ويعد هذا التزامن شاهداً إضافياً على أن السيد سعيد كان يعمل بإشارة من الإنكليز[١].

وفي شهر مايو عام ١٨٠٨ استولى على خورفكان التي تطل على المشارف المؤدية إلى مضيق هرمز. وتكفي نظرة سريعة على الخريطة لندرك أنه بعد أن أسس الإنكليز قاعدة لهم في خورفكان إضافة إلى القلعة في رأس الخيمة وضعوا أيديهم على مفتاح الخليج العربي في منتصف عام ١٨٠٨.

إلا أن السيد سعيد لم يتمكن من الثبات في خورفكان؛ إذ تمكنت قبائل القواسم التي قدمت من رأس الخيمة من طرده منها، وكذلك مهاجمته. وعندما كان القواسم يخوضون معارك برية ضد العمانيين كانوا يتلقون الدعم من الوهابيين. أما في العمليات البحرية فكان الدعم يأتيهم من سكان شناص، وصحار، ومن مدن أخرى. ولم يكن مستبعداً أن تقف إلى جانب القواسم القوات الفارسية أيضاً. فقد ذكر جاردان أن فتح علي شاه أقام علاقة مع الأمير الوهابي "سعود".

---

١. يرى آدميات أن حاكم عمان كان حتى هذا الوقت ممن يتمتعون بالحماية الإنكليزية، وأنه الحاكم العربي الوحيد في هذه المنطقة، الذي تتم السيطرة على سياسته. انظر **Adamiyat F.**، مرجع سابق، ص ٦٠.

فرض القواسم وحلفاؤهم حصاراً على مضيق هرمز، ومنعوا أيّ سفينة عمانية – إنكليزية من الدخول إليه. ولم تستطع أيّ سفينة الدخول إلى الخليج بمفردها، باستثناء الفرقاطات الإنكليزية ذات المدافع الثلاثين أو الخمسين، التي كان من الصعب أخذها في المصادمة[1].

في صيف عام ١٨٠٨هاجم القواسم الطرادات مورنينجتون (**Mornington**) ذات الـ٢٤مدفعاً، وتايكنماوث (**Teignmouth**) (١٨ مدفعاً)، وفيوري (**Fury**). وفي شهر أكتوبر سقطت في يدهم السفينة سيلف (**Syiph**)، وهي إحدى سفن جونز. وكانت مبحرة بعيدة عن الرتل، وكان على متنها سكرتير جونز. وبعد ثلاثة أيام شن القواسم هجوماً على الطراد نوتيلوس.

بعد سلسلة من الهزائم التي ألحقها الوهابيون بسعيد في البر وجد هذا الأخير نفسه في وضع حرج فاستنصر الإنكليز، الذين كانوا يستفزونه لمحاربتهم. إلا أن هؤلاء تخلوا عنه في هذه اللحظة الحرجة، ولم يقدموا له المساعدة، مما جعله يطلبها من فارس. إلا أن قوات الأخيرة كانت منشغلة في الشمال، إضافة إلى أن بريطانيا كانت في هذا الوقت تهدد فارس من الجنوب، كما هو معروف.

ولهذا لم يستطع الشاه أو والي فارس تخصيص قوات للعمل في عمان. بل إنّ الشاه كان عازماً على الوقوف إلى جانب حلف قبائل القواسم الذين توجهوا إلى مسقط. وبذلك أخفق سعيد في استمالة قبائل الخليج العربي إلى صفه[2]. وعندها حاول

---

[1]. بلغ العدد الكلي لسفن القواسم في عام ١٨٠٨ تسعمائة سفينة، إلا أن عدد سفنهم الكبيرة لم يكن يتجاوز ٦٣ سفينة.

[2]. انظر **Miles S. P.**، مرجع سابق، المجلد ٢، ص ٣١٦.

الدخول في التسوية والاتفاق مع زعيم الوهابيين سعود. إلا إنّ هذا الأخير اشترط عليه من أجل البدء في المباحثات الانضمام إلى التحالف المناوئ للإنكليز[١].

والواقع أن خوف الإنكليز من ذلك هو ما كان يجبرهم أحياناً على الوقوف إلى جانب سعيد، وليس لأسباب أخلاقية كما يدعي الباحثون البرجوازيون. وكان الإنكليز يقومون بمناورات بين الفئات المتنازعة في الخليج العربي، ويعملون كل ما في وسعهم لإضعاف جميع الحكام دون استثناء، وتعزيز مواقعهم. وكثيرا ما غدروا بسعيد بعد أن استغلوا جهوده لمنفعتهم الخاصة، وكانوا يهتمون ببقاء سلطته في حال من عدم الاستقرار، وإضعافه، وجعله في تبعية دائمة لبريطانيا.

وفي الوقت نفسه لم يكن القضاء على سلطة سعيد ضمن مخططاهم في تلك اللحظة؛ إذ إنّ ذلك يعني، حسب مفهومهم، تقوية مواقع الوهابيين في البر والقواسم في البحر. إضافة إلى أن ذلك سيهدد مواقعهم أنفسهم سواء في عمان أو على سواحل الخليج العربي بعد أن تمكنوا من الاستقرار، وهم متوارون خلف ظهور الجنود والموظفين العمانيين. وهذا ما يتضح من تعليمات مينتو(**Minto**)، الحاكم العام للهند حول أهداف السياسة البريطانية في تلك الأشهر.

عندما توجهت الحملة العسكرية البريطانية إلى الخليج العربي كانت مهمتها القضاء على مقاومة قبائل القواسم، وتأمين "مجال حيوي" لسعيد[٢]. وعبارة "مجال حيوي" تدل بحد ذاهّا على العدوان؛ إذ إن تأمين هذا المجال لا يتم إلا بسلبه من

---

١. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١١٥.
عندما كان سعيد يعمل بأوامر من الإنكليز لم يكن يتفادى بذلك مصير بقية الشيوخ، وفي الوقت نفسه كان يضعف من قوة مقاومة الاستعمار. وكانت القوة الوحيدة القادرة على مواجهة الإنكليز اتحاد قوى جميع قبائل المنطقة.

٢. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١١٥.

الشعوب الأخرى. وكان مينتو يقصد بذلك بشكل خاص نزع الأراضي الحدودية مع عمان من قبائل حلف القواسم، وإخضاع القبائل العربية إلى سعيد، الذي فقد قواه لدرجة كبيرة في السنوات الأخيرة. وهذا يعني عملياً جعلها تحت السلطة الإنكليزية.

ضمت الحملة التي توجهت في عام ١٨٠٩ ضد القبائل التي تقطن ساحل الشمال ١٥ سفينة تحمل على متنها مشاة البحرية والمدفعية[١]. وفي الثاني عشر من نوفمبر بدأ الإنكليز بقصف تحصينات رأس الخيمة من البحر. وفي اليوم التالي بدأ القصف من البر أيضاً. وقد أشار الوكلاء الإنكليز في تقاريرهم إلى أن تفوق الإنكليز بالعدد والعتاد لم يمنع القواسم من التصدي لهم ومقاومتهم بعناد.

ومما قالوه في ذلك: إنّ القواسم "حولوا كل بيت في رأس الخيمة إلى حصن"[٢]. ولهذا لم يستطع المهاجمون اقتحام المدينة والاستيلاء عليها إلا بعد أن أشعلوا فيها النيران من جميع الأطراف. ووسط لهيب النيران المستعرة، ودماء السكان النازفة أخذ المحتلون ينهبون كل ما تصل إليه أيديهم. وعندما علم الإنكليز باقتراب الوهابيين من رأس الخيمة لنجدتها تلقوا أمراً بالانسحاب منها فوراً. وقد أسف الضباط كثيراً على "إيقاف عملهم قبل الأوان"[٣]. عندما صعد الإنكليز إلى سفنهم خلفوا وراءهم مدينة مدمرة عن بكرة أبيها، والنيران تلتهم السفن المحلية في المراسي. بهذا الشكل تم إخماد مقاومة القواسم في هذه المنطقة.

لقد كان القصف والإحراق والسلب والنهب وقتل السكان الآمنين من الأعمال التي مارسها الإنكليز على امتداد ساحلي الخليج. بعد ذلك توجهت الحملة البريطانية

---

١. انظر **Buckingham**، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٢٣٣- ٢٣٤.

٢. من أقوال كيلي مستنداً إلى مواد "مكتب الهند". انظر **Kelli J. B.**، مرجع سابق، ص ١١٨.

٣. انظر **Buckingham**، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٢٣٦- ٢٣٧.

من رأس الخيمة إلى لنجة ولافت ومغو، ثم إلى الشارقة، وجزيرة الحمـــرا، والـــرمس، وخورفكان. وقد صمد السكان المحليون في وجه الحملة وقاوموها مقاومة عنيفة. ومن مشاهد المقاومة أن سكان لافت، الميناء الواقع في جزيرة قشم، تركوا المهاجمين يقتربون منهم إلى أن وصلوا إلى مرمى بنادقهم. وحينها أخذوا يمطرونهم بوابل من الطلقات[1].

كما دافع سكان شناص أيضاً دفاعاً مستميتاً. ومما ذكره أحد شهود العيان حول ذلك قوله: " عندما كانت الجدران متداعية والتحصينات مهددة بالانهيار كان السكان يدافعون بعناد ويرفضون الاستسلام، وكانوا يسارعون لالتقاط القنابل والقذائف التي نرميهم بها قبل أن تنفجر لإعادة رميها علينا[2]. إلا أن قوة المدافعين كانـــت ضـــعيفة جداً، وقد انهارت أمام قوة المهاجمين الهائلة، مما اضطر سكان المدن التي دمرتها الحملـــة البريطانية إلى التروح إلى عمق البلاد.

وبحجة إعادة جزيرة قشم إلى سلطة حاكم عمان استولى الإنكليز عليها وبنـــوا فيها فيما بعد منطقة محصنة لهم. وفي الوقت نفسه كان الإنكليز يراقبون من ســـفنهم الخليج ويلتقطـــون لـــه الـــصور، ويـــضعون المخططـــات والخـــرائط الجيوديـــسية والأوقيانوغرافية، ويبحثون عن موانئ جيدة، وأماكن مناسبة لإنشاء المستودعات وبناء القواعد ونقاط الاستناد[3].

وبتشجيع من الإنكليز بدأ سعيد في صيف عام ١٨١٠ هجوماً على البحـــرين والزبارة. الأمر الذي زاد من توتر علاقاته مع الوهابيين الذين كانت هذه الأرض تتبع

---

1. انظر **Buckingham**، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٢٣٩– ٢٤٣.
2. انظر **Heude W. A.**، مرجع سابق، ص ٣٩. وللاطلاع على الوقائع البطولية للمدافعين عن شناص انظر **Morier J. A.**، مرجع سابق، ص ٣٧٣.
3. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٢١.

لهم آنذاك. وحتى تلك اللحظة كان الإنكليز قد حققوا أهدافهم الأساسية وهي إرهاب الناس من جهة، وتثبيت أقدامهم في جزيرة قشم من جهة ثانية. وعينوا مقيماً سرياً في رأس الخيمة. وقد بدا أن الإنكليز لم يعودوا بحاجة إلى السيد سعيد؛ إذ عندما احتشدت القوات الوهابية لتوجيه الضربة الرئيسة إليه خذلوه وقذفوا به إلى مصير مجهول. ولم تكن استغاثته بهم مجدية عندما أخذ يذكرهم بأن مشاركته لهم في الحملة الأخيرة هو "ما ورطه في نزاع مع الوهابيين، الذين كانت تربطهم به علاقات سلام طيبة"[١]. لقد "وجدت الحكومة العظمى أنه من غير الممكن تقديم أيّ مساعدة له"[٢].

وفي أغسطس عام ١٨١٠ أرسل له الحاكم العام للهند، "مينتو" يخبره بأن الحكومة البريطانية "لم تعد تهتم بالمماحكات والخلافات التي تقع بينه وبين الوهابيين". واقترح عليه إبرام معاهدة صلح معهم، والقبول بشروطهم. "إذا كان في تلك الشروط ما يتفق مع عزة سلطنته واستقلاله"[٣]. وقد اضطر سعيد لالتماس المساعدة من حاكم فارس بمفرزة من قوات ولاية فارس. وعندها خصص له الشاه ١٥٠٠ جندي فارسي. إلا أنه لم يكن بإمكان هؤلاء الأخيرين عمل شيء سوى تأخير هزيمة سعيد لبعض الوقت. وحتى نهاية عام ١٨١٠ وجد سعيد نفسه مرغماً على عقد معاهدة سلام مع الوهابيين، تعهد فيها بدفع ما يسمى تعويضات حرب، والكف عن محاربة القواسم.

والواقع أن اقتراح مينتو عقد معاهدة سلام بين سعيد والوهابيين لم يكن سوى لعبة يلعبها الإنكليز أو مكيدة يدبرونها؛ إذ إنّ هؤلاء الإنكليز لا يروق لهم بالطبع إحلال السلام في هذه المنطقة. ولهذا لم يمض على عودة مالكولم من الخليج إلى الهند

١. انظر Kelly J. B.، مرجع سابق، ص ١٢٥.
٢. انظر Wilson A. T.، مرجع سابق.
٣. انظر Kelly J. B.، مرجع سابق، ص ١٢٥.

سوى بضعة أشهر حتى بدأ بإثارة النزاع بين سعيد والوهابيين. وقد وضع في سبيل ذلك السفن والمدفعية "تحت تصرف" سعيد للهجوم على شناص.

وفي يناير عام ١٨١١ حاصرت قوات سعيد والأسطول البريطاني المدينة[١]. وفي هذه العملية اقتصرت الخسائر على العمانيين فقط؛ إذ لم يشترك الإنكليز فيها، والواقع أن اشتراك الإنكليز فيها انحصر فقط بقصف المدينة من البر والبحر. وفي غضون ذلك عمل الإنكليز على تدمير أكبر عدد ممكن من المباني. وقد أسفر القصف الهمجي عن تسوية قلعة شناص بالأرض، بعد أن استماتت سكانها في الدفاع عنها. وقد شد من أزر هؤلاء السكان، ورفع من روحهم المعنوية، وصول الأخبار إليهم بأن الوهابيين يسابقون الريح لنصرهم وإنقاذ مدينتهم.

وسعياً منهم للانتهاء من شناص قبل وصول الأخيرين إليها حرض الإنكليز عملاءهم المحليين على قتل حاكم المدينة. وهذا ما أدى إلى شل الدفاع عن المدينة. وعندها اقتحمتها قوات سعيد وقضت على حاميتها واستولت عليها. إلا أنه قبل أن يتبدد الدخان المنبعث من الحرائق المشتعلة وصل إلى مسامع الإنكليز من جواسيسهم أن الوهابيين قد أصبحوا على مشارف المدينة.

وعندها سارعوا بسحب مدفعيتهم الميدانية إلى ظهر سفنهم، والصعود على متنها لتشق طريقها مسرعة إلى عرض البحر. وعند ذلك صور الإنكليز الوضع وكأن القضية قد انتهت، وأنهم تكرموا على حاكم عمان بأن أبقوا المدينة تحت تصرفه، وأن هذا الأخير لم يعد بحاجة إلى مساعدتهم، ولهذا غادروها. وبعد بضع ساعات شن الوهابيون هجوماً على القوات التي تركها "حماة سعيد" وهزموهم شر هزيمة[٢].

---

١. انظر Salil – ibn – Razik، مرجع سابق، ص ٣٢٢.

٢. انظر Salil – ibn – Razik، مرجع سابق، ص ٣٢٣.

وهكذا مارس الإنكليز مرة ثانية دوراً نموذجياً بالنسبة لهم. ففي هذه المرة تمكنوا من تحريض سعيد كما في عامي ١٨٠٦ و ١٨٠٨ لاحتلال شناص. وعندما كان هذا الشريك في أمس الحاجة إلى مساعدهم بحث عنهم فلم يجدهم.

وبذلك استطاعوا أن يحققوا هدفين معاً في عملية واحدة. الأول تدمير شناص بأيدي سعيد، والثاني هزيمة سعيد على أيدي الوهابيين. وكانت النتيجة النهائية لهذا العمل التدميري بشكل عام إضعاف القبائل. وبذلك حقق الإنكليز هدفهم الأساسي وهو توفير الإمكانيات لزيادة توسعهم.

في الواقع لم تتوقف أعمال الإنكليز العسكرية، التي كانت تنفذ بحجة مساعدة سعيد منذ عام ١٨٠٥. كما بقيت قواهم في الموانئ الفارسية، وكانت تشارك في جميع العمليات[١]. وكانت هذه القوات منتشرة وقادرة على التحرك من مكان إلى آخر. كما لم تكن الإمدادات من بومباي تنقطع عن الإنكليز عندما يريدون تنظيم أيّ حملة تأديبية. وكانت هذه الإمدادات تبقى لأشهر عديدة في مياه الخليج[٢].

عندما بدأت تستنفد قوة الحكام المحليين في حروب لانهاية لها أدركوا أن جذور الشر تكمن في الإنكليز. ومن الواضح تماماً أنه لتجنب هذا الشر، ولوضع حد للاستفزازات، والحملات التأديبية[٣]، وصل إلى بوشهر في نهاية عام ١٨١١ وبداية عام ١٨١٢ مبعوث وهابي، يحمل للمقيم البريطاني اقتراحاً بإبرام معاهدة سلام واتفاقية تجارية مع الإنكليز.

---

١. انظر **Kaye J.W.**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٥٠٩.

٢. انظر **Buckingham**، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٢٤٣.

٣. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٢٩. وكذلك انظر **Wilson A. T.**، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

وبعد وقت قصير وصل إلى بوشهر ممثل عن حلف القواسم حاملاً معه الاقتراح نفسه الذي عرضه المبعوث الوهابي عليهم. إلا أن الإنكليز بدل أن يعقدوا معه المباحثات ألقوا عليه القبض ، وصادروا المركب الذي قدم على متنه[1].

يعد رفض المقيم البريطاني عقد معاهدة سلام مع الممثلين الذين وفدوا إليه دليلاً يفضح الإنكليز، ويكشف نواياهم في الاستمرار بالحملات العدوانية التي كانوا ولا يزالون يدعون أنها موجهة لمكافحة "القرصنة". إلا أن نهاية الحبكة في روايات المؤلفين البرجوازيين لا تتطابق بشكل جيد عندما يكتبون أن "القراصنة" عرضوا إبرام معاهدات سلام، في حين أنّ السفن البريطانية "تبني نظاماً" وهي تقصف المدن والقرى الساحلية.

أقدم سعيد مرة أخرى في عام ١٨١٣- ١٨١٤ "بدعم معنوي"[2]، أو الأصح أن يقال: بتحريض مباشر من الإنكليز على نقض المعاهدة التي أبرمها مع الوهابيين في عام ١٨١٠، وبدأ الأعمال القتالية بهجوم شنه على رأس الخيمة والبحرين. غير أن هذا الهجوم مني بالإخفاق. وفي عام ١٨١٦ قام الإنكليز بحملة اعتيادية على القواسم، متهمين إياهم كالعادة بالقيام بأعمال قرصنة[3].

ومن الطريف أن الحاكم العام للهند أنب ضباط البحرية الإنكليز، وعاقبهم على "مهاجمتهم للمتظلمين"[4]. وبالطبع لم يعاقب الحاكم العام الضباط على الإجراءات

---

1. انظر **Belgrave**، مرجع سابق ص ١١٢.
2. عبارة مأخوذة على لسان ويلسون. انظر **Wilson A. T.**، مرجع سابق، ص ٢٠٥.
3. انظر كتاب كل من ويلسون، وميلز، وكيلي، والكثير غيرهم.
4. انظر **Buckingham**، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٢٢٧.

التأديبية التي اتخذوها أو ما شابه ذلك، وإنما لأنهم هم الذين كانوا يبادرون بالهجوم، ويتعرضون أحياناً للهزيمة، ويلجؤون لطلب المساعدة من الهند.

أما الإنكليز فقد نقضوا المعاهدة التي عقدوها مع فارس في عام ١٨١٤ حتى قبل أن يجف مدادها. في هذا العام أنزلت قوات إبراهيم باشا المصرية عدداً من الهزائم بالوهابيين. وخوفاً من انتقال هجوم المصريين عليهم قرر القواسم الرحيل عن رأس الخيمة والانتقال إلى قشم، حيث يقيم أبناء جلدتهم. إلا أن الأسطول الإنكليزي حال دون ذلك. اقتربت العمارة الإنكليزية من رأس الخيمة. وانحصرت مناورة هذه العمارة في قطع طريق الانسحاب على القواسم وإجبارهم على الدخول في صراع مع القوات المصرية.

ولم يكتف المحتلون بهذا الإجراء، وبحمل من يريدون على الإقامة في المكان الذي يريدونه. فعندما رست العمارة في مرسى مقابل رأس الخيمة طالب قائدها بدفع تعويضات عن خسائر ادعى أن قبائل حلف القواسم قد ألحقوها في الماضي بالإنكليز[١].

وعندما رفض القواسم تلبية هذا الطلب حاول الإنكليز الاستيلاء على المدينة ونهبها. إلا أن سكانها استماتوا في الدفاع عنها مما أحبط الهجوم. وعندها أمطر الإنكليز المدينة بالقذائف ثم ركبوا سفنهم وغادروا مبحرين. وفي طريق إبحارهم قصفوا الشارقة ولنجة[٢].

---

١. انظر Wilson A. T.، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

٢. انظر Buckingham، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٨٣.

وفي هذا الوقت أيضاً عاد الإنكليز لتحريض سعيد على الهجوم على البحرين. صادر سعيد بضائع تجار بحرينيين يقيمون في مسقط، وطلب من سكان البحرين الخضوع لسلطته[1]. إلا أن هؤلاء رفضوا الانصياع لطلبه. وفي الهجوم التالي لسعيد على البحرين اشترك معه رحمة بن جابر، الذي قيل عنه إنه "كان منذ عام ١٨٠٠، وعلى مدى أكثر من عشرين عاماً، بمترلة عاصفة رعدية تهب على تلك المناطق، وقد يكون أخطر قرصان جاب البحر"[2].

سنتوقف هنا قليلاً عند بعض جوانب من صفات رحمة بن جابر، لكي نتصور أي شخصية عدها الإنكليز مرموقة أكثر من غيرها في ذلك الزمان، وما علاقتهم مع "قرصان القراصنة" هذا. ولابد أن نتفق مع رأي بلجريف الذي قال: "تنعكس في سيرة رحمة، مثل قطرة الماء، الخلافات القبلية المميزة للتراعات الداخلية التي تعكر السلام في الخليج"[3].

وقد ورد معنا اسم رحمة بن جابر في بداية هذا الفصل، حيث جرى الحديث عن أسباب العداء الذي وقع بين فرعين من قبائل عرب العتوب : آل خليفة والجلاهمة، ولماذا بدأ رحمة بن جابر يضمر في نفسه الحقد والكراهية لأقربائه الأثرياء والتجار الناجحين [آل خليفة] طيلة حياته.

وإذا كان أحد الشيوخ في الخليج العربي يستحق لقب قرصان عن جداره فهو رحمة بن جابر. إلا أن هذا الشخص لم يكن قرصاناً عديم المبادئ، كالقراصنة الذين لا

---

[1] انظر غورغاني، مرجع سابق، ص ٥٨.

[2]. انظر **Wilson A. T.**، مرجع سابق، ص ٢١٠- ٢١١.

[3]. انظر **Belgrave**، مرجع سابق، ص ١٢٣.

يرون لحياتهم معنىً سوى بالسلب والنهب واكتناز الأموال. ويمكن القول عن هذا القرصان إنه كرس حياته لأخذ الثأر ممن عدهم أعداءه.

في البداية كان رحمة بن جابر يشن هجماته على السفن العربية من أجل إلحاق الضرر والخسائر بقبيلة آل خليفة، وبكل من يعمل أو يتعامل معها في هذا الوقت. ولا يمكن إنكار الذكاء الفطري الذي تمتع به رحمة بن جابر، ومقدرته على انتهاج سياسته بشكل فطن، وكذلك مقدرته على تقييم نسبة القوى. فمثلاً لم ينتظر مهاجمة الوهابيين له، إنما سارع لاعتناق نهجهم الديني. الأمر الذي أتاح له إمكانية المحافظة على استقلاله لدرجة كبيرة.

ويبدو أن رحمة كان أول شيخ يدرك إلى أي شيء تؤدي أفعال الإنكليز في المنطقة. ولهذا عمل منذ البداية على تجنب الصدام معهم، ومن ثم استفاد من مساعداتهم. لم يكن رحمة يعترض السفن التي تبحر رافعة العلم البريطاني. وكان الوحيد بين شيوخ الخليج العربي، الذي يعقد اتفاقاً مع الإنكليز طواعية وبشكل متبصر. ولعله الشخص الوحيد الذي استطاع لبعض الوقت ولدرجة محددة الاستفادة من الإنكليز لمصالحه الشخصية. في عام ١٨٠٩– ١٨١٠ كان رحمة بن جابر على علاقة مع الإنكليز المقيمين في بوشهر[١].

كتب بلغريف عن رحمة على لسان بكنجهام الذي صادف رحمة بن جابر أكثر من مرة في حفلة شاي في المقيمية البريطانية يقول: "من الصعب أن تتصور قرصاناً عنيفاً

١. صحيح أن رحمة بن جابر كان على علاقة مع الإنكليز، وأن "الحكومة البريطانية تنظر إليه بعين الصداقة"، حسب ما قاله أبو حاكمة؛ إلا أنه لم يوقع على معاهدة مع الإنكليز. للتعرف على ترجمة لحياته وجهوده ونهايته انظر احمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ج٢، ق١، ص ٤٦– ٦٩........المترجم.

يشرب الشاي مع الفطور. ولكنه كمسلم ووهابي لم يقرب المشروبات الكحولية قط"[1]. وذكر أيضاً أنه "تلقى مساعدة طبية من طبيب البحرية الإنكليزية"[2].

وفي أحد الأيام وجه له سؤالاً هو: كيف يستطيع محاربة الأعداء والتغلب عليهم مع أنه مصاب بجرح بليغ في يده اليمنى. وليرد على هذا السؤال هب رحمة واقفاً وأخذ يلوح بخنجره، ويعرض طرقه الخاصة التي تمكنه من جز أعناق أعداءه. وقد قوبل هذا العرض بإعجاب الحاضرين من الضباط الإنكليز وتصفيقهم. ويرى بلغريف أن "هذا الأمر لا يعد غريباً مادام رحمة بن جابر يسعى لأن يكون صديقاً للإنكليز"[3].

عندما شعر رحمة بن جابر أن نفوذ الوهابيين بدأ بالانحسار انقلب عليهم ودخل في صراع معهم، واستولى على الدمام في الإحساء. إلا أنه سرعان ما اضطر إلى الانسحاب منها على أثر هجوم وهابي جديد عليه. وقبل عام ١٨١٦ انحاز رحمة بن جابر إلى جانب الإنكليز بشكل نهائي. لم يتكلل الهجوم الذي نفذ على البحرين في هذه السنة بالنجاح؛ إذ استطاع شيخ البحرين صد القوات المشتركة لسعيد ورحمة. وعندها لاذ هذا الأخير بالفرار إلى الإنكليز في بوشهر.

وبقي سنتين تقريباً دون أن تكون له قاعدة ثابتة يقيم فيها. وكان يتنقل بين نقطتي الاستناد الأساسيتين للإنكليز: مسقط وبوشهر. وفي هذين العامين راح رحمة بن جابر يتصيد سفن القواسم. وبمساعدة من الإنكليز عاد ليستقر في الدمام من جديد ليتابع هجمات السلب على البحرين ورأس الخيمة.

---

1. انظر Belgrave، مرجع سابق، ص ١٢٧.
2. انظر Buckingham، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٢٢ – ١٢٣.
3. انظر Belgrave، مرجع سابق، ص ١٢٨.

وعندما كان حلفاء شيخ البحرين يحاولون مهاجمته من البحر في مأواه كانت تتصدى لهم سفينتان بريطانيتان تحرسان ميناءه بأمر من الحاكم العام للهند، وتحبطان هذه المحاولات[1].

تعد مرحلة الحملة التأديبية البريطانية عام ١٨١٩ -١٨٢٠ التي اتخذت شكل التدخل على مستوى كبير من أهم المراحل على طريق احتكار الإنكليز للسلطة في منطقة الخليج العربي. وعند التحضير لهذه الحملة سعت بريطانيا جاهدة لإشراك إبراهيم باشا فيها، وأرسلت له مبعوثاً خاصاً لهذا الهدف[2]. إلا أنها لم تنجح في ذلك. تم إسناد قيادة العمليات البرية ضد القبائل المقيمة على ساحل الشمال في هذه الحملة التي جردها بريطانيا عام ١٨١٩-١٨٢٠ إلى الكابتن ف. لوخ (**Locke F.**)، الذي أمضى مدة طويلة من حياته يجوب البحار على متن الفرقاطة إيدن.

وخلال هذه الحملة كتب "لوخ" مذكرات لم يتم نشرها إلا بعد مضي ما يقرب من ١٥٠ عامٍ على كتابتها. وبفضل هذه المذكرات تم الاطلاع على تفاصيل العملية كاملة[3]. وأسندت القيادة العامة للحملة إلى الجنرال جرانت كير.

كانت هذه الحملة من أكبر الحملات التي توجهت إلى الخليج العربي. فقد كانت تتألف من عدد كبير من السفن الحربية الضخمة، منها البارجة – الفرقاطة "ليفربول"، و"لوكون"[4]، و"إيدن"، وتسعة طرادات، والعديد من سفن النقل، منها سفن لحاكم عمان. وكان عدد عناصر الحملة نموذجياً لممارسات أساليب المستعمرين الإنكليز في

---

[1]. انظر **Low C.R.**، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣١٩– ٣٢٠.

[2]. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٤٣.

[3]. أنظر **Belgrave. The Pirate Coast. L.,** ١٩٦٦

[4]. هكذا ورد الاسم في النص الروسي ولعل المقصود [كيرلو] وللاطلاع على قوام الحملة انظر صالح محمد العابد، مرجع سابق، ص ٣٠٨– ٣٠٩ .... المترجم

هذه المنطقة؛ إذ اشترك فيها ما يقرب من سبعة آلاف جندي، منهم نحو ١٦٠٠ من الأوربيين، ومثلهم من الهنود، وحوالي أربعة آلاف عماني[١].

يبين تناسب القوى هذا كيف تسنى للإنكليز تثبيت سلطتهم ونفوذهم بحراب جنود غير أحرار، لاهمهم في الواقع النتيجة التي ستؤول إليها هذه العمليات. وإذا أردنا تصور أبعاد الحملة يمكننا مقارنتها مع الإنزال الإنكليزي الذي جرى في عام ١٨٠٨ في أثناء الحرب الأنجلو – فرنسية في البرتغال، حيث بلغ عدد من اشترك فيه ١٢٠ ألف جندي. ويجب أن لا ننسى في أثناء الموازنة أن سكان مدينة رأس الخيمة التي تحملت مرغمة الضربة الأساسية لا يتجاوز عددهم سبعة أو ثمانية آلاف نسمة بمن فيهم النساء والشيوخ والأطفال[٢].

في نهاية شهر نوفمبر حاصرت السفن البريطانية رأس الخيمة من البحر. وعندها حاول سكان المدينة، الذين أطلق عليهم الإنكليز اسم القراصنة، تجنب سفك الدماء، بأن أرسل شيخهم إلى الإنكليز وفداً لإجراء مفاوضات صلح معهم. إلا أن الإنكليز ردوا على الوفد بأن لا حاجة لشيخهم بأن يتعب نفسه بطرح مثل هذا العرض لأنه لن يرضيهم شيء سوى تدمير جميع سفن القراصنة، وكل ما يشكل قوة للسكان المحليين. نرى هنا بوضوح أن هذه عبارة عن حرب إبادة غير معلنة.

وسيتضح لنا فيما بعد أن ما كان يقصده الإنكليز من عبارة "كل ما يشكل قوة للسكان المحليين" هو المساكن والأمتعة والحوائج المنزلية، والمزروعات، والمحاصيل الزراعية، وحتى الأماكن العادية التي يستخدمها السكان مكاناً لإقامتهم لمدة طويلة.

---

١. انظر Wilson A. T.، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

٢. انظر Belgrave، مرجع سابق، ص ١٤٢.

فتحت مدفعية الميدان نيرانها على المدينة، في حين أخذت المدافع التي تم نصبها تحت أسوار المدينة تدكها بالقذائف.

وعلى الرغم من استمرار القصف عدة أيام إلا أن نجاح الإنكليز كان ضعيفاً جداً. ولهذا اضطروا لإنزال بحارتهم وطواقم خدمة سفنهم إلى البر لتعزيز حصارهم. إلا أن السكان صمدوا في وجههم لدرجة أن ف. لوخ لم يستطع إلا أن يشيد في مذكراته بثبات المدافعين عن رأس الخيمة ورجولتهم، الذين كانوا يحفرون الخنادق تحت جنح الظلام، ويقومون بأعمال الإصلاح عندما يسدل الليل ستاره.

ومما دونه لوخ في مذكراته في الثالث من ديسمبر: "لقد حصلت قواتنا على دليل دامغ على جرأة المدافعين وشجاعتهم في العمل ليلاً". ففي هذه الليلة قام أبناء البلد بهجوم جريء على أمل الحصول على المدافع التي يفتقرون إليها بشكل واضح في رأس الخيمة. الأمر الذي حسم المعركة في النهاية لصالح الإنكليز بشكل عام، ومحاصرة المدينة بشكل خاص. وقد شاركت النساء في هذا الهجوم الجريء إلى جانب الرجال. وعندها وقعت معركة حامية الوطيس كلفت المحاصرين نحو ٢٠ رجلاً بين قتيل وجريح. ولم يستطع لوخ تحديد عدد المصابين من العرب؛ لأن المشاركين في الهجوم تمكنوا من سحبهم معهم(١).

في الثامن من ديسمبر عرض حسن بن رحمة مرة أخرى على القائد العام للحملة البريطانية الجنرال كير إجراء مباحثات صلح. ولكن عرضه لم يحظ بالقبول. وفي صباح اليوم التالي استطاعت مجموعة من القوات الإنكليزية الاستيلاء على أحد أبراج أسوار القلعة. وكان ذلك إشارة لضرورة جلاء السكان عن المدينة. وقد قدم لوخ، كشاهد عيان، وصفاً واضحاً لعبور العرب للخليج من الجهة التي تحد رأس الخيمة، والتي لم

---

١. انظر **Belgrave**، مرجع سابق، ص ١٣٩– ١٤٠.

تكن رمايات الإنكليز تصل إليها. كان الرجال يسيرون وهم يساعدون الضعفاء والمرضى والجرحى، وكان الأطفال يتشبثون بأمهاهم. والجميع يتعجلون الخروج والابتعاد عن مدى رؤية الإنكليز خوفاً من أن يطاردهم هؤلاء الأخيرين، أو تطالهم قذائفهم ورصاصاهم، إضافة إلى خوفهم من بدء المد حيث يرتفع مستوى المياه في هذه المنطقة بشكل كبير.

وعند نزوح السكان عن المدينة أضرموا النار بالمباني، والسفن، وأحرقوا كل ما تركوه في المدينة. واستمرت هالة الحرائق مخيمة على المدينة مدة طويلة. ولهذا لم يجرؤ الإنكليز على دخول المدينة قبل انقضاء اليوم بأكمله. وعندما تجرأ لوخ أخيراً ودخل الأماكن التي التهمتها النيران لم يجد من الأحياء في رأس الخيمة كلها سوى عجوز وثلاث قطط. وفي الثالث عشر من ديسمبر أتم المهندسون الإنكليز تدمير ما تبقى من بقايا التحصينات، وساووا رأس الخيمة بالأرض.

ولم يسلم في المدينة كلها سوى بيت الشيخ الحجري وعدد من الأبنية المجاورة له، قرر الإنكليز الإبقاء عليها لاستخدامها كثكنات لجنودهم[1]. إلا أن حاميتهم لم تبق في رأس الخيمة طويلاً؛ إذ بدأت الأوبئة القاتلة تتفشى بين الغزاة نتيجة للحرارة المرتفعة جداً وانتشار الأمراض. وفي صيف عام ١٨٢٠ رحل الإنكليز من رأس الخيمة إلى جزيرة قشم.

لقد غزا الإنكليز سواحل الشمال جميعها بالنار والسيف. وفي طريقهم أعملوا القتل والتدمير والنهب للمدن والتحصينات والمراكب والمستودعات. وصادروا الكثير من السفن لاستخدامهم الشخصي، وأرسلوا أسرى ورهائن إلى الهند. وقد وصف لوخ البطولات التي سطرها السكان في دفاعهم عن قلعة ضاية الصغيرة، الواقعة على بعد

---

[1]. انظر **Belgrave**، مرجع سابق، ص ١٤٢ – ١٤٤.

٢٠ ميلاً إلى الشمال من رأس الخيمة، وكيف جاهدوا باستماتة دفاعاً عنها. وكان بينهم الشيخ حسين بن علي، الذي أخذ مكانه خلف أحد المدافع. وذكر لوخ أن أحد الصبية الهنود فر إلى الإنكليز وأخبرهم بأنه يوجد بين المحاصرين من يرغب في الاستسلام إلى رحمة المنتصرين إلا أن الشيخ أجبر الجبناء على البقاء داخل أسوار القلعة.

بعد الانتهاء من رأس الخيمة تم الاستيلاء على أم القيوين، وعجمان، والشارقة، ودبي. وقام الإنكليز بإحراق السفن والمراكب العربية قرب المنامة[1]. عندما دمر الغزاة السفن حكموا على السكان المحليين، ولا سيما صيادي اللؤلؤ والسمك بالجوع والإملاق. إلا أن الغزاة لم يكتفوا بذلك فاستولوا على ما تبقى من مؤن وحاجيات السكان[2]. وهكذا تم القضاء على مقاومة قبائل الخليج العربي للاستعمار الإنكليزي. ويبدو أن السكان قد جنحوا إلى الهدوء بعد أن جرى التوقيع على "معاهدات" في نهاية الحملة البريطانية.

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

أربكت المرحلة الثانية من هذه الحملة حتى أنصار "الموقف الصلب" الأكثر عنفاً في هذه المنطقة، عندما نقل رجال الحملة أعمالهم إلى الساحل الشمالي للخليج ولنجة وغيرها من الموانئ الفارسية. فقد كانت التعليمات التي وجهتها السلطات البريطانية في الهند إلى قائد الحملة الجنرال كير تنص على أن هدف الحملة هو القضاء التام على القرصنة في الخليج العربي مهما كان موقف الحكومة الفارسية من ذلك.

وهذا يعني إما قصف المدن والقرى وإحراقها، وتشتيت السكان، أو أسرهم وتدمير جميع مقومات حياتهم ومستلزمات عيشهم؛ وفي الوقت نفسه تثبيت سلطة

---

[1] انظر.**Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٦٥.

[2] انظر **Belgrave**، مرجع سابق، ص ١٣٩– ١٤٠.

بريطانيا العظمى بالإرهاب، سواء باستخدام الحجج والذرائع أو حتى بلا أي شيء من هذا القبيل.

وعندما قدمت حكومة فارس احتجاجاً شديداً على قيام لوخ وكير بتدمير سفن السكان وممتلكاتهم في لنجة، وخرج، وعسيلوه، ومغوه وغيرها من الموانئ الفارسية اضطر الإنكليز لأول مرة للتفكير ملياً بإيجاد "حجة يعللون" بها أعمالهم غير القانونية. وفي غضون ذلك لم يستطع المقيمون الإنكليز في الخليج العربي الادعاء بأن سكان الساحل الشمالي يقدمون المساعدة لقبائل حلف القواسم في نضالها ضد الإنكليز.

بعد أن أجرى كيلي، مؤلف أحد الكتب عن السياسة الإنكليزية في الخليج العربي دراسة دقيقة للوثائق الرسمية عن هذه المرحلة، التي جرت فيها الحملة البريطانية على الخليج، وعرضها بنزعة معينة تتناسب مع السياسة البريطانية، اضطر للإقرار بما يأتي: "إذا ما تم التساؤل: لماذا أسند إلى كير أمر بمهاجمة الموانئ الفارسية بالدرجة الأولى على الرغم من عدم وجود ما يثبت مشاركة الفرس في أعمال قرصنة القواسم، فيمكن إيجاد الإجابة عن هذا التساؤل بصورة جزئية في أن إيفان نيبين (حاكم بومباي) على استعداد لاتهام معظم قبائل الخليج العربي الضليعة بالملاحة البحرية بالقرصنة.

كما يمكن إرجاع الجواب إلى النقص في المعلومات التي تصل إليه وإلى حكومته. عدد تايلور(Taylor)، أحد أعضاء المقيمية الإنكليزية في البصرة في تقرير كتبه في عام ١٨١٨[1] بعض الموانئ على الساحل الفارسي، التي تتحالف مع القواسم. ويبدو أن ما ذكره في تقريره كان انطلاقاً من قناعته، التي يشاطره بها نيبين بأنه مادام سكان الموانئ الفارسية من أصل عربي بالدرجة الأولى، والسواد الأعظم منهم من القواسم،

---

[1]. كان هذا التقرير الشيء الأساسي الذي استندت إليه تعليمات الحاكم الفينستون التي وجهها إلى كير، والتي عمل بها هذا الأخير في أثناء الحملة البريطانية على الخليج عام ١٨١٩.

ومنهم من ينضوي تحت النفوذ الوهابي، فلاشك بأنهم "يقومون بأعمال السلب والنهب كأبناء جلدتهم العرب"[١].

نلاحظ أن الإنكليز لم يهتموا أبداً بإيجاد الذرائع للقيام بحملات عسكرية. صحيح أن الدولة الفارسية الضعيفة قد أجبرتهم على إمعان التفكير بذرائع لتسويغ أعمالهم غير القانونية، إلا أن الإفلات من العقاب وعدم وجود مقاومة منظمة لصد العدوان مكنهم من تثبيت نظامهم الاستعماري على الساحل الجنوبي للخليج العربي.

في النصف الأول من يناير عام ١٨٢٠ وصل شيوخ المدن المنهزمة في المعارك إلى سفينة كير الراسية قرب ميناء رأس الخيمة المدمرة، حيث تم إجبارهم على التوقيع على تعهدات، أو على الأصح على شروط الاستسلام. واستناداً إلى هذه الشروط سلم الشيوخ إلى الإنكليز "كل ما كان يشكل قوة للعرب": المدن، والموانئ، والمدافع، والسفن، والمستودعات، والذخيرة وغير ذلك".

ومن جهته تعهد الجنرال كير أمامهم بمنع قواته من الدخول إلى المدن وتخريبها[٢]. إلا أنه لم يعد هناك ما يمكن تخريبه. إضافة إلى أن المواقع التي تهم الإنكليز باتت، كالعادة، تحت سيطرتهم، وبقي الإنكليز في رأس الخيمة (إلى أن اضطروا لمغادرتها للأسباب التي سبقت الإشارة إليها)، وكذلك في جزيرة المحرق. وفي الخامس عشر من فبراير اجتمع كير مع سيد عبد الجليل، ممثل شيخي البحرين (الأخوين سلمان بن أحمد وعبد الله بن أحمد)، وتم إجباره أيضاً على التوقيع على معاهدة (شروط) الاستسلام.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

---

١. انظر كتاب كيلي: Kelly J. W.، مرجع سابق، ص ١٦٢الذي يصف فيه حملة بريطانية مخزية يقول فيه: "قبل بدء الحملة لم يُعر الاهتمام الكافي لتحديد طبيعة القرصنة لقبيلة بوعلي بدقة " أنظر أدناه.

٢. انظر [Aitchison C. U.]، مرجع سابق المجلد العاشر، ص ١٢٢– ١٣١.

يلاحظ من الوقوف على موقع الإنكليز أن هؤلاء الأخيرين كانوا يضغطون على البريء، والمذنب، وعلى القواسم، وخصومهم البحرينيين. لقد أدت الالتزامات التي تعهد بها الشيوخ عن غير خاطر منهم إلى تثبيت أقدام الإنكليز في منطقة استراتيجية هامة، وهي ساحل الشمال.

إلى جانب الالتزامات الفردية التي تعد بمترلة قسم الولاء للإنكليز وضع كير مواداً "لمعاهدة عامة" مشتركة. وتم إجبار شيوخ البلدان المستسلمة على التوقيع عليها. ولم تكن لهذه "المعاهدة" أيّ صفة مشتركة مع الاتفاقيات السارية الأخرى. وعملاً بموادّها أصبحت منطقة الخليج العربي بأكملها تحت سيطرة الإنكليز المطلقة. (وفيما بعد حمل الإنكليز حكاماً آخرين للساحل على التوقيع عليها). طالبت المادتان الأساسيتان: الثالثة والخامسة من هذه المعاهدة العرب برفع علم أبيض يخترقه أحمر على كل سفينة من سفنهم، وأن يكون لكل سفينة سجل خاص بها يتضمن معلومات عنها (طولها، وعرضها، وحمولتها)، ورخصة سفر تبين اسم مالك السفينة، واسم الشيخ الأعلى للقبيلة، وحمولة السفينة، ومن أين تبحر وإلى أين تتجه، وما تسليحها، وما الغرض من إبحارها وغير ذلك.

كما تمت مطالبة العرب بضرورة تجديد سجل السفينة في كل عام. وقد جعل حل الخلافات بيد المقيم البريطاني أما مراقبة الملاحة في الخليج العربي وخليج عمان فقد أوكل أمرها إلى قادة السفن البريطانية. وكان يتعين على البحارة العرب تقديم وثائق السفينة إلى هؤلاء حين مطالبتهم بها، وكذلك مساعدة الإنكليز في تفتيش سفنهم(انظر الملاحق).

يوجد في مذكرات لوخ اعتقاد بأن معظم السفن التجارية وغير التجارية، التي كانت تبحر في الخليج العربي في عام ١٨١٩ تعود للإنكليز أو لأشخاص لهم علاقة

بالإنكليز. عندما كانت بريطانيا تبحث عن أسواق جديدة لترويج سلعها كانت تقف على طريق احتكار الملاحة والتجارة في منطقة الخليج. وقد جعلت "المعاهدة العامة" الملاحةَ والتجارة حكراً على الإنكليز بشكل رسمي.

وجدير بالذكر أنه تم بهذه "المعاهدة" إعطاء اسم جديد لما كان الإنكليز يسمونه بساحل القراصنة، وهو "عمان المتصالحة". وأصبحت هذه التسمية تستخدم في المراجع الإنكليزية الخاصة بتاريخ الاستعمار البريطاني للشرق الأدنى، بل في الجغرافية العامة أيضاً. وهذه التسمية لم تلق اعترافاً من السكان المحليين، سواء في السابق أو الآن على أساس أنها تسمية غير صحيحة لا شكلاً ولا مضموناً.

بعد أن أمسك الإنكليز بزمام ساحل الشمال، وأصبح تحت سيطرتهم عملياً وضعوا الشيخ المعروف سلطان بن صقر شيخاً أعلى على الساحل اسمياً[1]. أما السيد سعيد فقد أعد له الإنكليز دور شخص صوري. وكانوا يتطلعون إلى الاستقرار في "صور"– المنطقة الاستراتيجية الهامة في هذه المنطقة، والتي تقع إلى الشمال الشرقي من شبه الجزيرة العربية.

وكانت تقطنها قبيلة آل بو علي. ونظراً لأن هذه القبيلة مثلها مثل عرب الساحل الفارسي لم تدخل في صدام مع الإنكليز، فقد تذرع هؤلاء الأخيرين بوجود نزاع بين هذه القبيلة وسعيد، ولهذا أرسلوا مفرزة عسكرية إلى منطقة صور.

وبعد أن تحقق للإنكليز ما أرادوا تعددت المرات التي رفضوا فيها تقديم أيَّ مساعدة لسعيد في مثل هذه النزاعات. وكانوا يفسرون رفضهم بعدم رغبتهم في التدخل في الشؤون الداخلية للقبائل المحلية تارة، وبأنهم لا يستخدمون القوات المسلحة

---

[1] انظر **Wilson A. T.**، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

الموجودة في المنطقة إلا لتجريد حملات تأديبية يجبرهم عليها القراصنة تارة أخرى، عندما يشنون هجوماً على السفن البريطانية.

في خريف عام ١٨٢٠ نزلت مفرزة أنجلو عمانية إلى الساحل بقيادة طومسون (Thompson)، وحاولت اقتحام قلعة اتخذتها قبيلة آل بو علي حصناً لها. إلا أن عملية الاقتحام باءت بإخفاق ذريع؛ إذ قامت القبيلة، التي لم يكن لديها سوى السلاح الأبيض، بهجوم مضاد، واجتاحت صفوف المهاجمين الغزاة، وأعملت بهم التقتيل، وأجبرت الناجين منهم على الفرار إلى سفنهم إنقاذاً لأرواحهم. وعندما علمت السلطات البريطانية في بومباي وكالكوت بأخبار هذه الهزيمة بدأت تئن بحسرة "على فقدان هيبتها". وأخذت الصحف الإنكليزية تطالب بالثأر.

وكان من نتائج هذه الهزيمة عزل طومسون وتقديمه إلى المحاكمة. وبغية إعادة الهيبة البريطانية إلى ما كانت عليه تم إرسال حملة ثانية مؤلفة من عدد كبير من القوات الإنكليزية إلى المنطقة لمقاتلة قبيلة آل بو علي. واستطاعت هذه القوات في بداية عام ١٨٢١ سحق القبيلة، وتدمير قلعتها ومساكنها تدميراً تاماً. ولم تكتفِ بذلك، بل أخذت تقتلع أشجار النخيل، وتضرم فيها النار، وتخرب أجهزة الري التي بنيت بسواعد أجيال.

على الرغم من انتصار القوات الإنكليزية على هذه القبيلة إلا أن كيلي وصف هذه الحملة بأنها "حملة مشينة من بدايتها إلى نهايتها". ورأى أنه لم يخرج من هذه المعركة بشرف سوى قبيلة آل بو علي، التي دافع سكانها برجولة وشجاعة عن أرضهم ومنازلهم بكل قوة[1]. كان مصير بعضهم ممن بقي على قيد الحياة من سكان هذه القبيلة، ووقع في الأسر أن نفي إلى بومباي أو أرسل إلى مسقط. وفي أثناء الحملة ضد

---

[1]. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٧٨ – ١٨٠.

قبيلة آل بو علي، التي أظهرت نقطة الضعف في النظام الاستعماري المتشكل في منطقة الخليج، تقدمت الحكومة الفارسية بطلب رسمي إلى بريطانيا بسحب قواتها حالاً من جزيرة قشم، مشيرة إلى أن وجود هذه القوات في الجزيرة يعد خرقاً صريحاً للمادة الحادية عشرة من المعاهدة الأنجلو فارسية، الموقعة في عام ١٨١٤.

حاول الإنكليز إقناع الشاه "بضرورة بقاء القوات المسلحة الإنكليزية في الخليج"، وأرسلوا البعثات الخاصة، كبعثة "جوكس" و "فريزر" إلى طهران من أجل إقناع الفرس "بالقبول باحتلال الجزيرة". إلا أن الحكومة الفارسية كانت قلقة جداً من "أهداف السياسة البريطانية تجاه فارس". ولهذا بقيت مصرة على إنهاء احتلال الجزيرة[١]. وقد وجه الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) الفارسي رسائل بهذا الخصوص إلى كل من الحاكم العام للهند ووزير خارجية بريطانيا.

تفسر القرائن والظروف التالية هذا الموقف الذي اتخذه الشاه من الاحتلال البريطاني لجزيرة قشم. أولاً: أصبحت فارس في هذه السنوات قادرة على تركيز قواها وجهودها على الأوضاع في الخليج العربي، التي أخذت تنذر بالخطر منذ بداية القرن التاسع عشر؛ ثانياً: فضحت أعمال الإنكليز في الخليج وتصرفاتهم حتى هذا الوقت الأهداف الحقيقية للسياسة البريطانية؛ ثالثاً: المصير الواضح جداً الذي آلت إلية الهند، الجارة لفارس. وقد تحدث الشاه، وولي عهده عباس ميرزا، والصدر الأعظم وغيرهم من كبار المسؤولين الفرس أكثر من مرة في اللقاءات الرسمية والخاصة مع الممثلين الإنكليز عن هذه القرائن.

وبعد أن أصبح السفير الإنكليزي "ويللوك" **(Willok)** على يقين تام باستحالة ثني الشاه عن موقفه بخصوص جزيرة قشم رفع تقريراً من طهران إلى حاكم بومباي

---

١. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٨٢، ١٨٤.

الفينستون (Elphinston) قال فيه بتهكم وازدراء: "إن غـرور الفـرس يجعلـهم ينظرون إلى بلدهم كما لو أنه أفضل لقمة سائغة على وجه الأرض، وأنها تشكل هدفاً لطمع الدول المجاورة وجشعها"[١].

وعلى أثر ذلك طلب ويللوك بصورة استعراضية وثائق سفره وغادر طهران. أما الفينستون فقد أصدر أوامره بتعزيز الحامية في قشم. إلا أن أسلوب الضغط هـذا أو ذاك لم يسر مفعوله على فارس في هذه المرة كما يرغب الإنكليز.

وبعد سلسلة من المماطلات تم في شيراز في الثلاثين من أغسطس عـام ١٨٢٢ التوقيع على اتفاق أنجلو- فارسي، اعترفت بريطانيا بموجبه بحق فارس بجزيـرة قِـشم وجزر البحرين، ووافقت كذلك على تعويضها عن السفن التي تم إحراقهـا في أثنـاء الحملة التأديبية. إلا أن السلطات البريطانية العليا رفضت الاعتراف بهـذه الاتفاقيـة؛ لكونها تتعارض مع المصالح البريطانية، وتخل "بجميع مبادئ السياسة البريطانية في الخليج العربي"[٢]. وقد مَثَل بروس، المقيم السياسي البريطاني في شيراز، الذي وقع على هـذه الاتفاقية أمام مجلس مديري شركة الهند الشرقية البريطانية لاستجوابه.

ما الذي جعل رؤساء بروس يترعجون منه ويتهمونه بالإخلال بمبادئ الـسياسة البريطانية ، وهو الذي اتبعها بإصرار ؟ لقد كان نشاط بروس في فارس سبباً لجعل هذه الأخيرة تطالب بسحبه وإحلال غيره بدلاً منه[٣].

---

١. التقرير مؤرخ في ١٠ مايو ١٨٢٠، وهو محفوظ في مكتبة سجلات "مكتب الهند". وورد في كتاب كيلي. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٧٠

٢. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٩٠.

٣. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٨٣.

في ذلك الوقت كان بروس يعرف أكثر من غيره من الموظفين الإنكليز كل شيء عن الأوضاع في منطقة الخليج بالتفاصيل والعموميات، ومدركاً للسياسة البريطانية بكل أبعادها ودقائق الأمور فيها. ولهذا يعني توقيعه على الاتفاقية أن جميع موادها التي تقر بحقوق فارس تتفق مع الواقع بشكل تام. لكن هذا الأمر لا يرضي الأوساط الحاكمة الإنكليزية إطلاقاً؛ إذ ترى هذه الأخيرة أن حقوق بريطانيا في الخليج العربي قد حددها القوة، ولا شيء غير القوة.

لم تكن بريطانيا ترغب في يوم من الأيام بكشف أعمالها العدوانية، لكنها كانت دائماً تشكك بتبعية مناطق متعددة في الخليج لفارس، مثل بندر عباس، وقشم والبحرين، وغيرها. وكان الإنكليز يتطلعون بالدرجة الأولى إلى وضع أيديهم على الأراضي التي لم يبسط الشاه سيطرته عليها، بل كانوا ينظرون إلى فارس نفسها على أنها هدف جديد للتوسع الاستعماري في خططهم البعيدة المدى. ولهذا سيعدّ الاعتراف لفارس بأي حق لها في أراض في الخليج العربي سابقة في المستقبل, ومثل هذا الاعتراف، حتى ولو كان حبراً على ورق، سيشكل عقبة أمام التوسع البريطاني.

لقد كشف توقيع بروس على الاتفاقية آلية العدوان الإنكليزي. فقد أظهر ذلك أن حجج مكافحة القرصنة، وإحلال النظام، والدفاع عن مصالح الحليف السيد سعيد، وغير ذلك لم تكن في الحقيقة سوى حجج وذرائع. ولهذا عد كيلي خطوة بروس في كتابه "غير مناسبة وأتت في غير محلها"؛ إذ إنه على ضوء اتفاقية شيراز هذه بات مجبراً على الاعتراف بحقيقة أن احتلال قشم "عدوان ظالم".

إلا أن بريطانيا عندما انسحبت من قشم، بمقتضى الظروف الناشئة، أخذت تهدد وتتوعد. ففي أثناء مباحثات والي فارس مع حاكم عمان حول الحملة المشتركة على

البحرين أخذ الإنكليز يصرحون بأنه " إذا تم خرق السلام والهدوء في الخليج فإن الحكومة البريطانية ستكون مضطرة لإعادة تمركز قواها فيه"[١].

من الملاحظ أن الإنجليز يتذرعوا بحجة القرصنة فيما يتعلق بفارس، الأمر الذي لا يبرهن على قيمتها، وأخذوا يتسلحون بذريعة أخرى، هي "المحافظة على السلام في الخليج". وفي هذا المضمار لا يتعين عليهم سوى إثارة أي صدام أو نزاع داخلي أو التسبب فيه حتى يتدخلوا بما يخدم مصالحهم.

بعد الحملة البريطانية التأديبية عام ١٩١٩– ١٩٢٠دخلت العلاقات الإنكليزية العمانية مرحلة جديدة. في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر كان الإنكليز بحاجة لحاكم عمان لاستخدامه غطاءً لعدوانهم. وبعد ذلك استخدموه لزعزعة جبهة الصراع المعادي لهم وتشتيتها، (وهنا نذكر التحالف الذي ترأسه تيبو سلطان، وكذلك مطالبة الوهابيين لسعيد فيما بعد بالانضمام إليهم وإلى قبائل حلف القواسم للوقوف معاً في وجه المحتلين). إضافة إلى ما تمت الإشارة إليه سابقاً وهو أن إخضاع قبائل الخليج العربي للإنكليز كان يتم بالدرجة الأولى بقوى حاكم عمان.

نفذ السيد سعيد، حتى العشرينات من القرن التاسع عشر، الدور الذي حدده له الإنكليز. وبعد ذلك استغنوا عنه كشخص غير لازم في لعبتهم. وفي السابع والعشرين من أغسطس عام ١٨٢٢ ظهر مورسبي، قائد السفينة الإنكليزية "ميني" في مسقط، وأملى على سعيد مطالب الإنكليز. وقد وقعها هذا الأخير دون قيد أو شرط؛ ذلك أن الإنكليز كانوا يهددونه بالحرب. وقد سميت هذه المطالب، التي كانت ذات

---

١. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٩١، ٢٢٠.

مطالب حتمية ومهينة، "بالمعاهدة". ووضعت حاكم عمان على قدم المساواة مع الشيوخ الذين وقعوا على "المعاهدة العامة"؛ إذ انطبق عليه ما ينطبق عليهم[1].

والشيء الوحيد الذي ميز فيه الإنكليز سعيداً عن غيره أنه تم حمله على التوقيع على "معاهدة" عام ١٨٢٢ ليس بحجة مكافحة القرصنة، وإنما بحجة مكافحة تجارة الرقيق. واستناداً إلى هذه المعاهدة وضع سعيد جميع المناطق على ساحل عمان وزنجبار في متناول يد الإنكليز؛ ليختاروا "المكان المناسب لهم لمراقبة تجارة الرقيق". وقد تعين على السفن العمانية أن تحمل وثائق تعريف بها، تقدم إلى قادة السفن البريطانية عند المطالبة بها.

وإضافة إلى ذلك كان بإمكان الإنكليز الاستيلاء على أيّ سفينة عمانية لمجرد الشك أو الاشتباه بأنها تستخدم لتجارة الرقيق (وبالطبع كان بمقدورهم الاستيلاء على أيّ سفينة حتى دون أن يشك في أمرها أو تحوم حولها الشبهات). وهكذا فإن كل ما "حصل عليه" سعيد من تحالفه مع الإنكليز وشق جبهة الصراع ضد المستعمرين أن الإنكليز أمسكوا بيده قبل غيره من شيوخ المنطقة. أما الإنكليز فقد كانوا الرابحين الفعليين؛ إذ إنهم إلى جانب المواقع التي احتلوها في الخليج العربي استطاعوا فرض سيطرتهم على ساحل الجزيرة العربية كله، وأفريقيا، وأسكنوا مقيميهم في أكثر الأماكن ملائمة لهم، والتي اختاروها بأنفسهم.

بعد التوقيع على معاهدة عام ١٨٢٢ التي ساوت بين سعيد، "حليف" الإنكليز والشيوخ "أعداء" الإنكليز اتضحت سياسة الأخيرين المغرضة في عمان. وأدرك سعيد أنه لن يتسنى له، سواء بقوته الذاتية أو بمساعدتهم، إخضاع البحرين لسلطته، كما لن يستطيع التعبير عن تبعيتها لعمان ولو شكلياً؛ (إذ من شأن ذلك أن يضمن له الحصول

---

[1]. انظر [Aitchison C. U.]، مرجع سابق المجلد التاسع، ص ٥٦-٥٨.

على عوائد كبيرة من الأماكن الغنية بصيد اللؤلؤ). ولهذا كتب كيلي في كتابه عن هذه المدة أن سعيداً "شعر بخيبة أمل شديدة من سياسة بريطانيا"[١].

في نهاية العقد الثاني من القرن التاسع عشر حاول سعيد أن يجد لنفسه ركيزة في فارس. وتم توطيد التحالف الفارسي العماني بإعراب سعيد شكلياً عن موالاته لفارس، وبزواجه من شقيقة والي فارس[٢].

واتفق الحليفان على القيام بحملة مشتركة ضد البحرين؛ لوضع حد لمكائد الإنكليز في هذا الاتجاه، وترسيخ سلطة الشاه على الجزر، ولا سيما أن شيوخ البحرين في العقدين الأخيرين طلبو من فارس أكثر من مرة أن يكونوا تابعين لها. إلا أن معارضة الإنكليز كانت تحول دون تنفيذ هذا المخطط. وقد أعلنت السلطات الإنكليزية في الهند أنها ستنظر إلى أي عمل عسكري في الخليج العربي على أنه خرق للأمن والسلام، واستئناف للقرصنة. وراحت تهدد باتخاذ إجراءات تأديبية حيال ذلك[٣].

من الطبيعي جداً أن يؤدي توحيد قوى عمان وفارس إلى إعاقة الإنكليز في فرض سيطرتهم على منطقة الخليج العربي. ولهذا عمل الإنكليز فيما بعد ما في وسعهم من أجل توتر العلاقات بين المتحالفين الكامنين [فارس وعمان]. وعندما وصل الأمر إلى حد النزاع بينهما أخذ الإنكليز بزيادة توتير الموقف إلى أن نجحوا في تحريض عمان على

---

١. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ٢١٧.

٢. انظر تقرير سفير الإمبراطورية الروسية والوزير المفوض فوق العادة ي. ف. سيمونيتش إلى ك. ف. نيسيل رود المؤرخ في ١٧ نوفمبر عام ١٨٣٣ المحفوظ في أرشيف سياسة روسيا الخارجية. خزانة وزارة الخارجية، الديوان، الاضبارة. ٢٠٨، الورقة ١٨٤.

٣. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ٢٢٠.

تجهيز حملة ضد بوشهر[1]. في هذه المرة تم خرق الأمن على يد الإنكليز، ولهذا لم تتم الإشارة إلى وجود أي قرصنة.

مما يدل على اهتمام بريطانيا بحملة سعيد المعاهدة الأنجلو فارسية الموقعة في عام ١٨٠٤، على الرغم من أنها ضمنت لفارس المساعدة الإنكليزية في حال تعرضها لهجوم من البحر، إلا أن الإنكليز كانوا يتذرعون بشتى الذرائع ليتهربوا من تنفيذ التزاماتهم حيال فارس كما تنص عليه المعاهدة التي فرضوها هم على هذه الأخيرة. وعندما عرضت حكومة الشاه هذه المسألة على بريطانيا وأصرت على مطالبتها بتنفيذ ما عليها من التزام طلب الإنكليز مبلغاً كبيراً من المال لقاء مشاركة سفنهم في عمليات القوات الفارسية. وكان من شأن الموافقة على دفع المبلغ المطلوب لسد جشع الإنكليز أن يجعل حكومة الشاه مستعبدة مادياً لمن يسمون أنفسهم حلفاء لها[2].

هنا توقف سعيد عن محاولة إظهار استقلاليته، والتخلص من أحابيل السياسة الإنكليزية. عند النظر إلى مسلسل مكائد الإنكليز في عمان من العشرينات إلى الأربعينات من القرن التاسع عشر نجد أن المقيمين الإنكليز كانوا يضعون حاكم عمان دائماً تحت أنظارهم، ويُحكمون الإمساك به.

ففي بداية هذا القرن [التاسع عشر] وخلال هذه المدة عملوا أكثر من مرة على تعقيد أوضاع سعيد بتعريضه إلى الضربات. فمثلاً في بداية عام ١٨٢٤ أعلنت بريطانيا حمايتها لسكان ممباسا (أفريقيا الشرقية)، الذين ثاروا ضد حكم سعيد. وفي ديسمبر عام

---

1. انظر تقرير ي. ف. سيمونيتش إلى ك. ف. نيسيل رود المؤرخ في ١٧ نوفمبر عام ١٨٣٣ المحفوظ في أرشيف سياسة روسيا الخارجية. خزانة وزارة الخارجية، الديوان، الاضبارة. ٢٠٨، الورقة ١٨٤.

2. طلب الإنكليز مبلغ ألف روبية عن كل سفينة إنكليزية تأتي لدعم القوات الفارسية. انظر أرشيف سياسة روسيا الخارجية. خزانة وزارة الخارجية، الديوان، الاضبارة. ٢٠٨، الورقة ١٨٥. وقد ذكر الشاه في هذا الصدد: "ما ضرورة التحالف مع هؤلاء الغادرين؟! فليرحلوا من هنا إذا ما أرادوا التصرف بهذا الشكل في مثل هذه الأحوال".

١٨٢٥ رفضوا نصرته على الوهابيين، مما اضطره حينها للدخول في صلح معهم والرضوخ لمطالبهم[١].

أما بالنسبة للمشيخات الصغيرة على ساحل الشمال، فقد كانت معاهدة عام ١٨٢٠ نقطة تحول في تاريخها؛ إذ إنّ الإنكليز لم يستطيعوا الاستقرار في رأس الخيمة مباشرة لعدم تحملهم طقسها. غير أن نظرهم لم يغب عن مراقبة هذه المنطقة الواقعة على الساحل الجنوبي للخليج العربي. فعندما علم الكابتن الإنكليزي فيسفول في عام ١٨٢٣ بإعادة بناء أسوار مدينة رأس الخيمة المدمرة أمر بتعريض المدينة كلها للقصف. وقد أثار ذلك حيرة ماكلويد، المقيم البريطاني في الخليج، عندما علم بهذه العملية الترقة للضابط الأصغر.

شهد ساحل الشمال وقوع صدامات شديدة بين القواسم والعمانيين في الأعوام من ١٨٢٦ إلى ١٨٢٩، و بين القواسم وبني ياس في الأعوام من ١٨٣١ إلى ١٨٣٤. واللافت للنظر أنه كان للإنكليز باع في جميع هذه الصدامات. ففي الصدامات الأولى كان صاحب الدور النشط سعيد، وفي الصدامات الثانية، سلطان بن صقر. وبمعرفة المبادئ الأساسية للسياسة البريطانية تسهل رؤية يد الإنكليز وراء كل من الفريقين المتقاتلين. فقد كان الإنكليز يحولون الخلافات العادية البسيطة إلى المجرى الذي يلائمهم، ويؤججونها لتتحول إلى صدامات عنيفة.

وفي أثناء ذلك كانت سفنهم ترابط باستمرار بمكان قريب، وهي مستعدة للتدخل مباشرة وإنزال القوات من على متنها. وعندما كان التراع بين القبائل يضعف بعضها بعضاً كان يأتي دور الإنكليز في إملاء شروطهم. وفي عام ١٨٣٥ فرضوا على

---

١. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ٢٣١.

الشيوخ القبول بتدخلهم في جميع التزاعات الداخلية بصفة وسطاء محكمين عملاً بمواد الاتفاقية الدورية الموقعة بينهم.

عند استخلاص نتائج أعمال الإنكليز العدوانية في الخليج العربي في الثلث الأول من القرن التاسع عشر يجب الاعتراف بأنه على الرغم من إخفاق محاولات الإنكليز الكثيرة في إقامة نقطة استناد لهم في القسم الشمالي من الخليج (في جزيرة خرج)، إلا أهم استطاعوا الاستيلاء على موقع في مضيق هرمز، ووضع "ساحل الشمال" تحت سيطرهم، وإخضاع النطاق الساحلي لعمان، وجعل قواعدهم قريبة جداً من جزر البحرين.

وقد فرض الإنكليز سيطرهم على الملاحة والتجارة في مياه الخليج العربي، وخليج عمان، وبحر العرب، وعلى القسم الغربي من المحيط الهندي. وأخيراً أصبح الساحل الشمالي والناحية الغربية من الخليج العربي في تبعية لإنكلترا لدرجة كبيرة على الرغم من أنه لم يتم بسط السيطرة المباشرة عليها.

ومما لاشك فيه أن جميع أعمال الإنكليز تتصف بطابع عدواني وليس لها أي طابع دفاعي. كما أن فرض الرقابة الإنكليزية على المنطقة لم يكن بالأمر الصعب؛ ذلك أن مقاومة الشيوخ للعدوان قد ضعفت بنتيجة التزاعات الداخلية التي غالباً ما كان المستعمرون أنفسهم يثيروها. لقد تزامن التوسع الإنكليزي مع تحريض فارس على الحرب ضد روسيا، وضد أفغانستان، وغير ذلك. وبهذا الشكل تمكنت بريطانيا من وضع الأساس لسيطرها على منطقة الخليج العربي خلال الثلث الأول من القرن التاسع عشر.

كما استطاعت في الحقبة التالية تحصين مواقعها خطوة بعد أخرى، والتوسع طولاً وعرضاً، وإعداد تفاصيل المخطط الاستعماري لهذه المنطقة تحديداً. واستطاعت تثبيت المراحل المتعاقبة للتوغل الإنكليزي في المنطقة بشكل رسمي من خلال معاهدات جائرة قامت بفرضها على الشيوخ الذين تحولوا إلى ألعوبة بيدي المقيم البريطاني، الذي أصبح ملك الخليج غير المتوج.

تشكلت في منطقة الخليج العربي منذ عام ١٨٢٠ إلى عام ١٨٣٠ إدارة الاستعمار الإنكليزية، التي ترأسها المقيم البريطاني في بوشهر. ومنذ عام ١٨٢٣ حل المقيمون العسكريون محل المقيمين المدنيين[١]. وفيما يخص مسألة تبعية المقيم ظهرت لدى الإنكليز النية في فصل منطقة الخليج العربي عن فارس. وكان المقيم البريطاني هو المسؤول عن جميع القضايا التي تخص منطقة الخليج أمام السلطات البريطانية في الهند فقط. ولم يكن ينسق مع السفير البريطاني في فارس سوى القضايا السياسية العامة.

ظهر تفرد المقيم البريطاني في العمل بشكل واضح تماماً عندما أعلن ماكنيل قطع العلاقات الدبلوماسية مع فارس وغادر طهران. في حين استمر هنيل المقيم البريطاني في بوشهر في ممارسة أعماله. وفيما يخص المقيمية البريطانية في البصرة كانت تحتل المرتبة الثانية من الأهمية. في نهاية الثلاثينيات من القرن التاسع عشر تم إنشاء القنصلية البريطانية في مسقط، مع أن عمان كانت منذ بداية القرن التاسع عشر مكبلة بسلسلة من المكائد الإنكليزية. وكان السيد الحاكم محاطاً بمستشارين إنكليز يطيعهم في تنفيذ تعليماتهم.

أما في مدن الشمال (رأس الخيمة والشارقة وغيرهما)، وكذلك في جزر قشم، والبحرين وغيرها من مناطق الخليج العربي فقد كان الإنكليز يحتفظون بعملاء علنيين،

---

[١]. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٩٩، ٢٥٤.

وسريين، مراقبين أو رجال استخبارات[١]. وقاموا بإنشاء شبكة عملاء تعمل باستمرار في منطقة الخليج العربي كلها. وكان جواسيسهم يتوغلون في عمق الجزيرة العربية وفارس والدولة العثمانية. وفي العقد الثاني من القرن التاسع عشر قاموا بإجراء سلسلة من أعمال الاستطلاع على الخط الساحلي، وفي الجزر، وقاع الخليج، ومصب شط العرب. وكان جل اهتمامهم منصباً على الناحية الغربية من الخليج، حيث كان وضع بريطانيا لا يزال ضعيفاً.

١ استحوذت بريطانيا من خلال معاهدة عام ١٨٢٠ على وظائف رجال البوليس في الخليج. ولهذا تم تشكيل مجموعة من عناصر الاستطلاع للقيام بدوريات في الخليج العربي، وخليج عمان بسفن الأسطول البريطاني. وكان هناك ثلاث سفن تطوف باستمرار على امتداد ساحل الشمال واضعة رأس الخيمة، والشارقة، ودبي وغيرها من المدن تحت نيران مدافعها. كما كان هناك سفينتان تطوفان على خط مسقط – مسندم – البصرة (وكانت إحدى هاتين السفينتين مخصصة للاتصال مع بومباي)[٢].

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

كان المقيم البريطاني في بوشهر يقدم الرخص لممارسة التجارة. ويقوم بجولات تفقدية بصورة منتظمة على امتداد الساحل، ويحكم وينكل، حتى باستخدام السلاح. وفي أثناء هذه الجولات كان يتم استدعاء الشيوخ إلى سفينته لتلقي التعليمات (الأوامر)، وتقديم المعلومات اللازمة للإنكليز. ومما يوضح تبعية الشيوخ التامة للإنكليز أن المقيم البريطاني عندما كان يزودهم بالسلاح مثلاً، كان يحرضهم على الوهابيين

---

١. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ٢٩٠، ٣٢١، ٣٢٧...الخ.

٢. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٩٥– ١٩٧.

الذين زاد نشاطهم في العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر، ثم أخذ يحرضهم فيما بعد على المصريين[1].

بعد أن أصبح الشيوخ صناعاً لدى الإنكليز راحوا يكملون بالتدريج شبكة الوكلاء. ولم يكن الهدف من القيام بالدوريات والجولات التفقدية باستمرار، وبصورة منتظمة يقتصر على مراقبة الملاحة والتجارة، وإنما كان أيضاً لتعزيز ارتباط السوق المحلية ببريطانيا.

عندما أطلق الإنكليز الحجة القديمة "مكافحة القرصنة"، التي أسبغوا عليها معنى أشمل بالشكل الذي يخدم مصالحهم، كان قصدهم التدخل في الشؤون الداخلية لأكثر مناطق الساحل اتساعاً. وفي المرحلة الجديدة راحوا ينظرون إلى "أي إخلال بالأمن والسلام" في الخليج ، وأي نزاع داخلي على أنه قرصنة[2].

ولأنّ الساحل الجنوبي- الغربي للخليج العربي بكامله: من الكويت حتى عمان كان مفعماً، كما في السابق، بالخلافات والنزاعات الإقطاعية، التي كان للإنكليز ضلع فيها، فقد اتسعت منطقة "القرصنة" لدرجة كبيرة.

وإلى جانب الحجج السابقة أخذ الإنكليز يستخدمون حججاً وذرائع جديدة كمكافحة تجارة الرقيق، والحفاظ على السلام والأمن. وهذا يعني في الواقع أن مصير القبائل المحلية بشكل عام، وصاحب كل سفينة بشكل خاص، بات مرتبطاً بشكل تام بتعسف السلطات البريطانية واستبدادها. وأخذ الإنكليز يتدخلون في أي خلاف أو

---

[1]. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ٣٢٢- ٣٢٤، ٣٣١.

[2]. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ١٠٥، ١٠٩، ٢٠١، ٢١٤، ٢٢٩، ٢٢٠، ٢٤٩، ٢٥٤...الخ.

نزاع يقع على أهم سلطة بوليسية. وكانوا يقومون بإيقاف أيّ سفينة وحجزها عند "الاشتباه بها".

وكانت أولى الأوامر في سلسلة الأوامر الخاصة بحجز السفن التي "تحوم حولها الشبهات" بأنها مبحرة "للقيام بأعمال قرصنة" قد صدرت عن المقيم ستانوس، الذي بدأ عمله في الخليج في أواخر عام ١٨٢٣[١]. وفيما بعد أخذت الأوامر ذات التعبير الكبير تصدر عن الحاكم العام للهند إلى قادة السفن والقباطنة الإنكليز بخصوص ما يسمى مكافحة تجارة الرقيق[٢].

وبناءً على هذه الأوامر كان بإمكان قادة السفن إيقاف أيّ سفينة محلية وتفتيشها ومصادرتها في الخليج العربي وخليج عمان. وفي غضون ذلك لم يكن خلو السفينة من العبيد يرفع عنها تهمة المتاجرة بالرقيق. وكان يتم إرسال السفن التي يتم الاستيلاء عليها إلى الهند باستثناء السفن الفارسية والعثمانية.

وكان يتوجب على قبطان السفينة العربي الذي يتم حجز سفينته المثول أمام محكمة إنكليزية في بومباي، حيث يتعين عليه إثبات بطلان التهمة المنسوبة إليه.

وكان قادة السفن البريطانية وقباطنتها ينالون مكافأة عن كل سفينة نخاسة يستولون عليها. وكانت هذه المكافأة مرتبطة بحمولة السفينة (أربعة جنيهات استرليني عن كل طن من حمولة السفينة، حتى وإن لم تكن السفينة تحمل على متنها أحداً من العبيد.

---

١. انظر Kelly J. B.، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

٢. تم إصدار الأوامر في عام ١٨٥٠. انظر [Aitchison C. U.]، مرجع سابق، المجلد التاسع، ص ١٥٤- ١٥٦.

ونتيجة لهذه السياسة التعسفية التي كان ينتهجها الإنكليز أصبح الخليج العربي المكان المفضل لدى الكثير من قباطنة السفن الإنجليزية الذين باتت تستملكهم رغبة حقيقية بالقدوم إليه من أجل كسب الثروة والاغتناء من خلال الاستيلاء على السفن (المشتبه بها). ومن هنا بات واضحاً انعدام إمكانية تبرئة أي مالك سفينة بحريني أمام المحكمة الإنكليزية في الهند. وعادة ما كان مصير السفينة التي يتم الاستيلاء عليها المصادرة ظلماً وبهتاناً. أما صاحبها فإما أن يقع بحالة إفلاس في أثناء النظر في قضيته في المحكمة، وإما أن يضطر لوضع نفسه تحت تصرف الإنكليز، ويقدم لهم كل ما يطلبون من تعهدات.

بعد أن كيَّف الإنكليز نظامهم الاستعماري بما يتناسب مع ظروف منطقة الخليج العربي ثبتوا جذورهم فيها، وأخذوا يتوسعون في عمقها. فالتوسع هو الهدف الذي سعت بريطانيا لتحقيقه في كل مكان، بما في ذلك على قطاعات على الساحل العربي، التي بلغها المستعمرون في السابق، في الثلث الأول من القرن التاسع عشر (على ساحل الشمال مثلاً)، حيث تم تطويق الشيوخ بسلسلة كاملة من المعاهدات.

استمرت الحملات التأديبية بتأدية عملها، حتى وإن لم تكن في الربع الثاني من القرن التاسع عشر بالحجم الذي كانت عليه في عام ١٨١٩- ١٨٢٠. ذلك أن الشيوخ الذين شلَّهم تفوق السلاح الإنكليزي كانوا مجبرين على الخضوع لإرادة بريطانيا العظمى وتحكمها بهم، والإذعان لسياسة إملاء الشروط التي مورست عليهم. ففي عامي ١٨٢٦ و ١٨٢٩ أبقى الإنكليز على عمارة لهم قرب سواحل الشمال للتظاهر بالقوة. وفي عامي ١٨٣٣ و ١٨٣٤ خططوا للتدخل في الشؤون الداخلية للخليج العربي[1].

---

[1]. انظر **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ٢٢٥، ٢٣٤، ٢٣٨.

جدير بالذكر أن محاولات المؤرخين الإنكليز تفسير نشاط عمل الوهابيين تفتقر إلى الأدلة؛ إذ إنّ الوهابيين لم يبسطوا نفوذهم في الثلاثينات كما في بداية القرن التاسع عشر. والدليل أن السيد سعيداً استنصر الإنكليز عندما ركز الوهابيون جهودهم ضده. وعندها راح الإنكليز يقدمون له النصح بالموافقة على المطالب التي عرضها عليه الوهابيون بقيادة عمر بن عفيصان. من هنا يمكن أن نستنتج بسهولة أن ظهور الوهابيين الجديد على مسرح الأحداث لم يكن يقلق الإنكليز، وكان ذلك تحت نظرهم، وأضعفوا تابعهم سعيداً، وعملوا على تصعيد الخلافات المستمرة وتوتيرها أكثر مما هي عليه بين شيوخ الشمال.

في نهاية العشرينات وأوائل الثلاثينات من القرن التاسع عشر أخذ الإنكليز يدخلون تعديلات على فكرة "الدفاع عن الهند". وهنا ادعوا بأن الهند مهددة من قبل الوهابيين، والقوات المصرية، وكذلك من القوات الروسية. وراحوا يثيرون الضجة ويهولون لخطر قادم من جهة الوهابيين، ومحمد علي.

وكان هدفهم من ذلك إخفاء ما يدبرونه من مكائد ودسائس في الجهة الغربية من الخليج العربي، وفي المنطقة الممتدة من البريمي إلى البحرين. أما حديثهم عن التحرك المحتمل للقوات الروسية إلى الخليج العربي براً فكان الغرض منه تثبيت أقدامهم على ضفاف الفرات[1].

---

[1]. كان الإنكليز يتطلعون في هذا الوقت إلى وجود طريق مواصلات ملاحية بين الهند وبريطانيا عبر نهر الفرات. انظر تقرير السفير الروسي إلى وزير الخارجية نيسيل رود المؤرخ في ١٤ مارس عام ١٨٣٦، حيث يتحدث فيه عن مشاريع الإنكليز في جعل محمرة مركزاً لطرق ملاحية بين إنكلترا والهند. الأمر الذي أخبر به أيضاً السفير الروسي المفوض فوق العادة في بلاط الشاه في تقرير رفعه إلى سيمونيتش بتاريخ ٣أغسطس ١٨٣٦.انظر أرشيف سياسة روسيا الخارجية. خزانة وزارة الخارجية، الديوان، ١٨٣٦؛ الاضبارة. ٢٠٤، الورقة ١٩٧.

والواقع أنه لم يكن هناك شيء يهدد سلطة بريطانيا ونفوذها في منطقة الخليج العربي في هذه المرحلة. والدليل على ذلك أن بعضاً من المنافحين عن الاستعمار البريطاني اضطروا للاعتراف بهذه الحقيقة. فمثلاً، ذكر كيلي الذي كرس عشرات الصفحات من كتابه للحديث عن النظرية الإنكليزية التي تتحدث عن التهديد الروسي للهند في الربع الثاني من القرن التاسع عشر بأنه ما من أحد أخذ مثل هذه النظرية على محمل الجد[1].

لقد استخدمت بريطانيا الفكرة القديمة – الدفاع عن الهند بطريقة جديدة من أجل إعداد الرأي العام وإخفاء خطين في السياسة البريطانية: سياسة تثبيت أقدامها في المناطق المحتلة، و"توسيع" دائرة ممتلكاتها في منطقة الخليج العربي.

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

---

[1] انظر Kelly J. B.، مرجع سابق، ص ٢٧٠.

الفصل الخامس

تحويل الخليج العربي إلى "بحيرة بريطانية"

تحددت الاتجاهات الأساسية للسياسية البريطانية في منطقة الخليج العربي في الثلث الأول من القرن التاسع عشر من خلال استمرار الضغط الإنكليزي على فارس؛ والتأثير المتزايد في عمان باسم علاقات الصداقة مع حاكمها؛ والتحكم العلني بساحل الشمال؛ وتوسيع المواقع المحتلة في منطقة البصرة وتعميقها. وقد شمل ضغط بريطانيا على فارس جميع النواحي: السياسية والاقتصادية والعسكرية.

ونتيجة للتحولات الجذرية في السياسة الداخلية والخارجية والمالية والتجارية، التي تتلاءم مع مصالح الرأسمالية الصناعية، أخذت فارس في الثلاثينات من القرن التاسع عشر تسترعي اهتمام بريطانيا كسوق لترويج بضائعها، ومصدر للمواد الخام لصناعتها التي تتطور بسرعة. وفي هذه الأعوام كان التوازن التجاري بينها وبين بريطانيا سلبياً؛ فقد بلغت وارداتها من المنسوجات الإنكليزية ٩٠ % من مجمل وارداتها[١]. إلا أن ذلك لم يرضِ غرور بريطانيا التي طالبت بعقد اتفاقية تجارية، والحصول على حق الحصانة. وركزت جهودها لتحقيق هذا الهدف في مجال السياسة، وهددت بالتدخل العسكري من جهة الخليج العربي.

عندما حاصرت قوات الشاه مدينة هرات في إحدى الحملات الدورية في بداية عام ١٨٣٨، وجدت بريطانيا في ذلك فرصة للتدخل في العلاقات الفارسية الأفغانية،

---

١. انظر: تقرير ديوغاميل إلى نيسيلرود المؤرخ في ١ إبريل ١٨٣٩، في أرشيف سياسة روسيا الخارجية مرجع سابق، الاضبارة ٢٠؛ وكذلك انظر: بلارامبيرغ ي. ف.: استعراض إحصائي لفارس كتبه المقدَّم بلارامبيرغ ي. ف. عام ١٨٤١، سانت بطرسبورغ، ١٨٥٣، ص ١١٠ – ١١٣.

والتوغل في الأراضي الفارسية، خارقة بذلك المعاهدة الأنجلو فارسية الموقعة. وقد عملت بريطانيا من أجل ذلك على ثلاثة محاور. الأول: سارعت في تجهيز قواتها المسلحة في بومباي وإرسالها إلى الخليج العربي؛ الثاني: اجبرت شيوخ عجمان ودبي وأبو ظبي وغيرهم من شيوخ الشمال على تجديد التعهدات التي أخذوها على أنفسهم في عام ١٨٢٠ حول منح الإنكليز حق تفتيش السفن المحلية وحجزها وحتى مصادرتها، وذلك بغية تأمين مؤخرة قواتها. الثالث: عارض ماكنيل، المقيم البريطاني في فارس، حملة الشاه على هرات بشدة، وعمل على الاستفادة من كل ما من شأنه توتير العلاقات الإنكليزية الفارسية بشكل عام[1].

في أواخر أبريل عام ١٨٣٨ اتخذت بريطانيا قرارها باقتحام الأراضي الفارسية. وقد علم ماكنيل بهذا القرار من رسالة وجهها له ماكنوتين، سكرتير الحكومة البريطانية للشؤون الخارجية في الهند في الأول من مايو[2].

وفي ١٦ مايو قدم ماكنيل إلى الشاه مذكرة تتضمن عدداً من المطالب، كان من أهمها عقد اتفاقية تجارية بين بريطانيا وفارس، ومنح الإنكليز حق الحصانة. وفي هذا اليوم وعد الشاه بدراسة جميع مطالب ماكنيل. ومع ذلك استمر هذا الأخير بتصعيد الموقف. وفي ١٨ مايو بعث برسالة تهديد إلى الشاه يطالبه فيها بالتوقيع فوراً على الاتفاقية التجارية.

---

[1]. على سبيل المثال: عدّ ماكنيل قيام دورية عسكرية فارسية بإلقاء القبض على الجاسوس محمد علي الفارسي، الذي خدم الإنكليز على مدى ٣٠ عاماً إهانة للتاج البريطاني. وكتعويض عن هذه الإهانة طالب السلطات الفارسية بتقديم الاعتذارات علناً، وبحقوق حصانة. وبهذا الشكل وجد الإنكليز مسوغا لاحتلالهم جزيرة خرج.

[2].انظر: رسالة ماكنوتين الموجهة إلى ماكنيل، ورسالة الحاكم العام للهند إلى اللجنة السرية لمجلس مديري شركة الهند الشرقية بتاريخ ١ مايو ١٨٣٨. انظر: **Correspondence**، مرجع سابق، ص ٥٠٩– ٥١٠.

وعلى الرغم من أن حكومة الشاه طلبت مناقشة شروط الاتفاقية، إلا أن ماكنيل سلم الشاه إنذاراً نهائياً في الرابع من يونيو، وهو اليوم الذي خرجت فيه القوات الإنكليزية من بومباي. وبعد عدة أيام غادر المقيمية البريطانية قرب هرات، التي أمضى فيها ما يقرب من نصف عام[1].

قبل بداية يونيو من عام ١٨٣٨ تم في بومباي الانتهاء تماماً من تجهيز الفرقاطة "سميراميس" وإرسالها إلى الخليج. وكانت تحمل على متنها ٥٠٠ جندي ومدفعين. كما تم تجهيز المجموعة الثانية [النسق الثاني] من القوات المخصصة وإرسالها لتنفيذ عمليات عسكرية في الخليج العربي. وجرى إسناد مهمة القيادة العامة للعمليات العسكرية في الخليج إلى العقيد شريف، الذي كان يتبع للمقيم البريطاني هنيل في بوشهر. وكان يتعين على هذا الأخير تأمين إنزال القوات البريطانية في جزيرة خرج. وتقرر تعويض مصاريف هذه الحملة على حساب شعوب الهند.

تذكرنا هذه الحملة بحملة مالكولم عام ١٨٠٨. والواقع أن إنزال القوات البريطانية في جزيرة خرج تم في هذه المرة دون حاجة إلى دعم من العمارة البحرية، التي كانت تبحر خلف الحملة. والذي يفسر ذلك قيام الإنكليز سلفاً برشوة الشيخ عبد الله، شيخ خرج. وتواطؤ الشيخ نصر، شيخ بوشهر معهم. وقد كشف أمره ما قام به

---

1. للاطلاع على المذكرتين المؤرختين في ١٦ مايو و٤ يونيو عام ١٨٣٨، وتقرير ماكنيل إلى بالميرستون المؤرخ في ١٧ و٢٥ يونيو حول هذا الموضوع انظر: **Correspondence**، مرجع سابق، ص ١٤٦-١٤٩، ١٧٥-١٨٤. عند عودة ماكنيل من معسكر الشاه راح يبث الإشاعات في كل مكان بغية خرق الهدوء العام. وكان السيد ماكنيل من الصفاقة بحيث أرغم قافلة كبيرة محملة بالمؤن، كانت في طريقها من مشهد إلى معسكر الشاه، على العودة بعد أن أقنع مالكها بأن الجيش الفارسي قد أبيد كله. انظر: الأرشيف التاريخي – العسكري المركزي، الاضبارة مرجع سابق، د ٥٦٤٣٥، الورقة ١٤. وحول استفزازات ماكنيل، انظر: احتجاج السفير الفارسي حسين خان أمام بالميرستون في ٢٢ يونيو عام ١٨٣٨، والرد على منح المملكة البريطانية وسام "بيني" لماكنيل في: **Correspondence**، مرجع سابق، ص ٤٥، و ٥٢.

من تصرفات عندما وصلت القوات البريطانية إلى هناك، ومن ثم نزولها إلى جزيرة خرج. وكذلك فراره فيما بعد إلى الإنكليز. (تجدر الإشارة إلى أن عبد الله، شيخ خرج هو عم نصر، شيخ بوشهر).

اتفقت القيادة الإنكليزية مع عبد الله على إنزال القوات البريطانية في الجزيرة. وعندها أعلن عبد الله أنه يضع نفسه وجميع سكان الجزيرة وما يملكون "تحت تصرف الإنكليز". وأرسل زوارق خاصة لمساعدة القوات البريطانية على الإبرار من الفرقاطة سميراميس. في ليلة التاسع عشر من يونيو رست السفينة قرب الجزيرة، وحتى مساء ذاك اليوم تم إبرار جميع الجنود الذين كانوا على متنها، كما تم نقل جميع الأسلحة والذخيرة إلى الساحل[1].

وهكذا تمكنت القوات الإنكليزية من احتلال خرج عن طريق الغدر والخيانة دون أن تضطر لإطلاق طلقة واحدة. بعد أن تخندقت القوات البريطانية في الجزيرة قرر هنيل إبلاغ والي بوشهر الجديد، ميرزا عباس باحتلال الجزيرة. وطلب منه برياء تقديم المساعدة لقوات الاحتلال. ورداً على ذلك أمر الوالي بمنع إرسال المؤن إلى جزيرة خرج[2].

بعد الدخول إلى معسكر الشاه قرب هرات بعدة أيام ظهر العقيد ستودارت حاملاً تهديد ماكنيل لإبلاغه [إلى الشاه] بإنزال القوات الإنكليزية في جزيرة خرج[3].

---

1. للاطلاع على رسالة هنيل التي أرسلها إلى سكرتير حكومة بومباي من على متن سميراميس من جزيرة خرج في ٢٠ يونيو ١٨٣٨ انظر: **Correspondence**، مرجع سابق، ص ٥١٤.

2. في يوم ٢١ يونيو ١٨٣٨ وجه هنيل رسالته إلى ميرزا عباس وفي اليوم نفسه تلقى الرد. انظر: **Correspondence**، مرجع سابق، ص ٥١٨– ٥١٩.

3. للاطلاع على الرسالة التي وجهها ستودارت إلى الشاه انظر: **Correspondence**، مرجع سابق، ص ١٨٩– ١٩٠.

وبعد أن تلقى الشاه نبأ احتلال خرج من والي فارس أخبر ستودارت في ١٤ أغسطس بموافقته على مطالب ماكنيل. (تجدر الإشارة إلى أنه كانت هناك عمارة سفن إنكليزية إضافية ترسو بالقرب من خرج في الأيام الأخيرة من شهر يونيو). وفي اليوم التالي بدأت القوات الفارسية المرابطة قرب هرات بالاستعداد لرفع حصارها عن المدينة. وهو ما حدث في الثامن والعشرين من شهر أغسطس. وعندها انتقل ستودارت من معسكر الشاه إلى داخل المدينة[١].

كان يتعين على القوات البريطانية الانسحاب من جزيرة خرج بعد رفع قوات الشاه الحصار عن هرات. إلا أن نوايا المعتدين وأهدافهم الحقيقية تكشفت هنا بشكل واضح. فبدلاً من أن تنسحب القوات البريطانية، تضاعف عددها خلال شهرين من رفع الحصار عن هرات[٢].

وبغية تعميق "النزاع بشأن هرات" راح الإنكليز يبحثون في الأشهر اللاحقة عن حجج مختلفة لمماحكة السلطات الفارسية[٣].

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

١. للاطلاع على تفاصيل محاصرة هرات عام ١٨٣٧- ١٨٣٨ انظر: الأرشيف التاريخي (المرجع السابق، د ٥٦٤٣٥، الأوراق ٢٧- ٣٥.

٢. انظر: رسالة هنيل لسكرتير اللجنة المؤرخة في ٢٧ أكتوبر عام ١٨٣٨ في **Correspondence**، مرجع سابق، ص ٥١٥.

٣. من مؤلفات المؤرخين المستشرقين السوفيت، التي تتحدث عن النزاع الأول عن هرات من ١٨٣٧ إلى ١٨٤٢ انظر: على سبيل المثال: أ.ج." أحمد جانوف": رأس جسر هرات في مخططات العدوان البريطاني على الشرق الأوسط وآسيا الوسطى في القرن التاسع عشر (من الثلاثينات إلى الثمانينات)، ملخص رسالة دكتوراه، طشقند، ١٩٥٥. (باللغة الروسية)؛ و م. أ. باباخوجايف: نضال أفغانستان من أجل الاستقلال (١٨٣٨- ١٨٤٢)، موسكو، ١٩٦٠ (باللغة الروسية)؛ وف. م. ماسون، و ف. أ. روموديِن: تاريخ أفغانستان، ٢ مجلد، موسكو، ١٩٦٥ (باللغة الروسية)؛ و.، أ. خالفين: التوسع الإنكليزي في أفغانستان ونضال الشعب الأفغاني التحرري في النصف الأول من القرن التاسع عشر: أفغانستان المستقلة، موسكو، ١٩٥٨.(باللغة الروسية).

في ١٧ نوفمبر عام ١٨٣٨ وقعت في بوشهر اضطرابات وشغب بسبب خلاف بين تجار المدينة وميرزا عباس. والقضية أن ميرزا عباس طالب التجار بدفع ما عليهم من ضرائب. فرد عليه هؤلاء بأن الضرائب تم دفعها للشيخ نصر، والي بوشهر السابق، الذي اختلسها، ولجأ إلى الإنكليز في خرج لحمايته.

وعندما رفض ميرزا عباس تصديق هذا الادعاء أضرب التجار عن العمل، وأغلقت المدينة أسواقها. فأرسل ميرزا عباس جنوداً لإرغامهم على العودة إلى أعمالهم التجارية. وعندها دعا الشيخ حسن، أحد شيوخ المنطقة، التجار إلى مقاومة الجنود بالسلاح. ووقع صدام تبين خلاله أن الجنود كانوا سكارى. ونظراً لأن دين الإسلام يحرم تعاطي الخمر والمسكرات فقد أخذ الناس المحتشدون بتحطيم أقبية الخمر، وكان على رأسهم الشيخ حسن، وقاضي المدينة. وكان من بين هذه الأقبية حانة لبيع الخمر يملكها أحد يهود بوشهر ممن تربطهم علاقة بالإنكليز.

وكان لمجمل هذه الحادثة خلفية محددة؛ وهي أن الإنكليز أخفوا في جزيرة خرج المحتلة والي بوشهر السابق الذي اختلس ضريبة التجار المحليين ولجأ إليهم. ولهذا صب المحتشدون جام غضبهم على صاحب الحانة. وقد تدخل في هذه القضية المقيم البريطاني، الذي يمثل الحكومة البريطانية في فارس رسمياً. وهو من قام بإخفاء الخائن، المختلس لأموال الدولة، الشيخ نصر في جزيرة خرج المحتلة. وصرح بأن كمية الكحول التي كانت مخزنة في الحانة، وتم هدرها، لم تكن مخصصة للبيع، وإنما للتصدير إلى الهند.

وبزعم أن صاحب الحانة يتمتع بحماية بريطانيا فقد طالب المقيمُ بتعويضه عن الأضرار التي لحقت به. غير أن حاكم ولاية فارس، فريدون ميرزا رفض هذا الزعم، على اساس أن صاحب الحانة من مواليد بوشهر، ويحمل الجنسية الفارسية. وعلى

الرغم من أن هنيل أقر بذلك إلا أنه أصر على أن صاحب الخانة يتمتع بالحماية البريطانية كونه يعمل في خدمة الحكومة الإنكليزية[1].

بعد ذلك أخذ الإنكليز يجادلون في قضية أخرى مفادها أن أحد الضباط الإنكليز، ويدعى تود، استأجر منزلاً في طهران. وبعد رحيله عن فارس قامت حكومة الشاه بتحويل هذا المنزل إلى أحد ضباط الجيش الفارسي. وقد اعترض سكرتير الحكومة البريطانية على ذلك وعدّه إهانة للإنكليز. وأخذت الحكومة البريطانية بتضخيم هذه القضية، وطالبت وزير خارجية فارس بتقديم اعتذار رسمي لها وللضابط تود عن ذلك. وبقيت بريطانيا عدة سنوات تبعث بمذكرات احتجاج إلى فارس على هذا التصرف[2].

وفي شهر نوفمبر أعلن ماكنيل قطع العلاقات الدبلوماسية مع فارس وغادرها متذرعاً بأن الحكومة الفارسية رفضت تقديم الاعتذار للضابط تود، وبغير ذلك من الأعذار والحجج المصطنعة. والواقع أن رحيل ماكنيل يظهر أحد أساليب السياسة البريطانية. وبغية تضليل الرأي العام عن حقيقة قطع العلاقات مع فارس ذكرت التقارير السياسية والصحف البريطانية أن قطع العلاقات مع فارس تم بمبادرة فردية من ماكنيل[3].

يعود السبب الرئيس، الذي قطعت بريطانيا علاقاتها الدبلوماسية مع فارس، إلى أن الأولى قامت حتى هذا الوقت بحشد قواها للهجوم على أفغانستان. كما كان عليها

---

[1]. للاطلاع على رسالة هنيل إلى فريدون ميرزا انظر: **Correspondence**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤- ٩.

[2]. انظر: **Correspondence**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٥٦، ٦٥، ٨٤، ٨١.

[3]. انظر: **Correspondence**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٥٢.

إيجاد حجة تسوغ بها استمرار احتلالها للخليج العربي بغية الضغط على فارس من الجنوب، ومنع الشاه من القيام بأيّ مبادرة.

وفي الثاني من فبراير قامت القوات البحرية البريطانية بقيادة الأميرال ميتلاند (Maitland) بتنفيذ عملية إبرار في كراتشي، الميناء الرئيس في السند، بدعم من مدفعية السفن. وقامت البارجة ولزلي (Wellesley) بتوجيه نيران مدفعيتها إلى حصن كراتشي، وألحقت به دماراً هائلاً. الأمر الذي اضطر أمراء السند إلى الإذعان للإنكليز[١].

وفي العشرين من فبراير تقدمت أرتال من القوات الإنكليزية إلى قندهار وكابول. في حين توجهت العمارة البحرية المؤلفة من البارجة ولزلي، وثلاث سفن حربية أخرى، وعدد من سفن النقل إلى بوشهر لاحتلالها. وفي اليوم التالي من وصول الأميرال ميتلاند إلى هناك أصدر أوامره إلى البحارة بنقل كل ما في المقيمية البريطانية إلى البارجة ولزلي مع تجاهل الجمارك. إلا أن الموظفين الفرس اعترضوا طريق البحارة ومنعوهم من نقل الحمولات دون تفتيشها. وعندها توجه ميتلاند مع اثنين من الضباط الإنكليز إلى والي بوشهر وأصر أمامه على نقل الحمولات إلى البارجة دون تفتيشها. وهدد بأن "أي محاولة لمنع نقل الحمولات سيعدها اعتداءً". وإذا ما حاول الوالي تجاهل هذا التحذير وتفتيش الحمولات فإن البحارة والبارجة ولزلي سيقومون بذلك بالقوة. وذكر له ميتلاند أنّ الموظفين الإنكليز كثيراً ما كانوا يمرون من أمام الجمارك لسبب أو آخر دون تفتيش.

---

١. للاطلاع على التفاصيل انظر: ف. ف. آغاييف: الاستعمار الإنكليزي للسند، موسكو، ١٩٧٩ (باللغة الروسية).

كان غرض ميتلاند من ذلك كله جعل اتصالات السفن البريطانية تتم مع المقيمية بصورة مباشرة ودون مراقبة. إلا أن ذلك يعني في الواقع إنزال القوات في بوشهر ومن ثم احتلال الميناء. وهذا ما قاله مدير الميناء لميتلاند. وفي أثناء حديث هذا الأخير مع والي بوشهر لم يُخفِ نواياه العدوانية عندما ذكَّره بأن سفنه هي التي دكت حصن كراتشي.

وفي غضون ذلك قامت مفرزة من الجنود الفرس باحتلال برج يقع على بعد مائة متر إلى اليسار من المقيمية البريطانية، في حين تمركزت مفرزة أخرى خلف متاريس من أكياس رملية إلى اليمين منها. وكان الموقعان يطلان على الميناء. وصدرت الأوامر للقوات المتمركزة في الميناء بعدم السماح للجنود الإنكليز بالنزول من السفن إلى المقيمية. وعندما علم سكان بوشهر وضواحيها بمحاولة قيام القوات البريطانية بتنفيذ عملية الإبرار سارعوا بتقديم المساعدة للجنود الفرس، وكان على رأسهم الزعيم باقرخان[١].

في الخامس والعشرين من مارس حاول الجنود الإنكليز الاستيلاء على مواقع في البر. صعد ٥٠٠ جندي إنكليزي إلى عبَّارات محملة بستة مدافع، وتوجهوا إلى الشاطئ تحت غطاء من نيران مدفعية سفنهم. وكان على الشاطئ، إضافة إلى المئات من الجنود الفرس، حشد كبير من سكان بوشهر المستاءين. وصدرت عن المحتشدين الغاضبين صرخات موجهة إلى المقيم هنيل، والأميرال ميتلاند، والضباط الإنكليز الذين كانوا يقفون بالقرب من المقيمية[٢].

١. انظر: ميرزا جعفر خان، مرجع سابق، ص ٢٩.

٢. وصف لوه هذا المشهد في كتابه بشكل مفصل. انظر: **Low C. R.**، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٠٤.

وعندما اقترب الجنود الإنكليز في العبّارات من الشاطئ تقدم أحد الجنود الفرس إلى الأمام حاملاً بندقية شطف، وأخذ يصرخ بهم ويشير إليهم بحركات إيمائية أن عودوا من حيث أتيتم. وقام أحد الضباط المحيطين بهنيل وميتلاند بانتزاع البندقية من الجندي الفارسي. وعندها انهال سكان بوشهر عليهم بالحجارة التي "أخذت تتطاير بقوة نحو الضباط الإنكليز"[١]. ووقع تبادل لإطلاق النار. ثم اشتركت العبّارات بالرمي من مدافعها. واستطاع ثلاثون بحاراً تقريباً إزاحة الجنود الفرس عن متاريسهم والدخول إلى المقيمية. وعندها نشبت معركة حامية الوطيس سقط خلالها عدد من القتلى والجرحى من كلا الطرفين.

وقد قلل ميتلاند في تقريره من عدد القتلى. أما لوه (Low C. R) فلم يتحدث في مؤلفه، الذي ألقى فيه الضوء على هذا الحدث بنزعة معينة، سوى عن الضابط البحري بروكس، وغيره من الضباط الإنكليز، الذين تعرضوا إلى وابل من الحجارة، وعن عدد من الجرحى الفرس[٢]. أما دوغاميل [أحد ضباط البحرية البريطانية] فيذكر في تقرير له أن الإنكليز خلفوا وراءهم الكثير من القتلى[٣]. وأنهم اضطروا إلى العودة إلى سفنهم نتيجة للمقاومة الشديدة[٤].

وفيما بعد عزم الإنكليز على نقل مفرزة كبيرة من الجند إلى المقيمية البريطانية بمناورة خداعية. إلا أن والي بوشهر سارع إلى محاصرة المقيمية بمفرزة من الجند، وأصدر

---

١. انظر: Low C. R. مرجع سابق، المجلد الثاني، ص١٠٥. وانظر: كذلك تقرير ميتلاند المؤرخ في ١٠ مارس ١٨٣٩ في Correspondence، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص١- ١٠.

٢. انظر: Low C. R. مرجع سابق، المجلد الثاني، ص١٠٥

٣. انظر: أرشيف السياسة الخارجية مرجع سابق، الاضبارة ٢٠، الورقة ١٠٤.

٤. ذكر جعفر خان في مؤلفه حقائق الإخبار أن سكان بوشهر استطاعوا بمساعدة سكان الضواحي طرد الإنكليز، وأخذوا بأنفسهم يراقبون النظام. انظر: ميرزا جعفر خان مرجع سابق، ص ٢٩.

إليها أمراً بالاشتباك مع المحتلين عند نزولهم من العبارات، واعتمد على مساعدة سكان بوشهر وضواحيها. وبذلك ذهبت حسابات الإنكليز للاحتلال أدراج الرياح. ولم يبقَ لهم إلا اختيار أحد أمرين: إما إشراك مدفعية سفنهم في العمليات القتالية وتصعيدها، وإما الانسحاب. فاضطروا لاختيار الأمر الثاني، على اساس أن قواهم غير كافية لاقتحام بوشهر.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أعمال القوات الفارسية كانت محدودة. ذلك أن والي بوشهر ركز اهتمامه الأكبر على حصر المعركة، وليس على القضاء على قوات الإنزال البحري الإنكليزية. ولهذا أتاح المجال أمام الأخيرين للانسحاب إلى سفنهم دون المخاطرة بمطاردهم، أو بقتل البحارة الثلاثين الذين استطاعوا الدخول إلى المقيمية. لكنه أمر في الوقت نفسه ببناء برج يشرف على الميناء والمقيمية معاً. ووضع فيه مفرزة مسلحة بمدفعية. وبذلك حاصر من تبقى من البحارة الإنكليز في المقيمية[1].

أخذ هيجان سكان بوشهر ينذر بالخطر خلال الأيام من ٢٦ إلى ٢٨ مارس، واضطر هنيل للانتقال إلى قاعدة جديدة في جزيرة خرج. وسرعان ما عدّ كل ما جرى إهانة للتاج البريطاني، على الرغم من أن السبب في وقوع هذه الحادثة هو الهجوم الذي شنته قوات ميتلاند، (الأمر الذي لاقى استحساناً من الحكومة البريطانية فيما بعد)[2].

---

[1]. انظر: تقرير هنيل إلى اللجنة السرية لشركة الهند الشرقية المؤرخ في الثاني من إبريل عام ١٨٣٩ في **Correspondence**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٣١.

[2]. انظر: تقرير ميتلاند المؤرخ في ٣٠ مارس ١٨٣٩ في **Correspondence**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ١٠- ١٤، ١٦.

عندما علم حاكم ولاية فارس بما جرى أرسل إلى بوشهر محمد حسن خان على رأس كتيبتين من الجند وعشرة مدافع. وكان من الواضح أن خروج المقيم من المدينة لم يقلل من حقد سكان بوشهر وكراهيتهم للإنكليز، ولا سيما أن تسلط هؤلاء الأخيرين واستبدادهم عم أرجاء فارس الجنوبية كافة[1]. وجاء في أحد التقارير الموجهة من فارس إلى بالميرستون صراحة أن رحيل ميتلاند وهنيل يعد "هروباً وهزيمة للمقيم والأميرال"[2]. ومما زاد من استياء السكان وسخطهم على الإنكليز أن الشيخ نصراً اختبأ في جزيرة خرج، حيث قام هنيل بتهريبه منها.

سرعان ما انتشرت الأخبار عن الأحداث التي شهدتها بوشهر في أرجاء الخليج العربي كافة. وقد بينت تلك الأحداث أن بالإمكان وضع حد لمكائد الإنكليز ودسائسهم باتخاذ إجراءات حازمة. ذكر لوه في مؤلفه أن "الأحاديث بدأت تتناقل فيما بعد في الخليج العربي عن جبن الإنكليز، وكيف أن الفرس الشجعان استطاعوا إلحاق الهزيمة بالبارجة وعمارة السفن البريطانية وطردها مع المقيم إلى جزيرة خرج"[3].

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

[1]. انظر: تقرير الوكيل البريطاني في شيراز إلى هنيل المؤرخ في ٧ إبريل عام ١٨٣٩ في **Correspondence**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ١٤. ويشير تقرير ديوغاميل إلى نيسيلرود المؤرخ في ١ إبريل إلى أن التعزيزات بلغت ١٥٠٠ جندي. انظر: أرشيف روسيا الخارجية، الأرشيف الرئيسي، الخزانة ١-٩، د ٢٠، الورقة ١٠٢. ويذكر بلارامبيرغ أنه كان هناك أيضاً قوات مدفعية لثلاثين مدفعاً (انظرقوائم سانكت بطرسبورغ، ١٨٥٩، رقم ١٨، د ٥٦٤٣٢، الورقة ١٥.

[2].انظر: تقرير شيل إلى بالميرستون المؤرخ في ٢٦ مايو و ٢٢ يونيو ١٨٣٩ في **Correspondence**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٦٧- ٧٢.

[3]. انظر:**Low C. R.** مرجع سابق، مج٢،ص ١٠٥. كان لوه أحد المشاركين في الحملة البريطانية في الخليج العربي آنذاك (شغل منصب قائد العمارة البريطانية من عام ١٨٤٢). وخوفاً من فقدان هيبة الإنكليز عزا هروبهم ليس إلى قوة المقاومة المنظمة، وإنما إلى "محبة" الإنكليز "للسلم".

بعد أحداث بوشهر "أصبحت مهام عمارات السفن البريطانية في الخليج العربي مدعاة للقلق الشديد"؛ وقد تعين عليها القيام بمراقبة صارمة لجميع سواحل الخليج، دون النظر إلى أن الإنكليز قدموا الأموال الطائلة، والهدايا الكثيرة لسكان السواحل بهدف زيادة عدد المناصرين لهم"[1]. كما لجأ الإنكليز إلى تقديم الرشوة للحصول على المؤن التي امتنع السكان عن بيعها لهم. ولهذا اضطروا إلى جلبها من بومباي.

بغية استعادة هيبة الإنكليز التي اهتزت قام ميتلاند ومساعد المقيم البريطاني إدموندز(**Edmunds**) مع الضابط البحري بروكس بحملات تفتيش مفاجئة على امتداد سواحل الخليج العربي مع الدخول إلى المنامة، ولنجة، ورأس الخيمة. وفي هذه الأخيرة أجبروا شيوخ بعض القبائل المحلية على تجديد الالتزامات التي كانوا قد تعهدوا بها من قبل. وبعد شهر، في أواخر مايو من عام ١٨٣٩ أجبر الإنكليز حاكم عمان على التوقيع على اتفاقية جديدة تخولهم الحق بالاستمرار في مراقبة الملاحة في مياه عمان. كما تم إجباره على التوقيع على اتفاقية تجارية جائرة. وفي هذا الوقت تم في عمان إنشاء قنصلية بريطانية. وجرى تعيين النقيب هامرتون أول قنصل فيها[2].

ومن الأسباب التي دعت الإنكليز لزيادة نشاطهم في الخليج العربي عام ١٨٣٩ ظهور الجيش المصري وعلى رأسه محمد علي، الذي عزم على توطيد نفوذه بين شيوخ الخليج العربي. وخلال المباحثات التي كانت تجرى مع الشيوخ حول ذلك، أصر ميتلاند وإدموندز على معرفة مدى العلاقة التي تربطهم بالمبعوثين المصريين. وفي هذا الوقت عمل الإنكليز على الاستفادة ما أمكن من نفوذهم الممتد على المنطقة بكاملها

---

[1]. انظر: تقرير ديوغاميل إلى نيسيلرود المؤرخ في ٢٠ مايو ١٨٣٩ في أرشيف سياسة روسيا الخارجية مرجع سابق، الاضبارة ١٢، الورقة ١٧٠.

[2]. انظر: **Killy J. B.** مرجع سابق، ص ٣٣٦.

من الخليج العربي إلى البحر الأحمر. فقاموا في بداية عام ١٨٣٩ باحتلال عدن "لمنع المصريين من الاستيلاء عليها"[١].

وكانت محاولة شيخ البحرين تأمين نفسه بالحصول على دعم مصر في صراعه ضد عمان سبباً لادعاء الإنكليز امتلاكهم للأرخبيل، والاستقرار في واحة البريمي بدعوى توطيد الأمن والسلم في هذه المناطق.

في يوليو عام ١٨٣٩ قدم شيوخ الشمال تعهداً كتابياً، تحت ضغط جديد من هنيل، وبإيعاز من الإنكليز بالوقوف في وجه قوات خورشيد باشا المصرية، وبعدم إجراء أيّ مفاوضات مع أيّ دولة دون استشارة المقيم البريطاني والحصول على مصادقة بريطانيا على ذلك[٢]. ومما يميز هذه الجولة التي قام بها هنيل وجولته اللاحقة، والجولة الشتوية، والجولات التفتيشية في عمان والشمال قيامه بتوزيع الأرز والسلاح على القبائل.

ومن الواضح تماماً أن هنيل لم يكن يهتم بسد رمق الجائعين من الناس للمحافظة على قوتهم بقدر اهتمامه ببقائهم في المنطقة وعدم رحيلهم عنها. الأمر الذي يمكن أن يغير الموقف بما لا يتناسب مع مصالح الإنكليز. أما قصده من تقديم السلاح لهم فكان لإبلاغ العالم جهراً بأنه لم يعد للقرصنة وجود على ساحل الشمال.

والواقع أن الأسلحة المقدمة للقبائل كانت مخصصة من أجل وقوف القبائل العربية معاً في وجه جيش خورشيد باشا شكلياً. أما في الواقع فقد كانت المحفز على

١. انظر: Killy J. B. مرجع سابق، ص ٣٢٦.
٢. انظر: Killy J. B. مرجع سابق، ص ٣٢١- ٣٢٢.

استمرار النزاعات الداخلية فيما بين هذه القبائل. وقد ظهر نفاق السياسة البريطانية ورياؤها واضحاً عندما أصر هنيل رسمياً على منع جلب الأسلحة إلى الخليج العربي[1].

في الوقت الذي كان هنيل يقوم فيه بجولات تفتيشية في الخليج كان يطالب بإرسال سفن حربية من الهند لوضعها عند القطيف بغية منع مرور أيّ سفينة تحمل عناصر مسلحة إلى سواحل الشمال خلافاً لمصلحة الإنكليز. كما أصر في الوقت نفسه على إظهار القوة العسكرية في الخليج العربي. وعليه فقد توجهت في نهاية عام ١٨٣٩ إلى الخليج العربي ثلاث سفن حربية بريطانية كبيرة. إلا أن تأزم الموقف في الشرق الأقصى أجبر السلطات في الهند على إعادتها.

وفي هذا الوقت كانت الاستعدادات العسكرية تجرى على قدم وساق في الناحية الشمالية من الخليج: من البصرة وبغداد حتى المحمرة. ووجه بالميرستون رسائل إلى محمد علي يحذره فيها من أن البريطانيين سيستخدمون القوة لإجباره على الرحيل عن أيّ قاعدة في الخليج يحاول التمركز فيها[2].

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

على الرغم من زيادة قوة الأسطول البريطاني بإدخال سفن بخارية إلى قوامه فقد بدا للإنكليز في هذا الوقت أن القوات البحرية الموجودة في الخليج العربي وخليج عمان قليلة. وعليه طلب الضابط البحري بروكس من السلطات البريطانية في الهند إرسال سفينتين أو ثلاثاً لإلحاقها بالسفن التي تجوب باستمرار على امتداد الساحل؛ وقال في

---

[1]. انظر: رسالتي هنيل المؤرختين في ١٥ و ٣١ مارس عام ١٨٤٠ اللتين استشهد بهما كيلي على أساس أنهما من أوراق" مكتب الهند". انظر: **Killy J. B.** مرجع سابق، ص ٣٣٤

[2]. انظر: **Killy J. B.** مرجع سابق، ص ٣٢٧- ٣٢٨، ٣١٧.

ذلك: "من الممكن أن تنبثق الحاجة في أيّ لحظة إلى سفينتين أو ثلاث في وقت واحد"[1].

استمر الإنكليز بتعزيز قوتهم في جزيرة خرج. ففي عام ١٨٣٩ وصل عدد قواتهم المرابطة في هذه الجزيرة إلى ثلاثة أو أربعة آلاف رجل. كما جرى نصب المدافع الثقيلة في الجزيرة، وأقيمت التحصينات عليها[2].

وبات من الصعب الآن إقناع أيٍّ كان بمزاعم ماكنيل المزيفة بأن " السبب الوحيد الذي أدى إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين حكومتي لندن وطهران هو رفض الأخيرة إرضاء بريطانيا مقابل الإهانة التي ألحقتها بها بإلقاء القبض على رسول المفوضية البريطانية (أي الجاسوس محمد علي بك)[3].

أما بالنسبة لاحتلال الإنكليز لجزيرة خرج فقد استمر على الرغم من موافقة الشاه على إخراج الحامية من "غوريان"، التي تم احتلالها في أثناء حملته على هرات، وقيام شخصيات رسمية من فارس بتقديم اعتذار إلى بريطانيا التي سبق أن طالبت بها

---

[1]. كان توزيع سفن الأسطول البريطاني في عام ١٨٣٩ الموجودة باستمرار في الخليج العربي على النحو التالي: السفينة الأولى راسية قرب جزيرة خرج، والثانية قرب بوشهر، والسفينتان الثالثة والرابعة تنفذان طلعات دورية منتظمة على امتداد المسافة من الكويت إلى الشمال، والسفينة الخامسة تقوم بالاتصال مع بومباي. انظر: **Killy J. B.** مرجع سابق، ص ٣٢٨.

[2]. انظر: تقرير ديوغاميل إلى نيسيلرود تاريخ ٢٢ يوليو عام ١٨٣٩ في أرشيف سياسة روسيا مرجع سابق، الاضبارة ٢٠، ص ١٧٠؛ وتقرير بلارامبيرغ تاريخ ٢٣ يوليو من العام نفسه في الأرشيف التاريخي- العسكري الحكومي المركزي، الاضبارة ٥٦٤٣٢، الورقة ٣٩.

[3]. انظر: صورة من رسالة بوتسو دي بورغا السرية المستعجلة المؤرخة في٣ إبريل عام ١٨٣٩، وتقرير لنيسيلرود مؤرخ في ١ إبريل عام ١٨٣٩ انظر: تقرير ديوغاميل إلى نيسيلرود المؤرخ في ٢٠ مايو ١٨٣٩ في أرشيف سياسة روسيا الخارجية مرجع سابق، الاضبارة ١٩، الأوراق: ١٠٠، ٢١٢، ٢١٣.

على "الإهانة" التي لحقت بها، وعلى الرغم كذلك من إصدار فرمان تم بموجبه منح موظفي البعثات الإنكليزية العاملة في فارس حقوقاً خاصة[1].

ومع أن بالميرستون صرح علناً بأن البعثات البريطانية ستعود إلى فارس في حال تنفيذ هذه الأخيرة لجميع مطالب لندن، لم يوافق على مناقشة موضوع انسحاب القوات الإنكليزية من جزيرة خرج إلا بعد عقد اتفاقية تجارية. وهكذا بقيت خرج ردحاً من الزمن رهناً بالتوقيع على اتفاقية تجارية. ولم تقدم بريطانيا أيّ وعود بسحب القوات الإنكليزية منها.

أدى نظام الاستعمار الذي فرضه الإنكليز تدريجياً على الخليج العربي إلى وقوع صدامات بين السكان المستاءين والمحتلين الإنكليز، وذلك كما حدث في بوشهر في ربيع عام ١٨٣٩. ولكن للأسف لم يتم العثور في المراجع إلا على بعض الشواهد القليلة الفردية وغير الكاملة التي تشير إلى أن السكان عارضوا تحويل الأراضي الشاسعة المتاخمة للخليج العربي وخليج عمان إلى مستعمرات بريطانية.

وكان من أحد أشكال الاستياء أن السكان المحليين رفضوا بيع المؤن والحاجيات الضرورية للحامية الإنكليزية في خرج. وحدث أن جرى التنكيل بمن أغراه المحتلون بأسعار عالية ليبيعهم المؤن والأطعمة. وبات يتعين على الإنكليز مد وحداتهم العسكرية الكبيرة الموجودة في خرج بمؤن وأطعمة، يأتون بها من بومباي بشكل أساسي.

وقد ارتبط جلب المؤن إلى القوات بمصاريف إضافية كبيرة وصعوبات جمة. ذلك أن القبائل الساحلية التي يدفعها عاملا الحقد والكراهية للمحتلين كانت تستولي على السفن التي تحمل المؤن للإنكليز. والذين تميزوا بهذا العمل هم سكان قبيلة "عسالو"،

---

[1]. انظر: **Correspondence**، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٩١-٩٢.

وسكان " فرّا"، و"البيضاء"، وجزر البحرين وغيرها. وقد ترك انقطاع وصول المؤن أثره السلبي في أوضاع قوات الاحتلال. ولا سيما أن هذه القوات كانت تعاني كثيراً من قسوة المناخ، وانتشار الأمراض. مما أدى إلى ارتفاع كبير في عدد وفيات الحامية الإنكليزية. ولم يكن الجنود يتحملون الخدمة العسكرية في هذه المنطقة أكثر من ثمانية أو عشرة أشهر.

وفي نهاية عام ١٨٣٩ وبداية عام ١٨٤٠ انتشرت الأمراض وتفشت الأوبئة في صفوف القوات الإنكليزية الموجودة في جزيرة خرج، مما أجبر السلطات الإنكليزية على سحبها من الجزيرة، وكادت أن تضطر إلى الرحيل الدائم عنها[١]. إلا أن بريطانيا لم تشأ أن تفلت خرج من يدها نهائياً.ولهذا أرسلت إليها قوات جديدة في مايو ويونيو عام ١٨٤٠على الرغم من انتشار الكثير من الأمراض فيها[٢].

وقبل ذلك بوقت قصير، في ربيع عام ١٨٤٠ أرسلت بريطانيا عمارة جديدة إلى الخليج العربي بغية الضغط على الشاه. وكان في مقدمة هذه العمارة سفينة القيادة "سيزوستريس"، وهي سفينة حربية بخارية دخلت إلى الخدمة حديثاً، وتسليحها مدافع من عيار ثماني بوصات. وقد أثار ظهورها في الخليج العربي، حسب أقوال لوه، القلق في نفوس جميع الشيوخ. وتم إسناد مهمة قيادة هذه العمارة إلى الضابط البحري بروكس، الذي سبق ذكره بصدد الحديث عن الوقائع التي شهدها بوشهر.

دخلت عمارة السفن الحربية البريطانية بقيادة بروكس إلى بوشهر دون أي تصريح من السلطات المحلية. وأحدث ظهورها في الميناء هيجاناً واضطرابات في

---

١. انظر: تقرير ديوغاميل إلى نيسيلرود المؤرخ في ٢ ديسمبر ١٨٣٩. في أرشيف سياسة روسيا الخارجية مرجع سابق، د ٢٠، الورقة: ٢٨٦.

٢. انظر: Low C. R. مرجع سابق، المجلد الثاني، ص١١١.

المدينة[1]. وقدم قائدها احتجاجاً على قيام السكان باعتراض سفن بريطانية كانت تنقل المؤن إلى قوات الاحتلال في جزيرة خرج. وقد عد السكان المحليون، الذين يتصرفون أحياناً بمبادرات ذاتية، هذا الاحتجاج بمترلة تحدٍّ وإظهار للقوة، أو استفزاز من الإنكليز.

وبعد وقوف دام يومين في بوشهر، واعتقاداً منه أنه سيتم إبلاغ الشاه بعرض القوة والتحدي، توجه بروكس في حملة تأديبية إلى الخليج. وبالقرب من البحرين أمر بفتح نيران مدفعية السفينة سيزوستريس على الساحل. وكان هذا القصف كفيلاً بتهيئة الشيخ المحلي بالشكل المناسب للدخول في مباحثات متعاقبة مع بروكس، الذي طالب خلالها بمعاقبة من تعدى على مؤن الحامية الإنكليزية في خرج وإمداداتها. وأصر على أن يتم تعويض القوات من الموارد المحلية[2].

بعد ذلك توجهت العمارة إلى "البيضاء"[خور]، الذي تعرض هو أيضاً إلى قصف مدفعي شديد. وبعدها دخلت إلى صير [صير بني ياس]، وأبو الأبيض، وأبو ظبي، ودبي (وهذه الأخيرة تعرضت أيضاً إلى قصف بمدفعية السفينة سيزوستريس). وكذلك إلى الشارقة، وأم القيوين حيث تم استدعاء شيوخ القبائل القريبة إلى متن السفينة التي استعرض الإنكليز أمامهم [لإرهابهم] قوة مدفعيتها. وهكذا مرت العمارة على امتداد سواحل الخليج وفرضت على بعض الشيوخ إرادة المستعمر بإظهار القوة له، وعلى البعض الآخر باستخدام هذه القوة (نيران مدفعية السفن) ضده.

بعد انسحاب حامية الشاه من "غوريان" في مارس عام ١٨٤١ لم يعد للحكومة البريطانية أيّ حجة للاستمرار في احتلال جزيرة خرج. ومع ذلك لم تعتزم سحب

[1]. انظر: Low C. R. مرجع سابق، المجلد الثاني، ص١٣٦.
[2]. قام لوه بالإبلاغ عن واقعة المباحثات. انظر: Low C. R. مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٦٨.

قواهما، بل على العكس تماماً؛ عزم المحتلون على البقاء في الجزيرة بشكل دائم. ولهذا قاموا بنصب بطاريات المدفعية الثقيلة. وخلال السنوات الثلاث الماضية بنوا الثكنات الحجرية، وشقوا الطرق، واخذوا يتمركزون في الجزيرة بقوة.

ناقش المسؤولون الإنكليز، الذين شاركوا في احتلال جزيرة خرج، إمكانية الاستقرار فيها. وأعلن الحاكم العام للهند أوكلند جهراً أن جزيرة خرج "يجب أن تصبح سنغافورة الخليج العربي"[1].

واقترح بعض الغزاة "من ذوي الهمة العالية" على الإدارة الإنكليزية في الهند أن يقدم للشاه شرطاً لا يمكنه تحقيقه لقاء الانسحاب من خرج، واستخدام ذلك حجة لبقاء احتلالها، أو شرائها من حكومة الشاه، أو إيجاد أيّ طريقة أخرى للبقاء فيها. أما أصحاب العقول المتبصرة فقد رأوا أن رحيلهم عن خرج سيتم إن عاجلاً أو آجلاً. ولهذا فكروا سلفاً في العثور على قاعدة بديلة مناسبة لهم في الخليج. ولهذا قام إدموندز في بداية عام ١٨٣٨ بتفقد جزيرة فيلكة الواقعة بالقرب من سواحل الكويت لمعرفة مدى صلاحيتها لأن تكون قاعدة بديلة. لكنه وجد أن ميناءَها مكشوف للرياح الشمالية الشرقية، والجنوبية الشرقية. مما يعني أنها لا تصلح لأن تكون قاعدة بحرية عسكرية.

وعندما وجد الإنكليز أنفسهم مضطرين للجلاء عن جزيرة خرج في شباط – إبريل عام ١٨٤١ أعادوا التفكير مرة أخرى في الانتقال إلى قاعدة جديدة في الكويت. إلا أن المناخ القاسي لهذه المنطقة، وعدم توافر المياه الحلوة جعلهم يتخلون عن هذه الفكرة. وكثيراً ما ناقشوا فكرة إنشاء قاعدة بحرية في أرخبيل البحرين ومدى إمكانية تحقيق ذلك. لكنهم وجدوا أن من غير الممكن تنفيذ مثل هذه المخططات في ذلك

---

[1]. انظر: Kelly J. B. مرجع سابق، ص ٣٤٧.

الوقت، ليس بسبب قسوة مناخ الأرخبيل فحسب، إنما بسبب العداء الشديد الذي يكنّه لهم سكان البحرين[١].

نتيجة للتبرم العام من الإنكليز في الولايات الجنوبية لفارس وجد المحتلون في نهاية الأمر أنه لم يعد لهم أي أمل في البقاء في خرج. وبعد التوقيع على الاتفاقية التجارية مع فارس في أكتوبر عام ١٨٤١، التي طالب الإنكليز بعقدها، أخذوا يماطلون في سحب قواهم من خرج مستخدمين شتى الذرائع والحجج. لكنهم في الوقت نفسه كانوا يخشون من انفجار غضب السكان عليهم حتى وإن كانوا متمترسين بقوة خلف أسوار التحصينات التي شيدوها.

قبل التوقيع على الاتفاقية التجارية مع فارس عام ١٨٤١ كتب الضابط البحري دوغاميل في إحدى رسائله مقيِّماً الرأي العام في فارس يقول: "لن تصدقوا إلى أي مدى أصبحت العقول هنا مهيجة ضد الإنكليز؛ فالجميع هنا يتحدث عن أن كل ما قدمته فارس من تضحيات، وتنازلات لم يسفر عن شيء... كما بقيت جزيرة خرج، وغيرها من جزر الخليج محتلة، كما في السابق من قبل الإنكليز. وكان المبعوثون الإنكليز يتجولون في البلاد، ويثيرون فيها الشغب والهيجان والاضطرابات، في حين كانت الحكومة البريطانية تدعم ثورة آغاخان في ولاية كرمان بالمال. ويعمل الإنكليز من خلال المال على إثارة الاضطرابات والشغب في خراسان. ومنذ مدة قريبة أوعزوا إلى البعض بالهجوم على هرات.

وأخيراً ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنه لا يوجد حتى الآن من يقدم الحماية للأمراء الفرس الذين لجؤوا إلى بغداد سوى الإنكليز، الذين جعلوا من هؤلاء الأمراء "الغول" الذي يخيفون به فارس"[١].

---

[١] انظر: **Kelly J. B.** مرجع سابق، ص ٣٣٨-٣٤٧.

إذا ما أضفنا إلى ذلك كله: أن التنازلات المنتزعة من فارس بالقوة هي التي أسفرت عن إغراق أسواقها بالبضائع الإنكليزية، مما أثر سلباً في الصناعة المحلية؛ وأن منح حق الحصانة هو الذي أتاح للإنكليز إمكانية الاستمرار في حياكة الدسائس وتدبير المكائد والتدخل في شؤون فارس الداخلية، مما ساعدهم على الاستمرار في احتلال جزيرة خرج؛ وأنه كلما قدمت الحكومة الفارسية تنازلات أكثر للإنكليز، زاد هؤلاء من اعتراضاتهم واحتجاجاتهم، كما هو واضح للجميع، يمكن عندها إدراك سبب تشكل جو عاصف في فارس هدد الإنكليز قبل عام ١٨٤١.

في منتصف ديسمبر عام ١٨٤١ سارعت القيادة الإنكليزية بإرسال عمارة بحرية إلى الخليج العربي لسحب قواتها فوراً من خرج؛ إذ أخذ الحاكم العام للهند يتلقى الأنباء المنذرة بالخطر المتزايد من نهاية شهر نوفمبر وبداية ديسمبر. وكان من الممكن أن تقع كارثة على الإنكليز في الخليج العربي أيضاً.

يدل قوام العمارة البحرية، التي أرسلت لإجلاء القوات البريطانية على الخوف الشديد، الذي اعترى الإنكليز. وبذلك فقط يمكن إرجاع السبب في إرسال أحدث السفن البخارية، التي غالباً ما يتم استخدامها في المعارك البحرية عوضاً عن سفن النقل العادية[٢]. وخلال شهري يناير وفبراير عام ١٨٤٢ تم تحميل هذه السفن بالقوات والمدافع الثقيلة، التي سبق أن نصبها المحتلون في الجزيرة أملاً في بقائهم فيها بشكل دائم. وبعد ذلك شقت السفن طريقها عائدة إلى الهند.

---

[١]. الرسالة موجهة من دوغاميل إلى الجنرال غولوفين في صيف عام ١٨٤١. انظر: "الأرشيف الروسي"، مجلدان، سانت بطرسبورغ، ١٨٨٥. ص ١٢٥.

[٢] دخل في قوام هذه العمارة البحرية، التي كانت تحت قيادة لوه السفن: أوكلند، وكوت، ورويال تايغر، وماغي وغيرها. انظر: **Low C. R** مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٦٨.

بغية إيجاد حجة في المستقبل للعودة إلى خرج تمكن الإنكليز من الحصول على موافقة الشاه على إنشاء محطة فحم فيها؛ لتزويد سفنهم التي تطوف في القسم الشمالي من الخليج. إلا أن هيجان النفوس المناوئة للإنكليز الذي اعترى حتى الأوساط المقربة من بلاط الشاه، ولا سيما بسبب الأحداث الأفغانية في عام ١٨٤١- ١٨٤٢ أجبر الإنكليز في النهاية على التخلي حتى عن هذا المشروع في عام ١٨٤٤[١].

وجهت الصحف في لندن، التي لم تتصور جيداً التوترات التي حدثت في فارس في الأشهر الأخيرة، احتجاجات على هروب القوات الإنكليزية من خرج، وانتقدت بصراخ المجازفة وعدم التبصر في الانسحاب من هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة المطلة على بوشهر ومصبات شط العرب.

ورأت التايمز أن بريطانيا تستطيع إعادة احتلال خرج في المستقبل دون إثارة تعقيدات دولية، كونها سبق لها أن احتلتها. وبعبارة أخرى رأت هذه الصحيفة أن إخفاق بريطانيا في الإبقاء على احتلالها لجزيرة خرج في هذه المرة لا يمنع قدرها المحتوم: وهو أن تصبح ملكاً لبريطانيا. وعلى العالم بأسره أن يعترف بذلك. وكتبت هذه الصحيفة أيضاً لو أن إنكلترا تملك هرمز الواقعة على أحد طرفي الخليج العربي، وخرج الواقعة على الطرف الأخر له "لأمكن أن يصبح هذا البحر الداخلي بحيرة بريطانية عملياً"[٢].

بعد إخفاق الإنكليز في محاولة الاستيلاء على رأس الجسر الحربي على سواحل فارس، وتخلصهم بصعوبة من المغامرة في أفغانستان، راحوا يعملون على تشكيل مستعمرات على الساحل العربي للخليج العربي وخليج عمان، وربط بعض نقاط

---

١. انظر: **Killy J. B.** مرجع سابق، ص ٣٥٠.

٢. انظر: **Low C. R** مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٦٨.

الاستناد أو القواعد المنتشرة بين مسقط وقطر في سلسلة واحدة. وبإيعاز منهم أقدم شيوخ الشمال في عام ١٨٤٣ على عقد هدنة مؤقتة، وهي ما سميت بمعاهدة سلام لعشرة أعوام.

واستناداً إلى هذه المعاهدة أصبحت السلطات الإنكليزية صاحبة الأمر والنهي في الخليج. وقد ألزمت هذه المعاهدة الشيوخ بعدم اللجوء إلى السلاح حتى ولو تعرض أحدهم إلى هجوم من الآخر. ففي هذه الحالة ما على المتضرر سوى اللجوء إلى المقيم البريطاني، أو قائد العمارة الراسية في جزيرة قشم وإعلامه بذلك مع تخويله حق تقرير مصير إمارته[١].

وفي الوقت نفسه فرض الإنكليز على السيد، حاكم عمان، التوقيع على معاهدة شبيهة. وبعد مرور ثلاث سنوات على التوقيع على معاهدة الهدنة المؤقتة هذه وقع جميع الشيوخ، الحكام المحليين، على معاهدة جعلت حياة قبائل الساحل العربي في تبعية تامة لبريطانيا.

في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات من القرن التاسع عشر "كوَّر" الإنكليز مستعمراتهم وأحاطوا الخليج العربي وخليج عمان بطوق من ناحية الجنوب. وكانت البحرين الحلقة الوحيدة التي أفلتت من سلسلة هذا الطوق مدة طويلة من الزمن.

من الأعمال التي قام بها الإنكليز لتوسيع مستعمراتهم في منطقة الخليج العربي، والتي انتشرت أخبارها بشكل واسع، فرض حمايتهم على البحرين. الأمر الذي أوجد

---

١. انظر: **Aitchison C.u.** مرجع سابق، المجلد العاشر، ص ١٣٥.

الكثير من الكتب ولا سيما لمؤلفين إيرانيين من مؤرخين وخبراء في القانون الدولي كتبوا بإسهاب عن تاريخ محمية البحرين[1].

عندما أخفقت بريطانيا في محاولاتها الاستيلاء على خرج في أوائل القرن التاسع عشر أخذت تنظر إلى البحرين كبديل لها. وفي نهاية العقد الأول من القرن نفسه فرض ممثل بريطانيا ويللوك وساطته على فارس بخصوص علاقاتها مع البحرين[2]. وكان في نية بريطانيا إخضاع هذا الأرخبيل إلى نفوذها بالشكل الذي أخضعت فيه عمان ومشيخات الشمال؛ أي بإثارة النزاعات الداخلية؛ وبالتدخل بالشؤون الداخلية، والسياسة الخارجية للإمارات؛ وبفرض التعهدات والالتزامات عليها؛ وبدفع الحكام المحليين للإعلان عن استقلالهم، الذي ما هو في الواقع سوى إعلان عن التبعية لبريطانيا.

أدرك شيخ البحرين الأساليب التي ينتهجها الإنكليز في استعمارهم في عام ١٨٢٠، عندما تم إجباره مع أخيه الشيخ سلمان (توفي عام ١٧٢٥) الذي يشاركه في الحكم على التوقيع على المعاهدة العامة التي سبق ذكرها، بعد أن أحرقت نيران مدفعية سفنهم مراكب سكان البحرين، الذين يعملون كما هو معروف بالمهن البحرية.

عندما أدرك الشيخ عبد الله عجزه عن الصمود وجهاً لوجه أمام الإنكليز توقف على مدى عشرين عاماً ونيف من حكمه عن محاولة إعلان نفسه مستقلاً عن فارس، بل على العكس؛ كان دائماً ما يعبر عن تبعيته لحكومة الشاه. وهذا الموقف الذي اتخذه الشيخ عبد الله وضع حاجزاً حال دون تدخل الإنكليز في شؤون البحرين. ولهذا عمل

---

١. من هذه الكتب مؤلفات لكل من غورغاني، وفاروقي، وتاج باخش وآدميات (انظر: البيلوجرافيا)

٢. مقتبسات من رسائل ويللوك استشهد بها آدميات على أساس أنها وثائق من مكتب شركة الهند الشرقية انظر: Adamiyt F مرجع سابق، ص ٨٩– ٩٠.

هؤلاء كل ما في وسعهم لدفع حاكم عمان السيد سعيد، التابع لهم للقيام باستفزازات عسكرية ضد الشيخ عبد الله.

وفي الوقت نفسه عملوا، بداية سراً، ومن ثم جهراً، على قطع أيّ علاقة لفارس بجزر البحرين، ومنعوا حاكم فارس من القيام بأيّ حملة ضد البحرين؛ إذ كانت حكومة الشاه تدعي بأن لها الحق بالسيادة على البحرين(١).

وهذا سبب آخر دفع الإنكليز للحيلولة دون امتلاك الشاه لأسطول بحري خاص به. كما ألغو الاتفاقية التي وقعوها مع فارس في شيراز، كونها تقر بتبعية جزر البحرين لإقليم فارس(٢).

١. إن الادعاءات الإيرانية بالسيادة على البحرين تستند إلى حجتين يمكن تفنيدهما بسهولة وهما:

أ- أن البحرين كانت دوماً جزءاً من فارس باستثناء المدة التي خضعت فيها للاحتلال البرتغالي ١٥٠٧-١٦٠٢؛

ب- اتفاقية ١٨٢٢ المعقودة بين أمير شيراز والمقيم البريطاني وليم بروس، التي عدّ فيها الأخير البحرين جزءا من بلاد فارس. إن الرجوع إلى المصادر التاريخية الموثوقة كفيل بتفنيد الحجة الأولى، وإثبات عروبة البحرين. فقد استوطن عرب من اليمن منذ سنة ١٩٠٠ ق.م. وفيما بين القرنين السابع والحادي عشر الميلاديين كانت البحرين جزءا من الدولة العربية الإسلامية، وبعد سقوط الخلافة العباسية حكمت البحرين، بسبب قربها من الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية من قبل اسر عربية مختلفة حتى بداية القرن السادس عشر عندما احتلها البرتغاليون. ومع أن الفرس احتلوا البحرين بين ١٦٠٢ و١٧٨٣ إلا أن سيادقم عليها لم تكن مستمرة. أما فيما يخص اتفاقية شيراز فلا يمكن الركون إليها كوثيقة رسمية........ انظر: مصطفى النجار وحسين القهواتي وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٠٠- ٢٠١عن **Al-Baharna; op. cit., pp.** ١٦٨-١٦٩؛ أو محمود شاكر، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٨٠ .... المترجم

٢. في الواقع لم يكن ذلك السبب في إلغاء اتفاقية شيراز، التي يعلق الكتاب الإيرانيون عليها أهمية بالغة، وإنما السبب يعود لعدة أمور أرى من أهمها أن الكابتن بروس الذي وقع هذه الاتفاقية عن الجانب البريطاني لم يكن مخولاً من حكومته بتوقيع هذه الاتفاقية، بدليل أن حاكم بومباي الفنستون أصدر قراراً بعزله من منصبه كمقيم سياسي في الخليج بعد توقيعها. كما أن في نصوص هذه الاتفاقية ما يتعارض مع معاهدة السلام العامة التي انضم

وهكذا أخذ الإنكليز يتحولون من سياسة الصمت إلى سياسة المجاهرة بشكوكهم في تبعية جزر البحرين. وعززوا ذلك بتدخلهم المباشر في شؤون البحرين، وبالضغط العسكري على فارس. وأخيراً انتقلوا إلى تهديد حكومة الشاه بإعلامهم أن أي عمل عسكري تهدف من ورائه إثبات سلطة فارس على البحرين سيجابه بنيران مدفعية السفن[1].

كانت الاستفزازات الإنكليزية تلقى نجاحاً نسبياً في بعض الأحيان. وقبل نهاية العقد الثالث من القرن التاسع عشر شن الإنكليز هجوماً سافراً على البحرين. وقد انعكس تحضيرهم الإيديولوجي على صفحات أوراق الموظفين الإنكليز الذين أخذوا يبحثون عن كل ما من شأنه تمكينهم من بسط سيطرتهم على البحرين. ففي عام ١٨٣٩ ذكر المقيم البريطاني هنيل في تقاريره التي أرسلها إلى الهند أن الاحتلال البريطاني للبحرين، ووجود حامية في البريمي يمكن أن يشكل سداً يحول دون تقدم قوات خورشيد باشا المصرية.

وفي الوقت نفسه اقترح بالميرستون القيام باحتلال جزر البحرين "حتى ولو بشكل مؤقت". وقال في هذا الخصوص: "إن الاستيلاء على قاعدة دائمة في الخليج لا يعزز المواقع البريطانية ويزيد من قوتها فحسب، بل يتيح للحكومة البريطانية إمكانية التأثير بشكل فعال في سياسة الجزيرة العربية، وربما فارس أيضاً"[2].

إليها شيوخ البحرين. وتجدر الإشارة هنا إلى أن حكومة الشاه أيضاً رفضت المصادقة على هذه الاتفاقية. للاطلاع على التفاصيل الخاصة باتفاقية شيراز وأسباب رفضها انظر: جمال زكريا قاسم، مرجع سابق، مج ١. ص ٣٨٦- ٣٩٠ .... المترجم.

[1]. انظر: **Adamiyt F** مرجع سابق، ص ١٣١.

[2]. تقارير هنيل من نوفمبر إلى ديسمبر عام ١٨٣٩ استشهد بها كيلي على أساس أنهما من وثائق " مكتب الهند". انظر: **Killy J. B.** مرجع سابق، ص ٣٣٠. وكذلك انظر: مضمون تعليمات بالميرستون التي

عندما انتقل الإنكليز من وضع الخطط إلى تنفيذها واجهوا شيخ البحرين عبد الله بحفيدي أخيه: محمد بن خليفة وعلي، وأعانوهما على طرد الشيخ المسن عام ١٨٤٣ [١]. وبحثاً عن الدعم لمواصلة الصراع ضد خصومه وعودته إلى الحكم لجأ الشيخ عبد الله، مع مناصريه في عدد من السفن إلى بوشهر، ومنها إلى الدمام على أمل جمع شيوخ الساحل الجنوبي إلى صفه[٢]. وقد أخلص الكثيرون له، بمن فيهم حاكم القطيف، إحدى أكبر المدن، التي كان الشيخ عبد الله يرسل القوات منها على مدى عدة سنوات ضد خصومه[٣].

وفي العام نفسه (١٨٤٣) أعلنت بريطانيا مباشرة عن "حقوق" لها في البحرين. وتم الإعلان في الأوساط الحاكمة البريطانية عن أن "احتلال الفرس للبحرين يتعارض مع المصالح الحيوية للبريطانيين"[٤]. أما الممثلون الإنكليز في فارس فقد طالبوا هذه الأخيرة "بلهجة آمرة مهينة، كدأبهم" بإبراز الأدلة التي تثبت حقهم في البحرين. وهنا حق لآدميات تماماً أن يشير في هذا الصدد إلى أن بريطانيا استندت في طلبها هذا على قوتها وقال: "لو كانت فارس قوية لطالبت بريطانيا الدخيلة بتقديم الأدلة التي استندت إليها وجعلتها تتدخل في شؤون البحرين، وتعلن أنها لها حقوقاً في البحرين"[٥]. وعندما

استشهد بها كيلي على أساس أنها من أوراق "مكتب الهند". انظر: **Killy J. B.** مرجع سابق، ص ٣٣٤- ٣٣٥، ٣٣٧- ٣٣٨.

١. للتعرف على الاضطرابات التي احدثها الإنكليز في البحرين انظر: تقرير دولغاروكوف إلى نيسيلرود في: أرشيف سياسة روسيا الخارجية مرجع سابق، الاضبارة ١٧٧، الورقة: ٣٥آ.

٢. انظر: **Adamiyt F** مرجع سابق، ص ١٢٧.

٣. انظر: غورغاني مرجع سابق، ص ٦٦.

٤. كلمة اللورد أبيردين الذي كان آنذاك يدير السياسة البريطانية في الشرق الأوسط. وقد أوردها آدميات في كتابه على أساس أنها أوراق من (وزارة الخارجية)، انظر: **Adamiyt F** مرجع سابق، ص ١٣٠.

٥. انظر: **Adamiyt F** مرجع سابق، ص ١٣٠، ١٣١.

قدم وزراء الشاه ما يبرهن على حق فارس، رأى الإنكليز ذلك بالطبع غير كاف. ونتيجة لذلك تم تحويل النزاع على البحرين إلى ميدان القانون الدولي[١].

في حين كانت المباحثات تجرى حول كفاية الأدلة والحقوق، اتخذ التدخل الإنكليزي في النزاع الداخلي بين شيوخ البحرين طبيعة النزاع المسلح. وبحجة مكافحة القرصنة التي تتذرع بها بريطانيا كدأبها[٢] قام الضابط البحري الإنكليزي هوكيتز في بداية عام ١٨٤٥ بهجوم بسفينتين على جزيرة تقطنها قبيلة "عمير" الصغيرة بالقرب من القطيف. (تجدر الإشارة إلى أن كيلي يرى أيضاً أن من غير العدل الادعاء بوجود قرصنة في الخليج العربي في الأربعينات من القرن التاسع عشر)[٣]. وبالطبع لم يكن هذا الهجوم رداً على أعمال قرصنة إطلاقاً؛ وإنما لأن شيخ هذه الجزيرة الهامة من الناحية العسكرية رفض الخضوع لمحمد بن خليفة، ووقف إلى جانب الشيخ عبد الله. ونتيجة لهذا الهجوم استولى الإنكليز على سفن هذه القبيلة. وفيما بعد وافقوا على إعادتها لأصحابها، ولكن بعد أن طالبوهم، كما يفعل القراصنة الحقيقيون تماماً، بدفع فدية تزيد عن ألفي روبية.

وبحجة مساعدة شيخ البحرين على تثبيت سلطته على الساحل الجنوبي للخليج العربي طلب هنيل من حاكم القطيف تسليم إدارة هذا القطاع من الساحل إلى محمد ابن خليفة. وعندما رفض حاكم القطيف ذلك بشكل قاطع ما كان من هنيل إلا أن أرسل إلى الجزر في عام ١٨٤٦ طرادين حربيين وهدد بالقيام بأعمال حربية. إلا أن

---

١. أرشيف سياسة روسيا الخارجية. خزانة وزارة الخارجية، الديوان، الاضبارة.١٧٧، الورقة ٣٥أ.

٢. صاحب هذه الحجة المزيفة هو لوه، قائد العمارة البريطانية في الخليج العربي سنة ١٨٤٢. انظر:**Low C. R.** مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٢٤.

٣ انظر:. **Kelly J. W.** مرجع سابق، ص ٢٥١.

شيوخ الساحل الجنوبي لم يذعنوا للتهديد الاستفزازي. واستعدوا للتوجه مع أتباعهم إلى البحرين بقيادة عبد الله وطرد الشيخ محمد بن خليفة منها.

وفي عام ١٨٤٧ نزل عبد الله ومن معه في البحرين فاضطر محمد بن خليفة إلى اللجوء لمن يحموه. وقد تكفل بهذه المهمة لوه، قائد العمارة البريطانية الراسية في الخليج العربي. وكدأب السياسة البريطانية كان تدخل لوه استفزازياً. وأمر خصوم محمد بن خليفة بعدم البدء بالمعركة إلى أن يحصلوا على إذن المقيم البريطاني بذلك. وتوعد لوه من يخرج عن الطاعة ومخالفة هذا الأمر بصب نيران مدافع سفنه عليه. وبذلك حصل محمد بن خليفة على الوقت لجمع قواته.

وفي غضون ذلك استغل المقيم البريطاني هنيل وضع صنيعته، محمد بن خليفة الحَرِج، وأجبره على التوقيع على تعهد يمنح الإنكليز بموجبه حق تفتيش سفن البحرين، وحتى مصادرتها واستخدامها في مكافحة تجارة الرقيق. كما طلب منه الانضمام إلى اتفاقية الهدنة المؤقتة التي مدتها عشرة سنوات، التي وقعها شيوخ ساحل الساحل الجنوبي الشرقي في عام ١٨٤٣. "تتعهد إنكلترا حسب هذه المعاهدة بحماية الأرخبيل من هجوم حكام آخرين عليه. أي إنها فرضت حمايتها على البحرين".

رفض محمد بن خليفة الطلب الثاني لهنيل بشكل قاطع، ووافق مرغماً على الطلب الأول الخاص بتفتيش السفن البحرينية، ومصادرتها. أرجأ هنيل مسألة فرض الحماية على البحرين إلى فرصة أفضل. وعندما وجد المقيم البريطاني أن توازن القوى أصبح في مصلحة محمد بن خليفة "تكرم بالسماح" للشيوخ ببدء المعركة. انهزم في هذه

المعركة حلفاء الشيخ عبد الله، وقتل الشيخ نفسه[1]. في هذه الظروف عزا الإنكليز إلى أنفسهم حق إيقاف سفن شيخ البحرين التي يشتبه بأنها تتاجر بالرقيق، ومصادرتها[2].

يعد إجبار الإنكليز للشيخ محمد على التوقيع على هذا التعهد خرقاً للمعاهدة الأنجلو فارسية الموقعة عام ١٨١٤؛ إذ تنص هذه المعاهدة على عدم تدخل الإنكليز في الشؤون الداخلية لإمارات الخليج العربي، أو عقد اتفاقيات معها. وقد كان شيخ البحرين آخر حكام هذه المنطقة الكبار نسبياً، الذي أجبرته بريطانيا على الخضوع لها والامتثال لأوامرها ومصالحها. وبعد أن حصل الإنكليز على حق البحث عن السفن البحرينية ومصادرتها بحجة مكافحة تجارة الرقيق استغلوا هذا الحق لتحويل جزر البحرين إلى قاعدة أو مرسى لأسطولهم، والتدخل في الشؤون الداخلية للمنطقة.

بعد أن قدم الإنكليز الدعم لمحمد بن خليفة في نزاعه مع الشيخ عبد الله سارعوا بالمطالبة بثمن خدماتهم له. فقد أمر المقيم البريطاني هنيل بأن تحضر إلى المنامة – المدينة الرئيسة في البحرين مجموعة كبيرة من التجار وغيرهم من الشخصيات الكبيرة، التي اتخذت في السابق موقفاً معارضاً للشيخ محمد بن خليفة، مما أدى إلى طردهم من البحرين، أو فرارهم منها خوفاً من معاقبة الشيخ لهم. وطلب بورتير، قائد العمارة البحرية الإنكليزية (الذي حل محل لوه في عام ١٨٤٨) من محمد بن خليفة القبول بهم لديه، وعدم معاقبتهم مستقبلاً[3].

[1]. انظر: **Low C. R** مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٢٥.

[2]. انظر: تعهدات شيخ البحرين بتاريخ ٨ أغسطس عام ١٨٤٧ في **Aitchison C.u.** مرجع سابق، المجلد العاشر، ص ١٣٤.

[3]. انظر: **Low C. R** مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٢٦.

وفي الوقت نفسه ألمح للشيخ أن بريطانيا هي التي تملي شروطها في الخليج العربي على جميع الشيوخ. وبهذا الإجراء ضمن بورتير نشر شبكة استخباراتية تعمل لمصلحة بريطانيا. بعد ذلك تذرع بورتير بمكافحة القرصنة وشن هجوماً على إحدى جزر الأرخبيل مدعياً أن رجالاً منها قاموا بعملية قرصنة، ونهبوا سفينة عند رأس تنورة، كانت متجهة إلى القطيف، وطالب الشيخَ بتعويض مالي عن الحمولة التي زعم أنها منهوبة.

أرسل الشيخ محمد بن خليفة، الذي أساءه هذا التصرف التعسفي من بورتير رسلاً إلى المقيم البريطاني هنيل، وحملهم عريضة بالمظالم التي لحقت به. إلا أن المقيم البريطاني رأى في هذا التظلم "إهانة تمس كرامة الحكومة البريطانية". وكان رده على ذلك أن أرسل سفينة حربية بريطانية إلى قرب المنامة. وطلب قبطان هذه السفينة من الشيخ محمد تقديم اعتذار عن "الإهانة التي لحقت بالحكومة البريطانية".

وعندها ما كان من الشيخ محمد إلا أن أرسل أخاه علياً إلى بوشهر لتقديم الاعتذار المطلوب. إلا أن الاعتذار الذي قدمه علي باسم أخيه الشيخ محمد لم يرض غرور المقيم هنيل؛ إذ طلب بلهجة تنم عن الاستهزاء بأن يحضر الشيخ محمد بن خليفة شخصياً ويعترف أمام بورتير أنه أذنب بتجرُّئه على تقديم شكوى تظلم من تصرف هذا الأخير[1]. وبما أن السفن البريطانية رست، كما في السابق، في ميناء قرب المنامة بانتظار رد الشيخ، ولأن حكومة الشاه لا تستطيع نصرة الشيخ محمد، ما كان من هذا الأخير إلا أن رضخ لهذا الطلب المهين.

---

[1]. للاطلاع على رد هنيل على محمد بن خليفة في إكتوبر ١٨٥٠ انظر: Low C. R مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٢٦.

يرى المؤرخون أن بريطانيا فرضت حمايتها على أرخبيل البحرين في عام ١٨٦٢، بعد الحرب الأنجلو فارسية (١٨٥٦– ١٨٥٧). وتستند هذه الرؤية إلى ما تسمى "معاهدة" مع شيخ البحرين المؤرخة في ٣١ مايو ١٨٦١[١]. وهنا تجدر الإشارة إلى أنه في شهر سبتمبر من عام ١٨٤٩؛ أي قبل تاريخ هذه المعاهدة بنحو ١٢ عاماً، وجه الحاكم العام للهند تعليمات خاصة إلى المقيم البريطاني في الخليج العربي بفرض الحماية البريطانية على البحرين. وعهدت إلى قائد العمارة البريطانية مهمة التأمين العسكري لهذه الحماية[٢].

يحق لنا على هذا الأساس أن نعد سنة ١٨٤٩ السنة التي فرضت فيها بريطانيا حمايتها الفعلية على البحرين. وسنة ١٨٦١، السنة التي تم فيها الإعلان رسمياً عن هذه الحماية. والذي يميز العدوان الإنكليزي على البحرين بعد عام ١٨٤٩ هو الطابع الخفي لهذا العدوان. ويمكن الحكم على أفعال الإنكليز في الخليج العربي من خلال العلاقة المتبادلة بين الشيخ والممثلين الإنكليز في الخليج العربي، والتي يمكن القول عنها إنها كانت في صراع دام ١٢ عاماً بين محمد بن خليفة والإنكليز، وانتهى بهروبه من البحرين وإعلان الحماية البريطانية على الأرخبيل.

في الأربعينات من القرن التاسع عشر ازدادت مكائد الإنكليز ودسائسهم في الجهة الشمالية للخليج: من الكويت حتى المحمرة، وفي غضون ذلك لم تتوقف مشاريع الملاحة في نهر قارون. وقد ذكر السفير الروسي في فارس د. ي. دولجوروكوف في هذا

---

١. انظر: **Aitchison C.u.** مرجع سابق، المجلد العاشر ص ١١٨– ١١٩.

٢. انظر: **Low C. R** مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٢٤.

الخصوص أنه في حال تنفيذ هذه المشاريع "سيكون ذلك حلقة زائدة في شبكة يلقيها أهل الجزر(يقصد الإنكليز) على السواحل الجنوبية لفارس"[١].

لم يتوقف الضغط البريطاني على الحكومة الفارسية، وكذلك على الحكومة العثمانية. فعندما وجد الإنكليز أنه لم يعد بالإمكان الاستمرار بالتذرع بحجة مكافحة القرصنة والمحافظة على السلام والأمن في الخليج كما في السابق للضغط على هاتين الحكومتين، أخذوا يتذرعون بحجة جديدة هي مكافحة تجارة الرقيق.

والواقع أن مكافحة تجارة الرقيق في الأربعينات من القرن التاسع عشر كانت ذريعة اتخذها بريطانيا بغية التدخل في الشئون الداخلية للدولة العثمانية وفارس. قبل عقد معاهدة أرضروم بين الدولة العثمانية وفارس بأربعة أشهر استطاع الإنكليز استغلال وضعهم كوسطاء في "مؤتمر أرضروم[٢]"، ووجدوا في ذلك فرصة لحمل السلطان على إصدار فرمان خاص يمنحهم الحق في إيقاف السفن العثمانية التي يشتبه بأنها تتاجر بالرقيق وتفتيشها[٣].

وعلى الرغم من أنهم لم يحصلوا على حق مصادرة السفن العثمانية كالذي حصلوا عليه من الاتفاقيات التي وقعها الشيوخ إلا أنه بات بإمكانهم منذ ذلك الحين فرض رقابة على الملاحة العثمانية في الخليج العربي بشكل لا يُسمح به في وقت السلم. وبعد حصولهم على حق تفتيش السفن العثمانية راحوا يطالبون فارس بمنحهم مثل هذه الحقوق.

---

١. أرشيف سياسة روسيا الخارجية. خزانة وزارة الخارجية، الديوان، الاضبارة.١٣٣، الورقة ١٨٩.

٢. كانت القضية الأساسية في المؤتمر رسم الحدود الفارسية – العثمانية.

٣. للاطلاع على فرمان الشاه المؤرخ في ٢٣ يناير ١٨٤٧ انظر: **Aitchison C.u.** مرجع سابق، المجلد الحادي عشر ص ١٧.

وفي ١٢ يونيو ١٨٤٨ وجه الممثل الإنكليزي في فارس، المقدم فيرانت إنذاراً نهائياً إلى رئيس الوزراء ميرزا أغاسي يطلب فيه الرد عليه في اليوم نفسه على ما إذا كانت حكومة الشاه عازمة على منع تجارة الرقيق في الخليج العربي أم لا. وهدد بأن بريطانيا لن تسمح بأي تأخير في تسوية هذه القضية[١]. واضطر الشاه لقبول هذا الإنذار خشية أن يتبع التهديدات الإنكليزية إنزال القصاص العرفي بأصحاب السفن الفارسية. وفي اليوم نفسه أبدى الشاه موافقته على منع نقل العبيد في منطقة الخليج العربي. وأصدر فرماناً خاصاً بذلك.

إلا أن هدف بريطانيا لم يكن منع التجارة بالرقيق بقدر تطلعها إلى بسط سيطرتها على ملاحة فارس وتجارتها. ولهذا لم تتوقف عن المطالبة بمنحها حق تفتيش السفن الفارسية. وكانت تعلن دائماً بأن فرمان حظر التجارة بالرقيق الذي أصدره الشاه يجب أن يكون مدعوماً بمراقبة فعالة للخليج العربي. وفي غضون ذلك كانت تشير إلى افتقار فارس لأسطول خاص بها يقوم بهذه المهمة. ونزولاً عند موقفها المصر تم في أغسطس عام ١٨٥١ التوقيع على اتفاقية أنجلو- فارسية، مدتها أحد عشر عاماً، منحت السفن الحربية البريطانية حق تفتيش السفن الفارسية التي يشتبه بأنها تتاجر بالرقيق وإيقافها. وعلى الرغم من أن تفتيش السفن الفارسية كان مشروطاً بضرورة وجود موظفين فرس، إلا أنه تسنى للإنكليز عملياً فرض رقابة تامة على الملاحة، مما مكنهم من شل التجارة الفارسية، وإفلاس أصحاب السفن الفرس، كما لو أنهم منافسون لهم[٢]. وفي غضون ذلك قل ما كان الإنكليز يهتمون بمكافحة تجارة الرقيق بشكل فعلي كما كانوا يفعلون سابقاً في مكافحة القرصنة. والواقع أن مكافحة الإنكليز لتجارة الرقيق حتى

---

[١]. انظر: Aitchison C.u. مرجع سابق، المجلد العاشر ص ٦٦-٦٨.

[٢]. انظر: Aitchison C.u. مرجع سابق، المجلد الحادي عشر ص ٦٩- ٧٠.

أواخر القرن التاسع عشر كانت، حسب ما صرح به القنصل الروسي في بغداد "تنحصر في جمع العبيد من سفن الغير والاستئثار بهم لأنفسهم"[1].

كان تصرف الإنكليز في مياه الخليج العربي يشكل تهديداً دائماً باعتداء عسكري على الأراضي الفارسية تحديداً. وكانت تكفيهم أقل حجة لإشعال فتيل الحرب. وأخذوا يزيدون من تدخلهم في سياسة حكومة الشاه، وإملاء شروطهم عليها. وفي عامي ١٨٥١- ١٨٥٢ أدت مكائدهم إلى قيام القوات الأفغانية بحملة على هرات، التي أخذ حاكمها يسلك مسلكاً مؤيداً لفارس. وكدأب بريطانيا في سياستها، طلبت من الشاه في الوقت نفسه عدم تقديم أيّ مساعدة لحاكم هرات.

وفي غضون ذلك عادت إلى ما كانت عليه في السنوات السابقة؛ أي التهديد بقطع العلاقات الدبلوماسية، (ولم تنس تذكير فارس بالخطر الروسي المحدق بها). ولتعزيز مطالبها وجه الإنكليز مدافع سفنهم الحربية إلى سواحل فارس مرة أخرى. وبعد أن تجمعت العمارة البريطانية في بوشهر بقيادة روبينسون[2]، خطط الإنكليز لاحتلال جزيرة خرج مرة أخرى، على أن يكون هذا الاحتلال دائماً.

وفي غضون ذلك كانوا يقييمون أيهما أفضل هرات أم خرج. وكان الاستدلال العقلي البليغ في هذا الصدد ينحصر في استفسار السفير البريطاني عما إذا كان إعطاء هرات لفارس يساوي احتلال خرج[3].

---

[1]. صورة طبق الأصل من تقرير بونافيدين للسفير الروسي في استنبول المؤرخة في ١٣ يناير ١٨٩١ في أرشيف سياسة روسيا الخارجية، خزانة وزارة الخارجية، المكتب الفارسي، الاضبارة ٢٩٨١،الورقة ٢٣٦

[2]. في مارس عام ١٨٥٢ قام روبينسون بتغيير بورتير، انظر: **Low C. R** مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٢٩.

[3]. انظر: **Correspondence**، مرجع سابق، المجلد الثاني ص ٤٧.

بعد التهديد بقطع العلاقات الدبلوماسية، وإظهار التحدي بالقيام باستعراض القوة العسكرية في الخليج العربي، اضطرت الحكومة الفارسية للامتناع عن دعم حاكم هرات ونصرته[1]. غير أن رضوخ فارس للتهديد والامتناع عن مساعدة حاكم هرات في هذه المرة لم يقلل من ضغط بريطانيا عليها من جهة الخليج.

وفي عامي ١٨٥٢، و١٨٥٣ لجأت بريطانيا إلى مناورة خداعية، وعزمت على الاستيلاء، بأيدي حاكم عمان على منطقة بندر عباس، التي تضم جزيرتي قشم وهرمز. وبإيعاز من الإنكليز رفض حاكم عمان استقبال رسول موفد من قبل حاكم ولاية فارس، وطلب إعادة النظر في شروط الإيجار، التي أصبح حاكم عمان بموجبها مالكاً لهذه المنطقة باسم الحكومة الفارسية.

توجهت السفن البريطانية إلى بندر عباس، ومرت بالسواحل الجنوبية للخليج، حيث تم إجبار شيوخ الشمال على قبول "الحماية الدائمة" التي فرضت عليهم من بريطانيا. (في عام ١٨٥٣انقضت معاهدة السلم لعشرة أعوام التي كانت مشروطة بالاتفاقية السابقة مع الشيوخ)[2].

استمر وجود الأسطول الإنكليزي في الخليج العربي في أثناء حرب القرم، التي دارت بين روسيا والدولة العثمانية. وكانت السفن البريطانية تراقب بدقة الأحداث في بوشهر، والبصرة، ومسقط[3]. وكانت هناك ثلاث عمارات بريطانية (وصل قوامها العام إلى عشر سفن حربية كبيرة) تتبادل الأماكن فيما بينها بشكل مستمر. وتحت هذا

---

١. انظر: Aitchison C.u. مرجع سابق، المجلد العاشر ص ٧١– ٧٢.

٢. انظر: Aitchison C.u. مرجع سابق، المجلد العاشر ص ٣٥– ٣٦.

٣. لم تغادر السفن الحربية البريطانية بوشهر منذ عام ١٨٥٢. انظر: ص ٨٧، بيريزين، بندر بوشهر والحملة البريطانية على جنوب فارس."جداول سانت بطرسبورغ"، ١٨٥٧، رقم ١٩، ٢٠، ٢١.

الضغط البريطاني على فارس أعلنت هذه الأخيرة في عام ١٨٥٤ الحياد في حرب القرم.

أما فيما يخص الدولة العثمانية فقد أعلنت بريطانيا عن حماية مصالحها في البحر الأسود. أما في الخليج العربي فقد عملت على عكس ذلك.

بعد تدخل بريطانيا في شئون البحرين وفرض حمايتها عليها بشكل فعلي خاض سكان الساحل العربي للخليج، ولا سيما سكان القطيف صراعاً مع شيخ البحرين. وأثناء ذلك اعتمد شيخ القطيف على مساعدة حاكم نجد. وفي الخمسينات من القرن التاسع عشر اعترف بسلطته على القطيف تحت السيادة السامية للدولة العثمانية: وتم رفع العلم العثماني في المدينة.

عندما كان المستعمرون يسعون للاستيلاء على قواعد لهم على الساحل الجنوبي للخليج لم يحسبوا للدولة العثمانية حساباً، وتناسوا فارس أيضاً. ولم يكن انتقال القطيف إلى سيادة الدولة العثمانية ليحميها من اعتداءات المستعمرين وتطاولاتهم. واستمر المقيم البريطاني في الخليج العربي في التدخل في شؤون الشيوخ المحليين.

وفي عام ١٨٥٤ استغل المقيم البريطاني نزاعاً داخلياً من النزاعات التي تحدث بشكل متكرر وجهز حملة بحرية حربية كبيرة ضد القطيف. وقال لوه بوقاحة، مكرراً ما قاله الساسة الفرنسيين: من الضروري " **saignée** – إراقة القليل من الدماء قبل أن يبنى الأساس السياسي على أرضية متينة"[١].

اعترض الشيخ [شيخ القطيف] على التدخل الإنكليزي في شؤونه معلناً أن أرض القطيف تتبع للسلطان العثماني. وأشار إلى أن العلم العثماني يحميه من اعتداءات

---

[١] انظر: **Low C. R** مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٢٦– ٣٢٨.

الإنكليز. وعلى الرغم من أن بريطانيا كانت تعد آنذاك حليفة للدولة العثمانية، إلا أن السلطات في بومباي وافقت على تجريد حملة عسكرية ضد القطيف قوامها ١٢ سفينة. وكان تسليح هذه الحملة العسكرية مدمراً. فمثلاً لم يكن لدى السكان المحليين أدنى فكرة عن القذائف الشديدة الانفجار.

وقد ذكر أحد شهود العيان أن أحد العرب رفع إحدى القذائف الإنكليزية الساقطة قبل أن تنفجر. ودون أن يدرك احتمال انفجارها في أيّ لحظة أقبل بها إلى رفاقه. وما إن وصل عندهم حتى انفجرت هذه القذيفة وأودت بحياة عدد منهم. في هذه الحرب "عرّف" الإنكليز سكان القطيف لأول مرة القذائف المحشوة بكريات الرصاص. وبغية زيادة إرهاب هؤلاء الناس راحوا يطلقون الصواريخ أيضاً.

على الرغم من أن مدافع القطيف كانت أضعف بكثير جداً من المدفعية الإنكليزية إلا أن ذلك لم يمنع السكان من الاستماتة في الدفاع عن مدينتهم. وعند تبادل الرمي بدأ الجزر. وعندها ظهر أن السفن الإنكليزية المحملة بأثقال كبيرة باتت في مكان ضحل وعاجزة عن التحرك. وفي تلك الأثناء اندفع العرب سباحة باتجاه السفن الغازية للاستيلاء عليها من خلال معركة قتال وجهاً لوجه مع بحارتها. إلا أن استشهاد الكثير منهم بنيران المدافع والقذائف المحشوة بكريات الرصاص أجبر البقية على التراجع. وفي أثناء المد وجهت السفن الإنكليزية نيران مدافعها على سفن السكان المحليين الراسية في مراسيها ومراكبهم. مما أدى إلى غرق البعض منها وإحراق البعض الآخر. وعلى الرغم من ذلك إلا أن المعتدين جبنوا عن النزول إلى الساحل.

أظهرت هذه الحادثة بوضوح السياسة التي تنتهجها بريطانيا في هذه المنطقة. ففي الوقت الذي قامت به إحدى عمارات الإنكليز، الحلفاء للدولة العثمانية، بقصف

سيباستوبول من البحر الأسود، قامت عمارة أخرى بقصف القطيف، موجهة نيران مدافعها إلى العلم العثماني[1].

بعد أخفق الإنكليز في حرب القرم سعوا لتعويض خسارتهم على حساب فارس. واستطاعوا، من خلال الضغط السياسي بجميع الوسائل على حكومة الشاه، افتتاح وكالات سياسية لهم في أصفهان وشيراز، وأصروا على إعادة النظر في شروط المعاهدة التجارية. وفي الوقت نفسه لم يتوقفوا عن تدبير المكائد وحياكة الدسائس من خلال حاكم عمان بهدف سلخ منطقة بندر عباس عن فارس. وكان ادعاؤهم بخصوص النقاط الثلاث: بندر عباس وقشم وهرمز يدل بحد ذاته على مرحلة جديدة من مراحل التوسع البريطاني في منطقة الخليج العربي.

واستطاعت بريطانيا قبل الخمسينات من القرن التاسع عشر فرض سيادتها وترسيخها وسيطرتها على مياه الخليج العربي، وعلى ساحله الجنوبي، وفي الجزر المتاخمة له. وشنت هجوماً واسعاً على فارس متخذة من منطقة قشم وبندر عباس رأس جسر حربي. وبعد أن استقرت على قطاع من الساحل قرب بندر عباس وفي جزيرة قشم، التي استأجرها سيد عمان من فارس رسمياً، أبقى الإنكليز قواعد الارتكاز هذه عرضة لفوهات مدافع عمارتهم القوية الراسية في باسيدو.

ونتيجة للتمركز الدائم للعمارة البريطانية في مياه الخليج، ودعم الإنكليز لسيد عمان في الأعمال القتالية العمانية الفارسية من أجل بندر عباس ضعفت كل من فارس وعمان. واستغل الإنكليز ذلك من أجل اختبار مدى قوة فارس قبيل اندلاع الحرب الأنجلو فارسية.

---

1. تارلي ي. ف.، حرب القرم، مجلدان، موسكو- لينينغراد، ١٩٥٠ (باللغة الروسية)، مج ٢، ص ١٥٧.

وبغية الاستمرار في توسيع منطقة النفوذ الإنكليزي من الجنـــوب إلى الـــشمال وضعت بريطانيا في مخططها أصفهان وشيراز كقواعد لاحقة لها. وعندما طالب السفير البريطاني "ميراي" بافتتاح وكالات بريطانية في هاتين المدينتين أكد على أن حكومته هي التي ترغب بذلك، كي يكون للوكلاء البريطانيين الموجودين في هاتين المدينتين وضـــعاً رسمياً[١].

وقد رد رئيس وزراء الشاه على هذه "الحجة" بالقول: "إذا كانـــت الحكومـــة البريطانية تملك عملاء سريين وغير سريين في أصقاع الدنيا تجاراً ورحالة وغير ذلـــك، وهم يحظون بحماية بريطانيا، فإن ذلك لا يعني أنهم يملكون صلاحيات رسمية"[٢].

تؤكد المراسلات التي دارت بين السفير البريطاني "ميراي" ورئيس وزراء فارس بما لا يدع مجالاً للشك بأن الإنكليز وضعوا هدفاً نصب أعينهم، وهو إشعال الحـــرب بين بريطانيا وفارس مهما كلف الأمر. ومن أجل ذلك استخدموا في هذه المرة كما في عام ١٨٣٨ حججاً مصطنعة. وبحذاقته ودهائه الكبيرين تظاهر "ميراي" مباشرة بأنـــه تلقى إهانة بهذا الرد، وقام بقطع العلاقات الدبلوماسية مع فارس.

ومن الحجج التي كان يتذرع بها هذا الأخير لقطع العلاقات مع فارس يمكن أن نورد كمثال واضح ما يسمى بقضية هاشم. وهاشم هذا هو عديل شاه فارس، الـــذي كان يخدم في وزارة الحربية في فارس.

---

١. انظر: تقرير ميراي لكلاريندون المؤرخ في ١٧ نوفمبر ١٨٥٥في **Correspondence**، مرجع سابق، المجلد الثاني ص ٧٢– ٧٣.

٢ انظر: رسالة الصدر الأعظم إلى ميراي المؤرخة في ١١ أكتوبر عام ١٨٥٥ في **Correspondence**، مرجع سابق، المجلد الثاني ص ٧٧– ٨٠.

وقضية هاشم هي أنه في عام ١٨٥٤ ترك وظيفته ولجأ إلى المفوضية البريطانية فاراً من الحكومة الفارسية. وقد صرح طومسون، القائم بالأعمال البريطاني في فارس أن هاشماً، "الهارب من الخدمة العسكرية في فارس"، هو السكرتير الأول للسفارة البريطانية، وكان طومسون يستند في تصريحه هذا إلى بند في الاتفاقية الموقعة بين فارس وبريطانيا عام ١٨٤١ يتعلق بحماية الحكومة البريطانية لموظفي مفوضيتها.

وبعد مدة قصيرة أسماه طومسون وكيل الإنكليز في شيراز. (وهذا الزعم الأخير من طومسون ينم عن وقاحة مزدوجة. ذلك أنه حسب معاهدة عام١٨٤١ كان يحق لبريطانيا افتتاح وكالات لها في طهران، وتبريز، وبوشهر، وهذا ما لا يحق لها في شيراز). وقد أعلنت حكومة الشاه أنه لم يتم فصل هاشم من الخدمة، وأنه فر من عمله في وزارة الحربية. وعليه يتعين على الجانب الإنكليزي تسليمه إلى فارس. إلا أن السفير البريطاني رفض بشكل قاطع الاستجابة لهذا الطلب. وبقي هاشم لديها في مبنى المفوضية. وعندها اعتقلت حكومة الشاه زوجة هاشم – أخت زوجة الشاه. الأمر الذي عدّه "ميراي" إهانة للحكومة البريطانية. وعلى هذا "الأساس" قطع العلاقات الدبلوماسية مع فارس[1].

عادة ما يرجع المؤرخون الإنكليز ومن يسير على نهجهم من المؤرخين البورجوازيين سبب الحرب الأنجلو فارسية عام ١٨٥٦ – ١٨٥٧ إلى محاولة فارس إخضاع هرات، أي إنهم يكررون الرواية المزيفة للحكومة البريطانية.

[1]. انظر: الرسائل: من طومسون وميراي إلى "كالانريكارد"[الصدر الأعظم]، ومن الصدر الأعظم إلى ميراي المؤرخة في ١٣ يونيو و٢ سبتمبر عام ١٨٥٤ ` ١١ أكتوبر و٢٠ نوفمبر عام ١٨٥٥ في **Correspondence**، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٦٨، ٦٩، ٧٧– ٨٠، ٨٣– ٨٤.

والواقع أن ما حدد سياسة التوسع البريطانية في منتصف القرن التاسع عشر هو التطور الاقتصادي الهائل لهذه الدولة الاستعمارية، ومن ثمّ تطلع الأوساط الحاكمة فيها لتوسيع أسواق ترويج البضائع الإنكليزية، والاستيلاء على مصادر موارد المواد الخام[1].

وقد أشارت الإنذارات الإنكليزية الموجهة إلى فارس في ٢٧ و٢٨ نوفمبر عام ١٨٥٥، إلى الأهداف الحقيقية لهذه الحرب. وقد تضمنت هذه الإنذارات، إلى جانب سحب قوات الشاه من ضواحي هرات، مطالب بنقل إدارة منطقة بندر عباس إلى عمان (أو بالأصح إلى إنكلترا المتوارية خلف عمان)، وعقد اتفاقية تجارية جديدة معها.

وقد كتب كارل ماركس في هذا الخصوص: "بمجرد أن تلقي الشركة [شركة الهند الشرقية البريطانية] نظرة طامعة على ممتلكات أي ملك أو سلطان مستقل، أو على أيّ منطقة تمتاز بأهمية سياسية أو تجارية، أو تشتهر بذهبها وأحجارها الكريمة ونفائسها، تغدو ضحية متهمة بخرق هذه المعاهدة أو تلك، سواء كانت معاهدة وهمية أو حقيقية، أو بعدم تنفيذ تعهد خيالي أو شرط محدد يستحيل تنفيذه، أو بإلحاق إهانة لبريطانيا لأيّ فكرة لا يتم إدراك معناها فوراً، ومن ثمّ يتم إعلان الحرب على هذه الضحية. وتوجد في التاريخ الإنكليزي أحداث دموية تؤكد الحقد الأزلي للإنكليز، وعلى أخلاقيات الذئب والحَمَل"[2].

في ربيع عام ١٨٥٦ وصيفه كانت هناك قوة بحرية بريطانية إضافية ترسو في مياه الخليج العربي. وكانت هذه القوة مؤلفة من الفرقاطة البخارية "أجداها"، المسلحة

---

[1] انظر: ب. ب." بوشيف"، مرجع سابق، ص ١٦٨– ١٦٩.

[2]. ماركس أ. الحرب الأنجلو فارسية، ١٢ مجلداً (باللغة الروسية)

بأحدث أنواع المدافع من عيار ٨ بوصات، والسفينة "أساي"، التي تعد أكبر سفينة حربية في الأسطول الأنجلو- هندي، وغيرها من القطع البحرية[1].

وقد تم استخدام هذه القطع البحرية الحربية ضد سكان عرب ساحل الخليج العربي في أثناء التحضير للحرب في تأمين مؤخرة القوات. ففي شهر مايو من عام ١٨٥٦ أجبر المقيم البريطاني، جونز شيخ البحرين محمد بن خليفة، وشيوخ الشمال على التوقيع على تعهدات إضافية تنص على منع امتلاك العبيد في أراضي إماراتهم. وبذلك سنحت للمستعمرين إمكانية التدخل الفعلي في جميع الشؤون الداخلية للحكام المحليين[2]. نلاحظ هنا أن بريطانيا عملت في هذه المرحلة كما كانت تعمل في عام ١٨٣٨.

بدأت الاستعدادات لنقل القوات إلى الخليج في شهر أغسطس. وفي سبتمبر وصل إلى بوشهر على متن السفينة "فيروز" ضباط متخصصون لتنظيم عملية الاقتحام[3]. وكان هؤلاء يشكلون عملياً أركان الجيش المقبل. ولكن ما إن نزل الضباط إلى الساحل وتوجهوا إلى المقيمية البريطانية حتى بدأت الاضطرابات في المدينة. ونظراً لخطورة الهيجان الشديد بين السكان خشي المقيم البريطاني جونز على سلامتهم. مما اضطرهم إلى العودة إلى سفينتهم والتوجه إلى البصرة[4]. ومن هناك بدأوا التمهيد المباشر للهجوم مستعينين برجال المخابرات وعملائهم الرسميين والسريين. إلا أن الأمور لم تسر كما كان مخططاً لها. ذلك أنه عندما قام أحد الضباط بتخزين التعيينات

---

[1]. انظر: Low C. R مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٣٨.

[2]. انظر: Aitchison C.u. مرجع سابق، المجلد العاشر ص ١١٧- ١١٨.

[3]. انظر: محمود محمود مرجع سابق، مج ٢، ص ٤٠٢.

[4]. انظر: Low C. R مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٣٧- ٣٣٨.

والمؤن للقوات الإنكليزية التي وصلت "كاد العرب أن ينجحوا في الاستيلاء على ٢٠٠٠ رأس من الضأن"[١].

تم اتخاذ القرار بأخذ بوشهر وبندر عباس نقاطاً للإنزال البحري. وكان الإنكليز قد حصلوا على "الضوء الأخضر" من حاكم عمان[٢] لإنزال قواهم في بندر عباس كما هو مقرر. وفي الخامس عشر من أكتوبر أصدر قائد قوات الاقتحام البحرية، "ليك" بركوب السفن. وفي الوقت نفسه جرى تجهيز سفن حربية بخارية ذات غاطس صغير مخصصة للملاحة النهرية لخوض الأعمال القالية في نهر قارون، مما يدل على أنه كان من ضمن خططهم الهجوم على المحمرة والأهواز.

وفي الثامن من نوفمبر توجهت إلى الخليج العربي خمس سفن حربية وكتيبة سفن نقل إلى الخليج العربي. وفي ١١و١٣ و١٥ نوفمبر تحركت القوات الأساسية من بومباي. وتم اتخاذ بندر عباس نقطة لتجمع القطعات البحرية. وكانت بريطانيا قد عزمت على تسليم هذه الأخيرة إلى عمان رسمياً. ولعل السبب في ذلك هو تعويض حاكم عمان عن جزر كوريا موريا، التي "تنازل" عنها سعيد لبريطانيا[٣].

عندما وعد الإنكليز بتسليم بندر عباس إلى حاكم عمان كانوا يتطلعون في الوقت نفسه إلى جره لخوض الأعمال القتالية إلى جانبهم. وقد تحدث العقيد إيغناتيف

---

١. انظر: بيريزين مرجع سابق، رقم ٢٠، ص ٩٥.

٢. انظر: Watson R.، مرجع سابق، ص٤٣٥.

٣. ورد في مقدمة الاتفاقية أن هذا التنازل تم من قبل سيد عمان "بمطلق إرادته وعن طيب خاطر منه، ودون أن تستخدم ضده أيّ قوة أو وسيلة إرهاب، وليس لأيّ منفعة مادية". انظر: ص١٢٦-١٢٧ من
Whigham H. the Persian Problem, An Examination of Rival Positions of Russia and Great British in Persia. L., ١٩٠٣.

من لندن في تقرير له رفعه إلى وزير الحربية في ١١ يناير ١٨٥٧ عن القطاع المقترح للقوات العمانية لمشاركتها في الحرب إلى جانب الإنكليز[١].

أدى حشد القوات البحرية البريطانية في بندر عباس إلى إجبار حكومة فارس على الرضوخ لمطالب عمان حول تمديد مدة إيجار بندر عباس. و تم التوقيع على اتفاقية بين فارس وعمان بهذا الشأن. وقد احتفظت حكومة فارس في هذه الاتفاقية بحقها بإقالة الحاكم المحلي. أما جزيرتا قشم وهرمز، والشريط الساحلي لبندر عباس، فقد تم عدّها، كما في السابق جزءاً من ولاية فارسية[٢]. وجرى التوقيع على هذه الاتفاقية قبل أسبوع من استكمال حشد القوات البحرية الإنكليزية في بندر عباس[٣].

وفي اليوم التالي لتوقيع الاتفاقية عقد الشاه مجلساً للتباحث حول الإجراءات اللازم اتخاذها في حال قيام القوات الإنكليزية بتنفيذ عملية إنزال بحري. وقام المجلس بتعيين قائد، وأعد نشرة لرجال الدين لإعلان "الجهاد". كما تم اتخاذ قرار بتدمير النقاط السكنية على عمق ٢٥ ميلاً عن الساحل، التي يمكن للقوات الإنكليزية أن تهددها بالدرجة الأولى. إلا أن كل هذه القرارات جاءت متأخرة؛ إذ إنّ فيلق الحملة البريطانية أصبح في الخليج العربي. ففي ١٨ نوفمبر عام ١٨٥٦ أبلغ قائد الفيلق بومباي أن عدد قواته في بوشهر بلغ ٥٠٠٠ مقاتل[٤].

---

١. انظر: تقرير إيغناتيف إلى وزير الحربية المؤرخ في ٢٣/١١ يناير ١٨٥٧ في أرشيف سياسة روسيا الخارجية، سانت بطرسبورغ، الأرشيف الرئيسي، الخزانة ١-٩، د٢١٥، الورقة ٢-٣.

٢. انظر: Aitchison C.u. مرجع سابق، المجلد العاشر ص ٨٣- ٨٦.

٣. انظر: Low C. R مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٤١.

٤ انظر:ص ٨٧ من: [Outram]. Lieut-general sir J. Outram's Persian Campaign in ١٨٥٧, Comprising General Orders and Dispatches Relating to the Military Operations in Persia from the Landing at Buchire to the Treaty of Peace. L., ١٨٦٠

تم الإعلان عن الحرب رسمياً بعد دخول القوات إلى مياه الخليج، عندما رست مفرزة من السفن الحربية وسفن النقل في ميناء بوشهر[1]. وفي ٣ ديسمبر وصل حجم القوات الموجودة في الخليج العربي إلى ٤٥ سفينة بخارية وشراعية، و٥٠٠٠ جندي، و١١٥٠ خيالٍ من قوات الفرسان، و٤٥٠ دابة من دواب الحمل والجر موجودة على متن السفن.

وفي الرابع من ديسمبر استولى الإنكليز على خرج. وتم الإعلان عن ضمها إلى ممتلكات بريطانيا العظمى[2]. وفي السابع والثامن من ديسمبر نفذت قوات الإنزال البحري بدعم من مدفعية السفن عملية إبرار في خور خليل الذي يبعد ١٢ ميلاً عن بوشهر[3]. وسارعت مفارز من القوات الفارسية من الشمال لمساعدة بوشهر[4]. وفي أثناء المعركة قرب حصن "ريشير" ظهر واضحاً افتقار هذه القوات إلى المدفعية؛ إذ ما إن دعم الإنكليز هجومهم بمدافع "أساي"، حتى اضطرت القوات الفارسية للانسحاب.

مركز جمعة الماجد
للثقافة و التراث

وفي العاشر من ديسمبر تعرضت بوشهر إلى قصف عنيف بمدافع العمارة البحرية البريطانية لمدة ساعتين. وعلى أثر ذلك أرسل حاكم المدينة رسولاً إلى الإنكليز يتحدث باسمه، ليعرض عليهم وقف القصف وبدء المفاوضات حول شروط الاستسلام. إلا أن القيادة الإنكليزية رفضت تقديم أي تنازل، وطالبت باستسلام تام دون قيد أو شرط. بعد ذلك استأنفت السفن البريطانية قصفها للمدينة لمدة ساعتين أيضاً، وتم تدمير البرج

---

[1]. نسخة من إعلان الحاكم العالم للهند بالحرب مؤرخ في ١ نوفمبر عام ١٨٥٦ من تقرير جونس إلى سكرتير حكومة بومباي. انظر: Low C. R مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٤١.

[2]. انظر: ميرزا جعفر خان، مرجع سابق، ص ٢١٥.

[3]. للاطلاع على تفاصيل الأعمال الحربية انظر: ب. ب. بوشيف، المرجع السابق.

[4]. انظر: ميرزا جعفر خان، مرجع سابق، ص ٢١٧.

الركني القريب من الساحل وقسم من أسوار المدينة. ولم تستطع مدافع الفرس القديمة الرد على القصف الشديد إلا بنيران ضعيفة، تمكنت من خلالها إعطاب سفينتين إنكليزيتين[1].

وعلى الرغم من أن القوات الإنكليزية لم تبد أيّ بسالة، إلا أن القصف البحري الشديد الذي طال بوشهر لمدة أربع ساعات وألحق بها أضراراً بالغة اضطر الحاكم لتسليم المدينة. بعد هذا الاستسلام ألصق الإنكليز على مداخل المدينة أمراً تنص المادة الأولى منه على أنّ بوشهر من الآن فصاعداً من ممتلكاتهم، في حين فرضت بقية الموادّ نظاماً عسكرياً قاسياً على السكان[2].

حاول الجيش الفارسي بدوره القيام بهجوم على لنجة. واستعدت فرقة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل للعبور إلى جزيرة قشم والاستيلاء على القاعدة العسكرية في باسيدو. وعندما علم "ليك" بذلك من الجواسيس الإنكليز، سارع بالإبحار إلى لنجة ووضع المعسكر الفارسي تحت القصف بمدافع "أساي" الثقيلة[3]. وبسبب سيطرة الأسطول الإنكليزي على الخط الساحلي لم تستطع الفرقة الفارسية العبور إلى قشم. إلا أن وجودها شل عمل الإنكليز؛ إذ أجبر قائدهم على الإبقاء على قسم من السفن في قشم بشكل مستمر.

لم يسفر احتلال الإنكليز لقشم عن استسلام فارس لهم، كما كانوا يتوقعون. بل إنّ الحكومة الفارسية استمرت في إرسال القوات الإضافية إلى الجنوب (إلى خوزستان وفارس).

---

[1] انظر: **Low C. R** مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٤٣.

[2] انظر: ميرزا جعفر خان، مرجع سابق، ص ٢٢٠.

[3] انظر: **Low C. R** مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٤٥- ٣٤٨.

حاولت بريطانيا منذ بداية حربها مع فارس جر حاكم عمان إلى أتون حرب مع الأخيرة، واستخدام عملائها المحليين لتحريض السكان على الحكومة الفارسية. وقد أشارت الصحف الروسية آنذاك عن حق إلى أن السياسية البريطانية لم تكن تدرك الطرق التي تسير عليها في مثل هذه الحالات[1]. فقد كانت القيادة البريطانية ترسل عملاءها إلى مناطق فارس المختلفة. فمثلاً، ذكر ايغناتيف أن النقيب "يانشا"، والملازم "بلايفير" الإنكليزيين "كانا يعملان على إقناع سكان بندر عباس بخيانة فارس، وتنظيم قوات إضافية تعمل لصالح بريطانيا لقاء مبلغ محدد"[2].

كان الإنكليز يسعون عن طريق المكائد والدسائس إلى سلخ بندر عباس عن فارس. وقد تحدث لوه أيضاً عن توجه الوكيل "بوجل"(**Bogle**) إلى جزيرة العرب التركية في يناير عام ١٨٥٦ لتحقيق مثل هذا الهدف[3].

في بداية عام ١٨٥٧ كتبت صحيفة بريس الإنكليزية في هذا الخصوص: "يجب علينا بذر بذور العصيان والتمرد في هرات وضواحيها، وتقديم الإعانات المالية للأفغانيين، والقيام بحملات على حدودنا، ودعم الأعمال التخريبية على سواحل الخليج العربي"[4]. بعد الاستيلاء على بوشهر مباشرة حدث بعض البلبلة والارتباك في أعمال الجيش الإنكليزي. ومرد ذلك أن الإنكليز لم يستطيعوا خوض الحرب بأيد أجنبية كما كانوا يرغبون.

---

1. "قوائم سانت بطرسبورغ"١٨٥٩، رقم ١٨، ص ٨٩.
2. انظر: تقرير إيغناتيف إلى وزير الحربية المؤرخ في ٢١ يناير ١٨٥٧ في أرشيف سياسة روسيا الخارجية، سانت بطرسبورغ، الأرشيف الرئيسي، الخزانة ١-٩، الاضبارة ٢١، الورقة ١١.
3. انظر: **Low C. R** مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٤٠- ٣٤١.
4. انظر: بيريزين مرجع سابق، رقم ٢١، ص ٩٩.

عند وصول القائد الجديد لقوات الاقتحام، الجنرال جيمس أوترام (James Outram) [إلى الخليج العربي] شعرت الحكومة البريطانية في الهند بنقص في القوات فأرسلت في شهر يناير قوات إضافية إلى المنطقة[١]. وعندما وصلت الفرقة الأولى من الهند انطلقت القوات الأساسية في بداية فبراير عام ١٨٥٧ من بوشهر إلى بورازجان، ووصلت إليها في الخامس من فبراير.

وعلى الرغم من أن الفرقة الفارسية ذات الثمانية الآلاف مقاتل، التي كانت تحمي المدينة، قد انسحبت منها، حتى قبل وصول القوات الإنكليزية، إلا أن هذه الأخيرة استغرقت يومين في احتلال مواقعها. وذلك بسبب الهجمات المفاجئة التي كان يشنها عليهم الفرس حتى في الليل. ويعترف واتسون (Watson R) بأن الإنكليز كانوا مرغمين على اللجوء إلى حالة الدفاع طوال الليل[٢].

في الثامن من فبراير نشبت معركة قرب "هوشاب". وقبل هذه المعركة كانت القوات الفارسية تتخذ ترتيباً قتالياً منظماً وصحيحاً. وقد ظهر أن هذه القوات مدربة على الطريقة الأوربية.

ذكر آنجلس في كلامه عن هذه المعركة أن "إدخال النظام الأوربي لا يكفي بحد ذاته لإعداد الجنود الفرس للعمل وفقاً لنظام حديث. وكان بمقدورهم خوض المعركة بجرأة أكبر لو أنهم استخدموا ترتيب قتال نظامي عادي. لكن ما حدث أنهم استخدموا نظاماً جديداً لم يكونوا قد تعودوا عليه، مما جعلهم ضعفاء"[٣].

---

١. انظر: Low C. R مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٤٩.

٢. انظر: Watson R. مرجع سابق، ص٤٤٠ – ٤٤٢.

٣. آنجلس ف.: فارس والصين ١٢ مجلداً.، ص ٢٢٠. (باللغة الروسية).

على الرغم من أن الجيش الفارسي مني بالهزيمة في المعركة قرب "هوشـــاب"، إلا أن الإنكليز جبنوا في التوغل إلى عمق البلد، وانسحبوا إلى بوشهر. وهذا الانسحاب، وظهور اتجاه عملياتي جديد على ضفاف نهر قارون يؤكد على أن القوات الإنكليزية لا تستطيع الابتعاد عن السواحل (وهي دائمة الاعتماد على دعم مدفعية السفن)؛ كمـــا يؤكد ذلك أيضاً على أنهم كثيراً ما كانوا يراهنون في مخططاتهم الحربية على الخـــداع والطرق الملتوية التي كانوا يلجؤون إليها، كالتحريض على النزاعـــات الداخليـــة في معسكر الخصم.

في بداية مارس عام ١٨٥٧ بدأت السفن الإنكليزية الحربية تقترب من المحمـــرة عن طريق نهر قارون. وأتمت حشدها في ٢٤ مارس. وفي صباح يوم ٢٦ مارس بدأت السفن الإنكليزية ذات الغاطس الصغير بفتح نيرانها على التحصينات الفارسية. وردت المدفعية الفارسية على هذه النيران بالمثل، ممـــا أدى إلى إصـــابة الـــسفينة "بيرينـــيس" وإعطابها.

كان التفوق المادي- التقني والعددي للمدفعية لصالح الإنكليز كاملاً؛ إذ بلـــغ عدد مدافعهم ثمانين مدفعاً في حين لم يكن عدد المدافع لدى الجانب الفارسي أكثر مـــن ثلاثين مدفعاً[١]. وفي غضون ذلك لم يكن سوى عدد قليل من هذه المـــدافع يـــصلي السفن الإنكليزية بالنيران. كما ظهر أيضاً خبرة الجانب الإنكليزي وتمرسه في الرمي. وقد أدى استمرار تبادل الرمي المدفعي بين الجانبين إلى إضعاف دقـــة رمـــي الجانـــب الفارسي وفاعليته. وبعد قصف استمر ثلاث ساعات تمكـــن خمـــسة آلاف جنـــدي إنكليزي بدعم من مدفعية السفن من الإبرار إلى الساحل. وعندما لم يبق لدى الجانب

---

[١]. انظر: **Low C. R** مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٥٦، ٣٥٩- ٣٦٠.

الفارسي ما يرد على الرمي المدفعي من السفن الإنكليزية سوى ثلاثة أو أربعة مدافع فقط انتقل الإنكليز إلى وضع الهجوم[1].

استطاعت القوات الإنكليزية الاستيلاء على كل من المحمرة وبوشهر بفضل قوة مدفعيتهم[2]. عندما أخذ المحتلون يتفاخرون بقهر الجيش الفارسي الذي يفوقهم عدداً بأكثر من الضعف (بلغ عدد الجيش الفارسي نحو ١٣٠٠٠ مقاتل) وإجباره على الانسحاب صمتوا تماماً عن الحديث عن التفوق العددي لمدافعهم بثلاث مرات على المدافع الفارسية.

وفي الواقع أظهرت المعارك التي خاضها الجيش الفارسي مع القوات الإنكليزية عدم استعداد الأول لها، وانه تم إرغامه على خوضها من قبل المستعمرين أنفسهم، بعدما شلوا قدرته على إعادة التنظيم. وكان أكثر ما يعاني منه الجيش الفارسي افتقاره إلى الضباط القادة المتخصصين والمؤهلين[3]. ومع ذلك كله أظهرت القطعات العسكرية الفارسية في بعض المعارك مقاومة عنيدة لدرجة أن المحتلين أنفسهم اضطروا للاعتراف بذلك.

بعد الاستيلاء على المحمرة أرسلت القيادة الإنكليزية بعثة استطلاع وتخريب إلى أعالي نهر قارون. وفي الأول من إبريل استطاعت القوات الإنكليزية الاستيلاء على الأهواز بدعم من أسطول ملاحة نهرية مؤلف من ست سفن حربية كبيرة وثلاث سفن صغيرة. أشار الباحث السوفيتي ب.ب. بوشيف إلى أن أسطورة انتصار المفرزة الإنكليزية المؤلفة من ٣٠٠ رجل في الأهواز على تشكيل فارسي قوامه سبعة آلاف

---

1. انظر: Watson R.، مرجع سابق، ص ٤٥٠.
2. انظر: ميرزا جعفر خان مرجع سابق، ص ٢٩٨.
3. انظر: آنجلس ف. مرجع سابق، ص ٢١٩.

رجل ما هي سوى تدليس وخداع. ذلك أن الأسطول الإنكليزي عزل القوات الفارسية الموجودة على الضفة الأخرى للنهر عن الأهواز[1].

من الأهداف التي كانت القوات الإنكليزية تسعى لتحقيقها عند تحركها إلى المحمرة والأهواز الاستيلاء على "خوزستان". وقد طلب الجنرال "ياكوبي"، نائب "أوتريم" بشكل صريح الاستيلاء على خوزستان وضمها مع خرج إلى ممتلكات بريطانيا العظمى. وعدد واتسون، المنافح عن الاستعمار البريطاني، مكاسب الاستيلاء على خوزستان مضيفاً إليها بعض استنتاجاته الخاصة[2]. أما لوه فيرى أن "المَدافع البريطانية هي التي علمت الشعب". وكتب يقول في موازنة له بين الاحتلال البريطاني والاحتلال الروماني أن "هذه الدولة (يقصد بريطانيا) تطالب بأن ترث السيطرة التي كانت أقوى الأمم تفرضها في السابق"[3].

في غضون ذلك كانت مباحثات السلام التي تدور في باريس قد مضى عليها وقت طويل. ولم تكن من الأمور المرضية لبريطانيا أن تكون فارس على استعداد لتنفيذ جل مطالبها؛ إذ كانت الأولى تسعى للتوغل في مجال اقتصاد الثانية، وكذلك لاغتصاب بندر عباس منها.

وفي أثناء المباحثات التي دارت في باريس بين السفير الإنكليزي في استنبول، ستراتفورد د ريدكليف ومن بعده السفير الإنكليزي في باريس، "كولي" من جهة، وسفير فارس المفوض في باريس، فاروق خان من جهة ثانية، كان الجانب البريطاني يصر

---

1. انظر: ب. ب." بوشيف"، مرجع سابق.
2. انظر: **Watson R.**، مرجع سابق، ص ٤٥٥.
3. انظر: **Low C. R** مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٥٦.

على افتتاح وكالات بريطانية في جميع أنحاء فارس، وعلى إعادة النظر في الاتفاقية الموقعة بين هذه الأخيرة وعمان في عام ١٨٥٦ حول شروط تأجير منطقة بندر عباس.

وفي أثناء المباحثات عدل السفير كولي من المطالب البريطانية بأن أضاف مطلباً آخر وهو أن تلعب بريطانيا دور الوسيط في المناقشات بين فارس وعمان. ومن الواضح تماماً أن الإنكليز كانوا يأملون من وراء هذه المناورة الحصول على منفذ لهم ليتدخلوا في شؤون فارس وعمان. إلا أن السفير الفارسي، الذي أدرك ذلك، رفض الوساطة الإنكليزية[١].

وأخيراً أقدم الإنكليز على التوقيع على اتفاقية مع فارس دون أن يحصلوا على التنازلات التي كانوا يطمعون بها بين عامي ١٨٥٣ و١٨٥٥، والتي كان الشاه على استعداد لتقديمها لهم قبل بدأ الحرب. ومرد ذلك أن حركات التحرر قد اشتدت في الهند حتى تحولت في بداية عام ١٨٥٧ إلى ثورات شعبية. كما اندلعت الانتفاضات المناوئة للإنكليز في الهند في أثناء حرب القرم أيضاً.

ومما ذكره القنصل الفرنسي في كلكتا "دي فولبيزين"(Volbezen de E.) في هذا الخصوص أن المعلومات التي انتشرت "حول الإخفاقات في القرم سرعان ما زادت من استياء العقول، وأججت الحقد، وأثارت المخاوف"[٢].

كما قيم كارل ماركس الحادثة عندما قال: " لقد تزامن العصيان في الجيش الأنجلو- هندي مع ظهور التبرم والاستياء العام لدى الشعوب الآسيوية العظيمة من

---

١. انظر: رسالة كولي الموجهة إلى فاروق خان ورد الثاني على الأول بتاريخ ٢ و ٣ مارس عام ١٨٥٧ في Correspondence، مرجع سابق، المجلد الثاني ص ٢٣٨- ٢٣٩.

٢ Voldezen de E. Les anglais et l' Inde (nouvelles etudes). T.١-٢.P., ١٨٧٥. V١.p.٢٦.

سيطرة المستعمرين الإنكليز. ومما لاشك فيه أن العصيان في الجيش البنغالي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحرب الفارسية، والصينية"[1]. وكانت القيادة الإنكليزية في الهند بحاجة ماسة إلى القوات. ولهذا اضطر المحتلون الإنكليز للانسحاب مرة أخرى من الخليج العربي.

في الرابع من مارس عام ١٨٥٧ تم في باريس التوقيع على اتفاقية الصلح[2]. وقد تضمنت هذه الاتفاقية مادة تنص على أن يتوقف الشاه عن التدخل في شؤون هرات. والواقع أن هذا المطلب كانت الحكومة الفارسية قد وافقت عليه في السابق، في عام ١٨٥٢ - ١٨٥٣.

على الرغم من أن بريطانيا لم تحصل على الاعتراف "بمصالحها الخاصة" في الخليج العربي، إلا أن هذه الاتفاقية أطالت مدة الاتفاقية الخاصة بتفتيش السفن الفارسية "بحجة مكافحة تجارة الرقيق" حتى عام ١٨٧٢. وبانقضاء هذا التاريخ يحق لفارس إلغاء هذه الاتفاقية على أن تنقضي سنة كاملة بعد إعلان رغبتها بذلك. (كانت الحكومة البريطانية ترى أنه خلال هذه المدة يمكنها إيجاد وسيلة لتمديد هذه الاتفاقية).

التوسع البريطاني في طوره النهائي.

دخل التوسع الاستعماري طوره النهائي في الأربعينات والخمسينات من القرن التاسع عشر، عندما تشكلت الإدارة البريطانية للخليج بالشكل النهائي، وازداد عدد المقيمين والوكلاء الرسميين. وكان لتأسيس قنصلية جديدة في مسقط ووكالة في البريمي أهمية كبرى لبريطانيا.

---

[1]. انظر: ماركس ك: ثورة في الجيش الهندي، ص ٢٤١. (باللغة الروسية)

[2]. انظر: Aitchison C.u. مرجع سابق، المجلد العاشر ص ٧٤- ٧٨.

ونظراً لاتساع شبكة الوكلاء ومجال عمل المقيم البريطاني الرئيس في بوشــــهر، فقد جرى تعيين أشخاص في هذا المنصب من كبار ضباط قوات الاستعمار الأنجلــو-هندية. كما جرى تعزيز الأسطول البريطاني الموجود باستمرار في مياه الخليج العربي إما بزيادة عدد سفنه وإما بزيادة استطاعة هذه السفن (وكذلك زيادة استطاعة مدفعيـــة السفن). وعزت بريطانيا إلى نفسها القيام بدور رجل البوليس في منطقة الخليج العربي، من خلال تنفيذ حملات تفتيشية مفاجئة، وحملات تأديبية على امتــداد الــساحل وفي الجزر.

واكتسب الأسلوب الذي كانت تتبعه بريطانيا في استثارة الخلافات والتراعات الداخلية، وإقامة التحالفات والتكتلات من قبائل مختلفة أبعاداً كبيرة[1]. وإذا صـــادف أن حدث نزاع دون أن يكون للإنكليز ضلع فيه، فلا بد أنهم ســيلعبون في الطــور النهائي من هذا التراع دور قاضي التحكيم. وينطقون بالحكم الــذي يتناســب مــع مصالحهم الخاصة بالدرجة الأولى.

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

يعد فرض الحماية البريطانية من خلال مجموعة الالتزامات الجائرة، والتعهـــدات التي كانت بريطانيا تفرضها على الشيوخ، الخاصية المميزة لنظام الاستعمار البريطاني في منطقة الخليج العربي. وكانت أولى هذه المجموعة ما يسمى "الاتفاقية"، التي قام سيتون في عام ١٨٠٦ بإملاء شروطها على الشيخ سلطان بن صقر.

وبعد التوقيع على المعاهدة العامة، أخذت وثائق المعاهدات العامة "تتوالى حرفياً الواحدة بعد الأخرى" بفاصل زمني يتراوح بين الثلاث والخمس السنوات. ومن أكثر

---

[1]. انظر مقالة خاصة لـــ تومانوفيتش ن. ن. حول ذلك في تومانوفيتش ن. ن.- تنظـيم الأحــلاف والتكــتلات العسكرية كوسيلة للتوسع البريطاني في الشرق الأوسط. "من أعمال معهد التاريخ، أكاديمية العلـوم، جمهوريــة كرغيزيا الاشتراكية السوفيتية". الإصدار الأول، فرونزه، ١٩٥٥.

هذه الاتفاقيات أو المعاهدات أهمية بالنسبة لبريطانيا تلك التي وقعها شيوخ الشمال في الأعوام: ١٨٣٥، و ١٨٤٣، و١٨٤٧، و١٨٥٣، والتي أدت إلى فرض الحماية البريطانية على هذه المنطقة[1]. وقد انعكست هذه الخاصية على التسمية الجغرافية التي أدرجها المستعمرون الإنكليز على المنطقة، عندما أطلقوا على ساحل الشمال اسم "عمان المتصالحة".

بغية ترسيخ نظام الاستعمار البريطاني أعيرت أهمية كبرى لمسألة فرض الحماية الفعلية (التي أصبحت قانونية منذ عام ١٨٦١) على أرخبيل البحرين. وبذلك أصبحت البحرين الحلقة الأخيرة في سلسلة القواعد ونقاط الاستناد البريطانية على الساحل العربي للخليج العربي. ومع مرور الوقت باتت البحرين القاعدة الأولى من حيث الأهمية للاستعمار البريطاني في هذه المنطقة.

رأى الإنكليز أن نظام الإدارة الذي تشكل بنفوذهم في عمان هو النموذج الذي يجب أن تحتذي به الإمارات الأخرى. وقد أطلقوا على عمان اسم "الوحدة المستقرة في سياسة الحكومة البريطانية في الخليج العربي"[2]. وتجلى هذا "الاستقرار" بأن فرض الإنكليز سيطرتهم الكاملة على حاكمها، الذي كان يعتمد كلياً على حراب الإنكليز (الذين تصرفوا في شؤون عمان على مدى عقود من الزمان بما يتناسب مع مصالحهم وتطلعاتهم). ولهذا أخذ هؤلاء يوحون للسيد، حاكم عمان بين الحين والآخر بأن نهاية حكمه لا تكلفهم سوى طي هذه الحراب.

---

[1]. أخذ الإنكليز يستخدمون عبارة "تحت حماية الحكومة البريطانية" في أواخر العقد الثالث من القرن التاسع عشر. [انظر.Kelly J. B، مرجع سابق، ص ٣٢٢-٣٢٣, بالاستناد إلى وثائق "مكتب الهند"].

[2].انظر: Kelly J. B.، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

يتجلى تطور السياسة البريطانية في منطقة الخليج العربي على مدى نصف قرن بشكل خاص في نموذج العلاقات المتبادلة بين بريطانيا وشيوخ ساحل الشمال، الذين كانوا أول من أظهرت لهم بريطانيا نظام الاستعمار الإنكليزي بشكل عملي. وعندها أعلنت للجميع بأن اهتمامها يقتصر فقط على تطوير علاقاتها التجارية، وأنه لا توجد لديها أيّ ادعاءات أو مطامع إقليمية، وليس في نيتها التدخل في الشؤون الداخلية للقبائل المحلية. وفي غضون ذلك أخفت أطماعها التوسعية بحجج وذرائع "كالدفاع" عن الهند من الفرنسيين، و"مكافحة القرصنة" وغير ذلك.

وعندما استقر الإنكليز في رأس مسندم، وشعروا بأن حاكم عمان بدأ ينصاع لضغوطهم، وأن حكومة الشاه لا تتمتع بالقوة الكافية للتهديد، أخذوا هم بتهديد فارس، والتأثير على السيد الذي يحكم عمان، والتفريق بين قبائل الشمال. وعندما بدا أن أحاديث الإنكليز عن سياسة عدم التدخل تتناقض تماماً مع أعمالهم أعلنوا عن "مبدأ جديد مصطنع"، وهو أنهم "يلتزمون بنظام الحياد، وأنهم لا يتدخلون إلا عندما يكون التدخل أمراً لابد منه, وعندها يكون عملهم فعالاً"[1].

عندما بسط الإنكليز سيطرتهم على الملاحة والتجارة في الخليج العربي، وأخضعوا النطاق الساحلي الجنوبي لسلطتهم، وقاموا بتدبير المكائد وحياكة الدسائس في بلاط الشاه لم يعودوا يخفون عدوانهم. وفي السادس عشر من إبريل عام ١٨٣٤ قرر مجلس مديري شركة الهند الشرقية رسمياً أن "سياسة عدم التدخل التي كانت تنتهجها

[1]. مقتبس من تعليمات موجهة إلى المقيم في الخليج العربي على أساس أنها وثيقة من "مكتب الهند"، انظر: **Kelly** **J. B.**، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

بريطانيا (أي جميع الأعمال التي تقوم بها بما في ذلك الحملات العسكرية التأديبية) قد انتهت من الآن"[1].

قبل منتصف القرن التاسع عشر قسمت بريطانيا الساحل الجنوبي والشمالي للخليج العربي، وفرضت نظام "الأراضي التابعة" على امتداد النطاق الساحلي من الإحساء حتى مسقط. كما فرضت سيطرتها على النطاق الساحلي الجنوب الشرقي للساحل العربي حتى مضيق باب المندب. وبعد أن قمع الإنكليز حركات التحرر للقبائل العربية، وبثوا بذور الشقاق والخلاف بين المشتركين في التحالفات التي تشكلت (بين فارس وعمان وشيوخ الشمال وغيرهم) أخذوا بتنفيذ مخططات زعمائهم، أصحاب المذهب الإيديولوجي، وخبراء السياسة الاستعمارية الذين أعلنوا أن "سواحل جزيرة العرب هدف له أهميته المباشرة بالنسبة للحكومة الملكية"[2]. وكان أي رفض للنظام الذي وضعه المستعمرون يجابه بالنار والسيف.

واستحوذت بريطانيا على السلطة العليا لمنطقة الخليج العربي بكاملها، وباتت الحكم الفصل، والمتحكم في مصير الشعوب المحلية. حتى إنّ المراجع التاريخية كثيراً ما كانت تطلق في النصف الأول من القرن التاسع عشر اسم "البحيرة البريطانية" على الخليج العربي، في حين أطلقت على المنطقة بأكملها اسم "مخفر بريطانيا الأمامي في الشرق الأوسط".

بعد أن أمن الإنكليز ظهرهم على الساحل الجنوبي للخليج أخذوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يزيدون من ضغطهم على فارس، قاصدين من وراء ذلك إخضاعها لسيطرتهم. في بداية القرن التاسع عشر كان مالكولم يحلم بأن يثبت الإنكليز

---

[1] انظر: **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ٢٣٧

[2] . من أقوام الملك ويلغيلم الرابع، من وثائق "مكتب الهند". انظر: **Kelly J. B.**، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

أقدامهم في الخليج العربي، ويصبحوا المتحكمين بمصير فارس وجزيرة العرب والدولـة العثمانية. وفي عام ١٨٢٦ ذكروا أن "الخط الأمامي للدفاع عن الهند يقع في فارس".

وفي عام ١٨٣٩ صرح بالميرستون، الذي كان يشغل آنـذاك منـصب وزيـر خارجية بريطانيا، في تقييمه لأهمية البحرين، التي أهمت بريطانيا باحتلالها التوسع في هذه المنطقة، بأن "وجود قاعدة بريطانية في البحرين سوف يساعد على العمل بشكل فعال في فارس"[١]. ولمثل هذه التصاريح التي صدرت عن مخططي سياسة بريطانيا الخارجية، والمنفذين لها، علاقة مباشرة مع فارس كهدف قادم للاستعمار. وقد قطـع الإنكليـز شوطاً كبيراً على هذا الطريق قبل منتصف القرن التاسع عشر. فقد تمكنوا من تشكيل مجموعات مؤيدة لسياستهم تقوم باستمرار بأنشطة تخريبية في بلاط الشاه.

ومثل هذه المجموعات تم تشكيلها أيضاً في أكبر المـدن الفارسـية كأصـفهان وشيراز[٢]. كما استفاد الإنكليز من شبكة استخباراتهم التي غطت البلاد كلها، والتي اطلعت بريطانيا من خلالها على كل ما يجري في مملكة الشاه. ووضعت المناطق الجنوبية لفارس تحت مراقبتها[٣]. وأخذ الإنكليز يتدخلون في النزاعات والخلافـات الداخليـة التي تحدث بين السلطات المحلية، والتي كثيراً ما كانت تقع بتحريض منهم أنفـسهم.

١. انظر: Kelly J. B.، مرجع سابق، ص ٢٦٢، ٣٣٧- ٣٣٨.

٢. تقرير من سيمونيتش إلى نيسيلرود مؤرخ في ١٤ أبريل عام ١٨٣٣. انظر: أرشيف سياسة روسيا الخارجيـة. خزانة وزارة الخارجية، الديوان، الاضبارة ٢٠٨، الورقة ٤٣).

٣. ذكر دولغاروكوف في تقريره الموجه إلى نيسيلرود، المؤرخ في ١ يونيو ١٨٤٨ أن "الإنكليز لايعترفـون نهائياً بسلطة الشاه على الساحل الجنوبي". انظر: أرشيف سياسة روسيا الخارجية. خزانة وزارة الخارجيـة، الـديوان، الاضبارة ١٣٣.

وانتهجوا سياسة فصل الولايات الجنوبية عن الحكومة المركزية[١]. وأصبح ضغطهم الحربي من جهة الخليج العربي يشكل خطورة أكبر على فارس.

واستعاضت بريطانيا عن وجود أسطولها الحربي الدائم في مياه الخليج العربي من عام ١٨٠٨ إلى عام ١٨١٠ بنظام الدوريات. وكانت القواعد الأساسية في قشم، وموانئ بندر عباس، وبوشهر وغيرها من المناطق الساحلية تحت السيطرة الفعلية إما للإنكليز، وإما للشيوخ التابعين لهم.

وبغية زيادة الضغط العسكري كانت بريطانيا ترسل بشكل دوري عمارات جديدة إلى مياه الخليج. وكان الاستعداد للحرب الأنجلو فارسية، الذي استدعى، حسب رأي الساسة الإنكليز، تسريع عملية استعمار المنطقة بأكملها، قد تم الانتهاء منه قبل وقت طويل من إيجاد الحجة الرسمية التي تم استخدامها لإشعال الحرب. وقد خدمتهم في ذلك التحصينات التي أقاموها، والتهديدات التي أطلقوها، والقوات التي حشدوها في مياه الخليج. وغير ذلك من الوقائع التي دائماً ما يصمت عنها المؤرخون الإنكليز، والتي من بينها قيام الإنكليز في عام ١٨٥٢ بحشد قوات قوامها تسعة آلاف جندي في الخليج العربي[٢].

---

١. جاء في رسالة سرية مستعجلة من دولغاروكوف إلى نيسيلرود مؤرخة في ٦ يونيو ١٨٤٨ أن "أوامر البعثة الدبلوماسية البريطانية لها تأثير كبير" في أحد شيوخ أكبر القبائل (الخانية) التي يبلغ تعدادها ٧٠ ألف نسمة، وتقيم في فارس، "يفوق تأثير حاكم فارس شخصياً". (انظر: أرشيف سياسة روسيا الخارجية. خزانة وزارة الخارجية، الديوان، ١٨٤٩ الاضبارة ١٧٨،المجلد ١ الورقة ١٤٧). وحول موقف شيخ بندر عباس المؤيد للإنكليز ومحاولاته الانفصال عن فارس انظر أيضاً: تقرير دولغاروكوف إلى نيسيلرود المؤرخ في ١٤ يناير عام ١٨٤٨ في المرجع نفسه الاضبارة ١٧٧، الورقة ٣٢.

٢. انظر تقرير السفير برونوف في لندن تاريخ ٨ أكتوبر عام ١٨٥٢ في أرشيف سياسة روسيا الخارجية. خزانة وزارة الخارجية، الديوان، ١٨٥٢ الاضبارة ١٥٩، الورقة ٥٢٠.

ليس من الصواب تناول موضوع التوسع البريطاني في منطقة الخليج العربي في أواسط القرن التاسع عشر بشكل منفرد؛ إذ إنّ هذا التوسع أظهر نشاط السياسة البريطانية في الشرقين الأدنى والأقصى بعد الأزمة التجارية التي حدثت في عام ١٨٤٧، عندما "سبق التطورُ الكبير والسريع في الصناعة توسيعَ الأسواق الخارجية، وتزايد الطلب على البضائع الصناعية"[١]، وعجزت الأسواق عن استيعاب المنتجات البريطانية المتنامية.

لقد لجأ الرأسماليون الإنكليز لاستخدام السلاح ظناً منهم أنه قادر على تمهيد الطريق أمام بضائعهم. وانتهجوا في منطقة الخليج العربي سياسة عدوانية نشطة، كما فعلوا في المناطق الأخرى من الكرة الأرضية.

أما حركة تحرر الشعوب التي رزحت تحت نير الاستعمار، فقد نجحت في إحباط مشاريع بريطانيا العدوانية إزاء فارس. إلا أن منطقة الخليج العربي تحولت على مدى نصف قرن من الزمان إلى منطقة النفوذ البريطاني، وأصبحت شبه مستعمرة بشكل فعلي.

١. آنجلس ف، مقدمة للإصدار الثاني الألماني "وضع الطبقة العاملة في إنكلترا". – ٢٢ مجلداً، ص ٣٣٢.

الخاتمة

كان الأوربيون أول من توغل في الخليج العربي عن طريق البحر في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر. وكانت الأوساط الحاكمة في البرتغال، التي وقفت على طريق الاحتلال الاستعماري، قد استفادت من اكتشاف الطريق البحري حول أفريقيا، ومن قوة أسطولها، واستحوذت على تجارة حوض بحر العرب. وكانت الإمبراطورية الاستعمارية التي شكلها الأوربيون في منطقة الخليج العربي تعتمد على قوة السلاح. وتعين على الموانئ والمدن الساحلية المحتلة دفع أتاوى تثقل كاهلها. ووضعت في هذه المناطق الحاميات البرتغالية. وأخذ الغرباء يسيطرون على التجارة المحلية.

تميزت مرحلة الاستعمار القرنية لمنطقة الخليج العربي بثورات عديدة أشعلتها القبائل المحلية ضد نير الاستعمار. وكان سخط الناس وتبرمهم أحد الأسباب الرئيسة التي أدت في النهاية إلى سقوط نظام الاستعمار البرتغالي. وكان للقوات الفارسية دورها الحاسم في وضع حد للاستبداد البرتغالي. فمن العشرينات إلى الخمسينات من القرن السابع عشر استولت فارس على القواعد البرتغالية في الخليج العربي. إلا أن افتقارها إلى قوات بحرية حربية اضطرها للاستعانة بالدول الأوربية المنافسة للبرتغال، وهي هولندا، وفرنسا، وبريطانيا، التي أخذت سفنها بالظهور في منطقة الخليج العربي قبل ذلك بوقت قصير. وأصبح الهدف الموحد لهذه الدول الثلاث القضاء على الهيمنة الاستعمارية البرتغالية.

وفي غضون ذلك كانت كل واحدة من هذه الدول الثلاث تطمع بقطف ثمار الانتصار على البرتغاليين، دون أن تكون لها أيّ رغبة في تعزيز قوة فارس. ولهذا كان الدور الذي لعبته سفن هذه الدول الثلاث في مسألة طرد البرتغاليين دوراً نصفياً وذا معنيين.

بعد جلاء البرتغاليين عن منطقة الخليج العربي اشتدت المنافسة الأنجلو- فرانكو - هولندية. وتمكنت هولندا لبعض الوقت (في النصف الثاني من القرن السابع عشر) من السيطرة على التجارة في الخليج العربي. إلا أن بريطانيا استطاعت قبل نهاية هذا القرن، بفضل نجاحاتها العسكرية وتحالفها مع فرنسا الضغط بشدة على مواقع الهولنديين. كما كانت هناك رغبة لدى حكومة الشاه بتقليص النفوذ الهولندي المتزايد في الخليج العربي. ولهذا عملت في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر على مواجهة هولندا ببريطانيا وفرنسا.

وبالقدر الذي تراجعت فيه هولندا اتسعت المنافسة الأنجلو- فرنسية، وتحولت في المدة من عام ١٧٠١ إلى عام ١٧١٤ إلى حرب على الميراث الأسباني. وأخذ الحليفان القديمان يخوضان المعارك في أوربا والمستعمرات، وكل مكان تتعارض فيه مصالحهما. وتميزت السنوات العشرين الأولى من القرن الثامن عشر بنشاط كبير لفرنسا في منطقة الخليج العربي.

ففي عامي ١٧٠٨ و١٧١٥ أبرمت مع فارس اتفاقيتين تجاريتين، منحتا التجار الفرنسيين عدداً من الامتيازات الهامة. إلا أن الأخيرين لم يستطيعوا الاستفادة منها بالشكل الأمثل؛ إذ لم تبادر الشركات التجارية الفرنسية إلى تنفيذ شروط هاتين الاتفاقيتين، طمعاً منها بإمكانية الحصول على تنازلات جديدة من حكومة الشاه.

ومن ناحية ثانية أخذ البرتغاليون والهولنديون والإنكليز، الذين كان لهم دور في التجارة في الخليج العربي يقاومون النفوذ الفرنسي بجميع الوسائل. حتى إنّ الهولنديين والإنكليز حاولوا ترسيخ أقدامهم في الجزر في مضيق هرمز مستغلين الوضع الداخلي المتوتر في فارس. وعندما استقر الحكم في هذه الأخيرة في الثلاثينات والأربعينات من القرن الثامن عشر تم وضع حد لتزايد نفوذ الأوربيين، وتم حصر أعمالهم ضمن أطر

الامتيازات التي صادق عليها الشاه. وأخذت بريطانيا منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر تلعب دوراً متزايداً في اقتصاد بلدان الخليج العربي وسياستها.

تعود المحاولات الأولى لتوغل الإنكليز في الخليج العربي إلى القرن السادس عشر، عندما كان الاستعمار البرتغالي يفرض سيطرته على هذه المنطقة. فعندما أخفقت الشركات التجارية البريطانية في محاولات الالتفاف حول منافسيها من "الشمال" من خلال أراضي روسيا وفارس توجهت إلى الخليج العربي على الطريق الذي سلكه البرتغاليون، وهو الالتفاف حول رأس الرجاء الصالح. وكان يتعين على الإنكليز الاقتناع في الخليج العربي بالامتيازات التجارية القليلة التي تقدمها لهم حكومة الشاه من وقت إلى آخر، وبلعب دور الشريك في المشاريع الحربية لفارس، وغيرها من الدول الأوربية في الخليج.

والذي ميز السياسة البريطانية في الخليج العربي في هذه المرحلة تحولاتها الجذرية الموجهة لهدف واحد، هو إزاحة المنافسين وتعزيز مواقع الإنكليز في هذه المنطقة. ولتحقيق هذا الهدف بأقل قدر من الخسائر سعى الإنكليز للحصول على تأييد الدول الأوربية الأخرى لهم ودعمها. فمثلاً وقفوا في وجه البرتغال بعد تحالفهم مع هولندا، ثم تحالفوا مع فرنسا للوقوف ضد هولندا، وهكذا.

كانت فارس تشكل عقبة كأداء أمام التوسع الإنكليزي في الخليج العربي. ولهذا كان الإنكليز يولون الأحداث التي تشهدها المنطقة جل اهتمامهم. وقد تمكنوا من جني أرباح كبيرة من التجارة في الخليج العربي عندما كانت السلطة المركزية في فارس في حالة استقرار. أما الأوقات التي كانت تندلع فيها أعمال الشغب وتحدث فيها الفتن فقد كان الإنكليز يجدونها فرصة سانحة لإقامة قواعد استناد لهم في الخليج. ولم تأل

بريطانيا جهداً للحيلولة دون امتلاك فارس لما يعزز قوها. ذلك أن امتلاك الأخيرة للقوة يمكن أن يشكل خطراً على الأولى يحرمها من إمكانية تنفيذ مخططاها بعيدة المدى.

كانت لفرمانات الحاكم الأعلى لفارس كريم خان زند الذي أنعم بها على شركة الهند الشرقية البريطانية في عام ١٧٦٣ أهمية كبيرة في تاريخ التوسع الإنكليزي في الخليج العربي. وكانت هذه الفرمانات خاصة بالتجارة بالدرجة الأولى. ودلت على العلاقات المتكافئة آنذاك بين فارس وبريطانيا. إلا أنه ظهر فيما بعد أن مواقف الطرفين متناقضة تماماً.

وقد استطاعت بريطانيا بعد انتصارها على فرنسا في حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣) فرض السيطرة الاستعمارية والاحتكار التجاري. أما فارس فقد تجددت فيها الخلافات الداخلية والتراعات الإقطاعية بعد وفاة كريم خان (عام ١٧٧٩)، ودامت ما يقرب من عشرين عاماً.

بعد أن رسخت شركة الهند الشرقية البريطانية أقدامها على مشارف القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في الهند التي جعلتها قاعدة لها أخذت مع بداية القرن الجديد تستعمر المناطق المجاورة لها، ولا سيما منطقة الخليج العربي التي جعلت منها رأس جسر أولي للتوسع المستقبلي في الهند، وآسيا الصغرى، والجزيرة العربية. وكانت الأوساط العسكرية للشركة قد أعدت خطط التوسع.

في عام ١٨٠٨ دخلت القوات البحرية والبرية الإنكليزية إلى الخليج العربي بقيادة مالكولم. وبقيت مدة طويلة في المياه الإقليمية لفارس، وأخذت تهدد بالقيام بالإنزال البحري. شكلت ما تسميه المراجع التاريخية "بالبعثات الدبلوماسية" بداية لوجود القوات المسلحة الإنكليزية الدائم في مياه الخليج العربي، ولقيام الإنكليز

بمحاولات الاستيلاء بالقوة على قواعد استناد على سواحل الخليج وجزره من أجل الضغط على البلدان المتاخمة له، ومن ثم استعمارها. كما شكلت هذه البعثات بداية لتغلغل الإنكليز المباشر في عمق آسيا الصغرى: البصرة وبغداد.

استطاعت بريطانيا من خلال الضغط العسكري على فارس من جهة الخليج العربي إرغامها على إبرام معاهدات غير متكافئة في الأعوام ١٨٠٩ و ١٨١٢ و١٨١٤، وذلك بعد أن راقبت سياستها الخارجية. وفي الوقت نفسه أخذ الإنكليز يتدخلون كثيراً في شؤون عمان، الإمارة الواقعة على قطاع استراتيجي هام على الطريق الواصلة بين الهند والخليج العربي. ونتيجة للضغط الذي مارسته بريطانيا على حاكم عمان على مدى عشرين عاماً ونيف أصبح أداة طيعة لسياستها الاستعمارية.

لقد أدت السياسة التي انتهجتها بريطانيا على سواحل الخليج العربي وجزره إلى نهوض السكان المحليين للنضال ضد المستعمرين. وعندها أخذ الإنكليز ومن بعدهم المؤرخون الذين يقفون خلفهم بنعت انتفاضات القبائل المحلية ضد الإنكليز "بالقرصنة"، وتعمدوا عدم التمييز بين النضال الشعبي الفدائي للتحرر من المستعمرين وبين القرصنة الحقيقية. وكان مبدعو سياسة الاستعمار البريطانية بحاجة إلى كلمات جميلة حول مكافحة القرصنة، ومن ثم مكافحة تجارة الرقيق كغطاء بالدرجة الأولى للحملات التأديبية على امتداد ساحل الخليج العربي، ولإقامة نقاط استناد لهم في المنطقة.

ونتيجة لقصف المدن الساحلية والقيام بعمليات إنزال بحري فرضت بريطانيا نظامها الاستعماري على القسم الأكبر من الساحل الجنوبي للخليج العربي، واختتمت هذا الوضع بفرض سلسلة من المعاهدات الجائرة، والتي كان من أهمها ما يسمى "المعاهدة العامة" الموقعة عام ١٨٢٠. والذي حدث أن المقيمين البريطانيين كانوا

يجبرون الشيوخ المحليين على التوقيع على "موافقات" إن جاز القول؛ إذ إنّ ذلك كان يتم تحت فوهات مدافع السفن.

تميز النظام الذي استخدمته سلطات الاستعمار البريطاني من أجل استعباد الشعوب، الذي يصح أن نسميه "نظام متعدد المراحل" بأن أولاً: كانت النسبة الأكبر في القوات الإنكليزية التي نفذت الأعمال الحربية ضد سكان الخليج العربي من المرتزقة الهنود، الذين جندهم بريطانيا من بين شعوب الهند، التي خضعت لها منذ أمد بعيد؛ وثانياً: عندما ثبتت بريطانيا نفسها في عمان راحت تجند العمانيين لاستخدامهم كقوة عسكرية ضد المشيخات الأخرى في المنطقة.

تحددت خلال السنوات الثلاثين الأولى من القرن التاسع عشر الاتجاهات المهمة والأساسية للتوسع البريطاني في منطقة الخليج العربي: فارس، وعمان، وساحل الشمال، والكويت، والبصرة، والأهواز. وقد سعى الإنكليز في مدة الثلاثينات والخمسينات لجعل هذه المناطق سلسلة واحدة تشكل حصناً للاستعمار البريطاني في الخليج. وتنوعت الأساليب التي استخدمها الإنكليز في ذلك تبعاً لدرجة قوة الحكام المحليين. وفيما يخص الحكومة الفارسية فقد اتبعت معها بريطانيا أسلوب التهديد.

وخلال هذه المدة شكلت بريطانيا حالتين خطيرتين: الأولى عندما استولت القوات الإنكليزية على جزيرة خرج (١٨٣٨- ١٨٤٢) على أمل تحويلها إلى "سنغافورة الخليج العربي"؛ والثانية، عندما أشعلت نيران الحرب الأنجلو فارسية (١٨٥٦ – ١٨٥٧). وكان نتيجة الصدام الأول عقد اتفاقية تجارية أنجلو فارسية، تم فيها منح الإنكليز حق الحصانة. أما الصدام الثاني فقد نتج عنه توقيع اتفاقية رسخت تبعية فارس لبريطانيا العظمى.

وفي تعاملها مع حاكم عمان وشيوخ الشمال طبقت بريطانيا سياسة التحكم وإملاء الشروط بشكل واضح. وربطت هؤلاء الحكام بمجموعة معاهدات جائرة انتقلت فيها وظائف الشيوخ بشكل تدريجي إلى المقيمين البريطانيين. وحتى منتصف القرن التاسع عشر، أصبح الساحل الجنوبي للخليج العربي وخليج عمان في حقيقة الأمر من ممتلكات بريطانيا.

وكانت الناحية الشمالية الغربية للخليج، من الكويت حتى الأهواز هي المنطقة الوحيدة التي أفلتت خلال المدة موضوع الدراسة من بسط السيطرة البريطانية، وذلك على الرغم من أن الوكلاء البريطانيين كانوا يعملون في هذه المناطق، كما كانت تعمل هنا أيضاً بين الحين والآخر فصائل عسكرية بريطانية.

استحوذت بريطانيا عملياً على السلطة العليا في الخليج، وأصبح مصير القبائل المحلية مرتبطاً بقرار المقيم البريطاني الرئيسي، الذي اتخذ من بوشهر مكاناً له؛ وأخذ الأسطول البريطاني دور الشرطي في الخليج العربي، وأصبحت التجارة والملاحة مركزة بأيدي الإنكليز أو بأيدي من هم في تبعية لبريطاني من تجار وأصحاب سفن.

استمر النظام الاستعماري الذي كيفته بريطانيا حسب ظروف الخليج العربي بالشكل الذي كان عليه النظام الاستعماري البرتغالي دون أن يطرأ عليه أي تغيير يذكر حتى الحرب العالمية الأولى، وذلك على الرغم من محاولات الدول الإمبريالية الأخرى (الولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا، واليابان) مزاحمة بريطانيا على مواقعها، وإزاحتها عنها. ونتيجة للحربين العالميتين، والوعي الوطني، الذي أخذ يزداد بشكل كبير، وقيام حركات التحرر الوطنية في عدد من البلدان التابعة أخذت الإمبراطورية الاستعمارية البريطانية بالانهيار.

وفي يومنا هذا تظهر الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الخليج العربي لتدعي "الإرث البريطاني". والشيء المميز في ذلك تتابع الأساليب التي تنتهجها الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية، التي عقدت العزم على شغل المكان الذي انسحبت منه بريطانيا. بدليل النفوذ القوي والشامل الذي فرضته، كما هو معروف جيداً على نظام الشاه في فارس.

ونعد نحن اليوم شهوداً على سياسة الاضطهاد والتنكيل التي تنتهجها أمريكا تجاه جمهورية إيران الإسلامية. وأمريكا مثلها مثل أسلافها تعتمد قبل كل شيء على القوة الضاربة لأسطولها الذي زادت من قوة مدفعياته بإدخال أنواع جديدة من الأسلحة مثل طيران السفن القادرة على توجيه ضربات جوية إلى عمق البلاد. وتعاني دول المنطقة من التأثير العسكري الدائم لهذه الدولة العظمى، التي تملك قوات انتشار سريع، وقواعد حربية لهذه القوات في هذه المنطقة.

ومن الملاحظ أن أمريكا التي تلعب دور "شرطي السلام" نشرت شبكة عملاء لها في كامل منطقة الخليج العربي. وتلجأ إلى ممارسة أساليب الضغط القديمة كفرض العقوبات السياسية والاقتصادية.

نلاحظ أن بريطانيا فكرت بانتهاج هذا الأسلوب حتى قبل البرتغال، والدول الأوربية الأخرى التي طمعت بمنطقة الخليج العربي. وهذا ما يفسر سبب محافظة الاستعمار بطبيعته الهجومية والعدوانية بأي مظهر كان.

الملاحق:

نصوص المعاهدات التمهيدية التي وقعها حكام إمارات الخليج العربي مع الإنكليز[1].

المعاهدة التمهيدية مع سلطان بن صقر

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم جميع الناس أن سلطان بن صقر كان في حضرة الجنرال السير وليم جرانت، وتم الاتفاق بينهما على المواد الآتية:

المادة الأولى: يقوم سلطان بن صقر بتسليم القلاع والمدافع والسفن الموجودة في الشارقة وعجمان وأم القيوين وتوابعها إلى الجنرال كير. ويبقي الجنرال السفن المخصصة لصيد السمك لدى أصحابها، ويضع بقية السفن تحت تصرفه.

المادة الثانية: يسلم سلطان بن صقر جميع الأسرى الهنود إذا كان أحد منهم لديه.

المادة الثالثة: لا يسمح الجنرال لقواته بالدخول إلى المدينة وتخريبها.

المادة الرابعة: يُسمح لسلطان بن صقر بعد تنفيذ هذه الالتزامات بالانضمام إلى معاهدة السلام العامة، أسوة ببقية العرب الأصدقاء المسالمين.

---

1. نصوص المعاهدات مترجمة من اللغة الإنكليزية إلى اللغة الروسية، [ومنها إلى العربية] "انظر: النص الإنكليزي في Aitchison C.u. مرجع سابق، ص ١٢٢-١٢٧، ١١٦- ١١٧.

وعلى هذا الأساس تكون قد انتهت حالة العداء بين الجنرال وسلطان بن صقر وأتباعه. ولكن يحظر على مراكب الأخيرين دخول البحر.

تم في رأس الخيمة في العشرين من ربيع الأول عام ١٢٣٥هـ الموافق ٦ ينـاير ١٨٢٠م

توقيع: اللواء و. جرانت كير

سلطان بن صقر

أشهد بخاتمي وتوقيعي على نسخة من المواد المتفق عليها مع سلطان بن صقر.

التوقيع: اللواء و. جرانت كير

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

المعاهدة التمهيدية مع حسن بن رحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم جميع الناس أن حسن بن رحمة كان في حضرة الجنرال السير وليم جرانت كير، وقد تم الاتفاق بينهما على المواد الآتية:

المادة الأولى: تبقى مدينة رأس الخيمة والمحارة، والأبراج المقامة قرب المدينة في يد الحكومة البريطانية.

المادة الثانية: إذا كانت أي من سفن حسن بن رحمة موجودة في الـــشارقة أو أم القيوين، أو عجمان، أو أي مكان آخر يذهب إليه الجنرال بقواته، فيجب أن تسلم إلى الجنرال، وسيترك الجنرال سفن صيد اللؤلؤ وصيد السمك لدى أصحابها.

المادة الثالثة: يسلم حسن بن رحمة الأسرى الهنود إذا كان أي منهم لديه.

المادة الرابعة: بعد تنفيذ هذه الالتزامات سيسمح له بالانضمام إلى معاهدة السلم العامة مع بقية العرب الأصدقاء المسالمين.

تم في رأس الخيمة قبل ظهر السبت الثاني والعـــشرين مـــن ربيـــع الأول عـــام ١٢٣٥هـــ الموافق ٨ يناير ١٨٢٠م.

توقيع: و. جرانت كير

حسن بن رحمة

الاتفاقية التمهيدية مع شيخ دبي

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم جميع الناس أن محمد بن هزاع بن زعل – القاصر– ومعه أحمد بن فطيس اجتمعا مع الجنرال السير وليم جرانت كير، وتم الاتفاق على النصوص الآتية:

المادة الأولى: يسلم أهالي دبي إلى الجنرال السفن التي في دبي وتوابعها والمدافع الموجودة في الأبراج. وسيترك الجنرال لهم مراكب صيد اللؤلؤ ومراكب صيد السمك.

المادة الثانية: يسلم أهالي دبي جميع الأسرى الهنود، إذا كان لديهم أي منهم.

المادة الثالثة: يمنع الجنرال قواته من الدخول إلى البلدة لنهبها، ويبقي على الحصن والأبراج تقديراً لصاحب العظمة الإمام سعيد بن سلطان.

المادة الرابعة: إذا تم تنفيذ هذه النصوص فسيسمح لمحمد بن هزاع بن زعل وأتباعه بالانضمام إلى معاهدة السلم العامة أسوة بسائر العرب الأصدقاء المسالمين.

و[عملاً] بهذه الشروط ستتوقف حالة العداء بين بريطانيا وبين محمد بن هزاع بن زعل وأتباعه، باستثناء سريان الحظر على مراكبهم من الحركة في البحر.

توقيع: اللواء وليم جرانت كير

وقع بختم أحمد بن فطيس.

وأعطيت نسخة مصدقة من المعاهدة إلى محمد بن هزاع.

المعاهدة التمهيدية مع الشيخ شخبوط، شيخ أبو ظبي

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم جميع الناس أن الشيخ شخبوط بن ذياب الفلاحي كان في حضرة الجنرال السير وليم جرانت كير، وقد تم الاتفاق بينهما على النصوص الآتية:

المادة الأولى: إذا وجدت في أبو ظبي أو أي مكان آخر تابع للشيخ شخبوط أي من سفن (القرصنة) التي يصادفها أو قد يصادفها الجنرال في الحرب الحالية، فيجب أن يسلم إلى الجنرال.

المادة الثانية: سيسمح للشيخ شخبوط بالانضمام إلى المعاهدة العامة للسلم مع الأصدقاء العرب.

تم في رأس الخيمة في الخامس والعشرين من ربيع الأول ١٢٣٥هـ الموافق ١١ يناير ١٨٢٠ م.

الموقع: اللواء كير

الشيخ شخبوط بيده

أشهد بتوقيعي وخاتمي على النسخة من نص الاتفاقية الموقعة بين الجنرال والشيخ شخبوط

التوقيع: اللواء و. جرانت كير

المعاهدة التمهيدية مع حسن بن علي

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم لناس أن حسن بن علي كان في حضرة السير وليم جرانت كير، وقد تم الاتفاق بينهما على النصوص الآتية:

المادة الأولى: يجب أن تسلم إلى الجنرال السفن كافة العائدة لحسن بن علي الموجودة في الشارقة أو أم القيوين أو عجمان أو أبو ظبي أو أي مكان تذهب إليه قوات الجنرال، وسيترك الجنرال تلك التي تصيد اللؤلؤ ومراكب صيد السمك.

المادة الثانية: يسلم حسن بن علي جميع السجناء الهنود إذا كان أي منهم لا يزال لديه.

المادة الثالثة:: سيسمح للشيخ شخبوط بالانضمام إلى المعاهدة العامة للسلم مع الأصدقاء العرب.

تم في رأس الخيمة في ٢٩ ربيع الأول ١٢٣٥هـ الموافق ١٥ يناير ١٨٢٠.

توقيع: اللواء و. جرانت كير.

حسن بن علي

أشهد بخاتمي وتوقيعي على نسخة من المواد المتفق عليها بين الجنرال وحسن بن علي.

التوقيع: اللواء و. جرانت كير

المعاهدة التمهيدية مع شيوخ البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم جميع الناس أن سيد عبد الجليل ممثلاً عن الشيخ سلمان بن أحمد والشيخ عبد الله بن أحمد كان في حضرة الجنرال وليم جرانت كير وقد تم الاتفاق على النصوص الآتية:

المادة الأولى: يمنع الشيخان من الآن فصاعداً من بيع أيّ سلعة تم الحصول عليها عن طريق السرقة أو القرصنة، سواء في البحرين أو على أي أرض تتبع لهما. كما يمنعان أتباعهم من بيع أيّ سلعة للأشخاص الذين كان لهم يد في أعمال السلب والقرصنة. وفي حال اعتراض أحد من أتباعهما على هذا القرار ينظر إلى هذا الاعتراض على أنه قرصنة.

المادة الثانية: يسلم الشيخان جميع السجناء الهنود إذا كان أي منهم لا يزال لديهما.

المادة الثالثة: سينضم الشيخ سلمان بن أحمد وعبد الله بن أحمد إلى المعاهدة العامة للسلم مع الأصدقاء العرب.

تم في رأس الخيمة في ١٢ ربيع الأول ١٢٣٥هـ الموافق ٥ فبراير ١٨٢٠.

التوقيع: اللواء و. جرانت كير

أوافق على المواد آنفة الذكر ممثلاً عن الشيخين المذكورين

التوقيع: سيد عبد الجليل بن سيد "ياس" طبطبائي.

المعاهدة العامة مع القبائل العربية للخليج العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الصلح خيراً للأنام، فقد أُقر السلام بين الحكومة البريطانية والقبائل العربية الموقعة، المنضمين إلى هذه المعاهدة حسب الشروط الآتية:

المادة الأولى: يتوقف السلب والقرصنة بحراً وبراً من جانب العرب المنضمين إلى هذا الاتفاق.

المادة الثانية: إذا نفذ أي شخص من العرب الموقعين على الاتفاقية هجوماً بهدف السلب والقرصنة، وليس على أساس الحرب المعلنة، فيعد هذا الشخص عدواً للجنس البشري، وسيعد كأنما أبيح دمه وماله. والحرب المعترف بها هي التي يتم إعلانها جهراً، وتشنها حكومة أخرى، وأن قتل الناس وسلب أموالهم بدون إعلان صريح من حكومة ما يعدّ سلباً وقرصنة.

المادة الثالثة: يحمل العرب المتصالحون في البر والبحر علماً أحمراً ضمن حاشية بيضاء، ويكون عرض الأبيض من الحاشية مساوياً لعرض الأحمر، ولهم الخيار أن يحمل هذا العلم شيئاً من الكتابة أم لا (ويؤلف مجموع الأبيض والأحمر المعروف في البحرية البريطانية باسم بياض تخرقه الحمرة). وسيكون علم العرب المتصالحين دون غيره.

المادة الرابعة: يمكن للقبائل العربية المتصالحة أن تبقي على علاقاتها فيما بينها كما كانت في السابق، ولكنها ستكون في صلح بعضها مع بعض، ولن يحارب بعضها بعضاً. والعلم المذكور سيكون رمزاً لذلك لا أكثر.

المادة الخامسة: تحمل كل سفينة من سفن العرب المتصالحين سجلاً خاصّاً بها موجودا على متنها، يحمل توقيع الشيخ، ومسجل فيه اسم السفينة، وطولها، وعرضها، وحمولتها. ويجب أن يكون مع كل سفينة تصريح بالإبحار من الميناء موقع في الأسفل من الشيخ، ويذكر فيه اسم مالك السفينة واسم الربان، وعدد الرجال، والسلاح، ومن أين أبحرت، ووقت إبحارها، والميناء المتجهة إليه. وإذا واجهت هذه السفينة سفينة بريطانية قدمت لها السجل والتصريح.

المادة السادسة: يمكن للعرب المتصالحين، إذا أرادوا إرسال مندوب إلى دار المقيم السياسي في الخليج مع ما يلزم من الصلاحيات، ويبقى هناك للقيام بأعماله مع دار المقيم السياسي. وللحكومة البريطانية ذلك أيضاً إذا ما أرادت إرسال مندوب عنها إليهم. ويضيف المندوب توقيعه إلى توقيع الشيخ على السجل الموجود في السفينة الذي يحتوي على طول السفينة وعرضها وحمولتها. ويجب تجديد توقيع المندوب في كل عام. وتكون إقامة جميع المندوبين على نفقة الطرف الذي ينتمون إليه.

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

المادة السابعة: إذا لم تتوقف هذه القبيلة أو تلك عن النهب والقرصنة، فيتوجب على جميع العرب المتصالحين العمل ضدها حسب طاقتهم وظروفهم. وفي حال وقوع مثل هذه الأعمال. وفي حال وقوع مثل هذا النهب والقرصنة، يتم الاتفاق بين العرب والبريطانيين بهذا الخصوص.

المادة الثامنة: يعد قتل الأسرى بعد تسليم أسلحتهم من أعمال القرصنة وليس من أعمال الحرب المعلنة.وإذا حكمت أيّ قبيلة على الأشخاص، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين بعد تسليم أسلحتهم بالموت، فتعد هذه القبيلة عدوة للسلام وعلى العرب المتصالحين التعاون فيما بينهم وبالتنسيق مع البريطانيين ضدها. والحرب ضدها لن تتوقف إن شاء الله إلى أن يستسلم مرتكبو هذا الجرم والآمر بارتكابه.

المادة التاسعة: يعد نقل العبيد سواء كانوا رجالاً أم نساءً أم أطفالاً من سواحل إفريقيا أو غيرها على متن السفن نهباً وقرصنة، وعلى العرب المتصالحين عدم القيام بمثله.

المادة العاشرة: لسفن العرب المتصالحين التي تحمل العلم الآنف الذكر أن تدخل الموانئ البريطانية وموانئ حلفاء البريطانيين ما دامت تستطيع ذلك. ولها أن تبيع وتشتري هناك. فإذا تعرضت إحداها لهجوم فيجب إبلاغ الحكومة البريطانية بذلك.

المادة الحادية عشرة: تشمل المواد التي سبق ذكرها جميع القبائل والأشخاص الذين سينضمون إليها فيما بعد، أو الذين وقعوا عليها في الوقت الحاضر.

وقد وقع عليها في رأس الخيمة في ١٨٢٠/١/٨ اللواء و. جرات كير، وحسن بن رحمة: شيخ رأس الخيمة. وقضيب بن أحمد، شيخ جزيرة الحمراء. والنقيب تومسون.

ووقعها في ١٨٢٠/١/١١ شخبوط بن ذياب، شيخ أبو ظبي.

وفي ١٨٢٠/١/١٥ حسن بن علي شيخ الرمس – ضاية. والنقيب تومسون. ووقعها نيابة عن محمد بن هزاع بن زعل شيخ دبي زايد بن سيف بن محمد، وفي ١٨٢٠/١/٤وقعها في الشارقة الشيخ سلطان بن صقر.

ووقعا في الفلية في ١٨٢٠/٣/١٥ راشد بن حميد شيخ عجمان

وعبد الله بن راشد شيخ أم القيوين.

قائمة المراجع

مؤلفات الآداب الكلاسيكية الماركسية- اللينينية:

١- ك." ماركس". الحرب الإنكليزية – الفارسية ١٢ مج

٢- ك. "ماركس". ثورة في الجيش الهندي ١٢ مج

٣- ك. "ماركس". الرأسمال ٢٣- ٢٥ مج

٤- ك." ماركس". الحرب الصينية الجديدة ١٣ مج

٥- ك." ماركس". شركة الهند الشرقية, تاريخها ونتائج عملها ٩ مج

٦- ك. "ماركس". كتابات مؤرخة زمنياً في تاريخ الهند, موسكو، ١٩٤٧

٧- ف." أنجلس": تفتت النظام الإقطاعي و نشوء الدول القومية ٢١ مج

٨- ف." أنجلس": فارس و الصين ١٢ مج

٩- ف." أنجلس": الأوضاع في المانيا, رسالة ثانية للمحرر Northern star ٢مج

١٠- ف." أنجلس": مقدمة لإصدار ثاني بالألمانية "أوضاع الطبقة العاملة في بريطانيا" ٢٢ مج

١١- ف. إ. "لينين" كراس مواد عن فارس ٢٨ مج

الوثائق الرسمية و الأبحاث العلمية و المقالات و المذكرات:

١٢- أرشيف سياسة روسيا الخارجية. سانت بطرسبورغ،- الأرشيف الرئيسي - الخزانة ١-٩

١٣- أرشيف سياسة روسيا الخارجية. سانت بطرسبورغ،- الأرشيف الرئيسي - الخزانة ١-١٣

١٤- أرشيف سياسة روسيا الخارجية. سانت بطرسبورغ،- الأرشيف الرئيسي- خزانة وزارة الخارجية ١١-٣٤

١٥- أرشيف سياسة روسيا الخارجية. خزانة وزارة الخارجية - الديوان

١٦- أرشيف سياسة روسيا الخارجية. خزانة وزارة الخارجية - المكتب الفارسي

١٧- ف.ف. أغييف. الغزو الإنكليزي للسند. موسكو، ١٩٧٩

١٨- آدميات ف." أمير كبير و فارس"، مجلدان، طهران ١٩٤٩ (باللغة الفارسية)

١٩- آناركولوفا د. م. مسألة تقييم نشاط "أمير كبير" في تدوين تاريخ فارس الحديث- فارس- الاقتصاد- التاريخ- تدوين التاريخ- المراجع. موسكو، ١٩٧٦.

٢٠- أ.ج." أحمد جانوف" - قضية هرات في القرن التاسع عشر، طشقند، ١٩٧١، (باللغة الروسية).

٢١- أ.ج." أحمد جانوف" - رأس جسر هرات في مخططات العدوان البريطاني على الشرق الأوسط و آسيا الوسطى في القرن التاسع عشر (١٩٣٠-١٩٨٠). رسالة أطروحة. دكتوراه - طشقند ١٩٥٥ ،(باللغة الروسية).

٢٢- أ. م." بابا خوجايف". نضال أفغانستان من أجل الاستقلال (١٨٣٨-١٨٤٢) موسكو، - ١٩٦٠،(باللغة الروسية).

٢٣- أ.أ." بياندور". خليج فارس - طهران ١٩٣٩/١٣١٧ (باللغة الفارسية)

٢٤- بندر عباس [بلا تاريخ، بلا ناشر(باللغة الفارسية)]

٢٥- ن. ي." بيريزين". الخليج الفارسي وخرج "جداول سانت بطرسبورغ،". ١٨٥٧، (باللغة الروسية).

٢٦- ن.ي." بيريزين". الخليج الفارسي وخرج "جداول موسكو"، ١٨٥٤، (باللغة الروسية).

٢٧- ي. ف. بلارامبيرج: استعراض احصائي عن فارس عام ١٨٤١، سانت بطرسبورغ ١٨٥٣ (باللغة الروسية).

٢٨- ل. ف. "بودیانسكي" - البحرين (من تاريخ بلدان الخليج العربي). موسكو، ١٩٦٢، (باللغة الروسية).

٢٩- ل. ف." بودیانسكي" - البحرين الحديثة (دليل) موسكو، ١٩٧٦، (باللغة الروسية).

٣٠- ل. ف." بودیانسكي" - الكويت الحديثة (دليل) موسكو، ١٩٧١،(باللغة الروسية).

٣١- ل. ف. "بودیانسكي", "أو. جبراسيموف","ل. ميدفيدكو" - إمارات الخليج العربي. موسكو، ١٩٧٠،(باللغة الروسية).

٣٢- ف." باروزدنا". ملخص عن بعثة سفارة روسيا الإمبراطورية إلى فارس في عام ١٨١٧، سانت بطرسبورغ، ١٨٢١، (باللغة الروسية).

٣٣- م. "بروكس". النفط و السياسة الخارجية. موسكو، ١٩٤٩،(باللغة الروسية).

٣٤- ب. ب." بوشيف". هرات و الحرب الأنجلو فارسية ١٨٥٦-١٨٥٧، موسكو، ١٩٥٩،(باللغة الروسية).

٣٥- ن. ي." بوشهري". "فارس قانوني و خليج فارس" [قانون فارس و الخليج العربي] طهران ١٣٢٥/ ١٩٤٦ (باللغة الفارسية)

٣٦- ي.ن. بوشهري: [نظاري بفارس وخليج فارس]" طهران (بدون تاريخ) (باللغة الفارسية).

٣٧- ي.ن. بوشهري: [فيلات هاريو جزائر خليج فارس]، طهران، ١٣٣٨/١٩٥٩(باللغة الفارسية).

٣٨- م.غورغاني، السياسة الإنكليزية في الخليج العربي وجزر البحرين،طهران ١٣٢٥/١٩٤٦(باللغة الفارسية).

٣٩- جزيرة خارك، طهران، ١٣٣٩/١٩٦(باللغة الفارسية).

٤٠ - زارين كلام علي:[سرزمي بحرين أز دوران ي باستان تا إيمروز] طهران، ١٣٣٧/١٩٥٨(باللغة الفارسية)

٤١- س. م. "إيفاثوف". مقتطفات من تاريخ فارس. موسكو، ١٩٥٢(باللغة الروسية)

٤٢- ا. م. "إيجامبيرديف". فارس في العلاقات الدولية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، سمرقند، ١٩٦١. (باللغة الروسية)

٤٣- دراسات حول فارس سانت بطرسبورغ، ١٩٠٢، (باللغة الروسية)

٤٤- "إيرانيسيان أ. ر.". السفارة الفرنسية في فارس في عام ١٧٩٦." الاستشراق السوفيتي" ١٩٥٦(باللغة الروسية)

٤٥- تاريخ إيران — موسكو، ١٩٧٧ (باللغة الروسية)

٤٦- قائممقامي ج. [بحرين ومسائل خليج فارس] طهران ١٩٦٢/١٣٤١ (باللغة الفارسية).

٤٧- د. "كفتيريف". معلومات تاريخية و جغرافية و إحصائية عن فارس، سانت بطرسبورغ، ١٨٢٩ (باللغة الروسية).

٤٨- م. ف." ماسون". تاريخ أفغانستان ١-٢مج. موسكو، ١٩٦٥ (باللغة الروسية)

٤٩ – محمود محمود: [تاريخي روابط سياسية إيران وإنكليز دار هارن نوزداخوم ي ميلادي]. ٣ أجزاء، طهران، ١٣٢٨- ١٣٢٩ / ١٩٤٩-١٩٥٠. (يوجد إصدار جديد في ٨ مجلدات، طهران، ١٩٥٠ – ١٩٥٧)، (باللغة الفارسية)

٥٠- ميدفيدكو ل. ي. رياح التغيير في الخليج العربي، موسكو، ١٩٧٣، (باللغة الروسية)

٥١- ميرزا جعفر خان[حقائق الأخبار ناصري]، طهران. ١٢٨٤/ ١٨٦٧- ١٨٦٨ (باللغة الفارسية)

٥٢- ميرزا تاهي خان [ناسخ التواريخ]، طهران (بلا عام)، (باللغة الفارسية).

٥٣- " ميسل رستم " فارس في عهد ناصر الدين شاه من عام ١٨٨٢ حتى ١٨٨٨، ومقالات في قصص. سانت بطرسبورغ، ١٨٩٧.بطرسبورغ، ١٨٩٧، (باللغة الروسية).

٥٤- أطلس بحري. موسكو، ١٩٥٢، (باللغة الروسية).

٥٥- ل. أ." مورتون". تاريخ بريطانيا. موسكو، ١٩٥٠، (باللغة الروسية).

٥٦- م. مجتهدي، إيران والإنكليز، طهران، ١٩٤٧/١٣٢٦ (باللغة الفارسية).

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

٥٧- مقتدر غ. خ. [كاليد ي خليج فارس]، طهــران، ١٣٣٣/ ١٩٥٤(باللغــة الفارسية).

٥٨- محمد حسن خان [تاريخي منتظم ي ناصري]، طهران(بــلا عــام)، (باللغــة الفارسية).

٥٩- معزي ن. [تاريخي ي روابط سياسية إيران ودنيا أز خاخامانيش توبه حوالات أخير]، ٢ ج، طهران، ١٣٢٤- ١٣٢٦/ ١٩٤٥- ١٩٤٧، (باللغة الفارسية).

٦٠- نفيسي س. [بحرين، حقوق ١٧٠٠ سال –ي إيــران]، طهــران، ١٣٣٣/ ١٩٥٥، (باللغة الفارسية)

٦١- نيمان ف. ك.. أفغانستان و الإنكليز عام ١٨٤١-١٨٤٢ موسكو، ١٩٤٣، (باللغة الروسية).

٦٢- نيكيتين، أ، رحلة عبر ثلاثة بحار لأفانسي نيكيــتين مــن ١٤٦٦ إلى ١٤٧٢، موسكو، ١٩٤٨ (باللغة الروسية).

٦٣- م. بولو. كتاب ماركو بولو. موسكو، ١٩٥٥، (باللغة الروسية).

٦٤- روشان زامير م. [نفوزه سياسية إنكليز دار داربار كاجــار وركابــات بــا سياساتي فرانسه دار إيران]. – ["باريسيخايه تاريخي"]، ١٩٧٧، رقم ٢

٦٥- رضى كولي خان[روزة الصفا][روضة الصفا]طهران (بــلا عــام)، (باللغــة الفارسية)

٦٦- ا. ب. "ريتيخ". مقالة سياسية – احصائية عن فارس، ســانت بطرســبورغ، ١٨٩٦، (باللغة الروسية).

٦٧- روير. المنافسة الأنجلو روسية في آسيا. موسكو، ١٩٢٤، (باللغة الروسية).

٦٨- الأرشيف الروسي ٢ مج. سانت بطرسبورغ، ١٨٨٥، (باللغة الروسية).

٦٩- سديد السلطانة م. أ. [بندر عباس و خليج فارس]- طهران ١٣٤٢- ١٩٦٣ (باللغة الفارسية)

٧٠- ج. " سعيدي". صرعى الرياح [رواية]، موسكو، ١٩٧٧، (باللغة الروسية).

٧١- سيمينوف، استجواب إيلي إيساييف الإنسان بطرس العظيم - سيميتوف. الجزء ٢. سانت بطرسبورغ، ١٧٧٢، (باللغة الروسية).

٧٢- إيران الحديثة (دليل) موسكو، ١٩٥٧، (باللغة الروسية).

٧٣- إ. أ. "سكلوف". كتابات قديمة عن سفر سفارة روسيا الإمبراطورية إلى فارس في عصر ١٨١٦- ١٨١٧. سانت بطرسبورغ. (بدون تاريخ)، (باللغة الروسية).

٧٤- مقتطفات أولية من رحلة إلى فارس عام ١٨٩١. /سترلبيتسكي، سانت بطرسبورغ، ١٨٩٢، (باللغة الروسية).

٧٥- ن. س." سيرومياتنكيوف". مقتطفات عن الخليج العربي، سانت بطرسبورغ، ١٩٠٧، (باللغة الروسية).

٧٦- ف. إ. "تارليف"، حرب القرم، مجلدان، موسكو، ١٩٥٠، (باللغة الروسية).

٧٧- م. ل. "تومارا" الوضع الاقتصادي في فارس. تقرير موظف حول مهمات خاصة من إدارة التجارة ومصانع النسيج، سانت بطرسبورغ، ١٨٩٥، (باللغة الروسية).

٧٨- جداول سانت بطرسبورغ،: ١٨٥٩- رقم ١٨.، (باللغة الروسية).

٧٩- ن. ن. "تومانوفيتش" تنظيم الاتحادات و الاحلاف العسكرية كوسيلة للتوسع الإنكليزي في الشرق الأوسط، فرونزه، ١٩٥٥، (باللغة الروسية).

٨٠- ن. "فلسفي". [تاريخي روابط ي إيران و أوروبا دار داوراي صفوية]. = تاريخ روابط إيران وأوروبا، طهران، ١٩٢٥/١٣٠٤ (باللغة الفارسية)

٨١- ن." فلسفي ". [سياسة خارجية إيـــران داردروه]طهـــران ١٣٤٢/ ١٩٦٣ (باللغة الفارسية)

٨٢- ا. "فرحان" [جغرافية إيران جزء ١-١٠]. طهران ١٣٣٥/ ١٩٣٤ (باللغة الفارسية)

٨٣- "فيساي" ["فارس نامة ي ناصري"] طهران ١٩٦٣/١٣١٣ (باللغة الفارسية)

٨٤- خليج فارس، جزء ١-٢، طهران ١٣٤٢/ ١٩٦٣ (باللغة الفارسية)

٨٥- " ا. ن. "خلفين" التوسع الإنكليزي في أفغانستان و النضال التحرري للشعب في النصف الأول من القرن التاسع عشر – أفغانستان المستقلة، موســـكو، ١٩٥٨، (باللغة الروسية).

٨٦-"خوجستا م."[بحرين دار دو غاربي أخير], شيراز ١٣٣٨/ ١٩٥٩ (باللغة الفارسية)

٨٧- أرشيف التاريخ العسكري الحكومي المركزي، (باللغة الروسية).

٨٨- ل. ي. شتينبيرج. رواية إنكليزية عن "التهديد الروسي" للهنـــد في القـــرنين التاسع عشر و العشرين (مدونات تاريخية) ١٩٥٠ –٣٣ مج.

٨٩- ا. إقبال. [تاريخي أمي و إيران]، طهران ١٩٣٩/١٣١٨ (باللغة الفارسية).

٩٠- يعقوب يوسف عبد الله- الإمارات العربية المتحدة – تاريخ التطور السياسي. (القرن التاسع عشر حتى بداية السبعينات من القرن العشرين). موســـكو، ١٩٧٨.، (باللغة الروسية).

91- Adamiyat F. Bahrain Islands. A legal and Diplomatic Study of the British-Iranian Controversy. N. Y., 1955.

92- [Aitchison C. U.] A Collection of Treaties, Engagements and Sanads, Relating to India and Neighbouring Countries. Vol. 1-12. Calcutta, 1892.

93- Albuquerque A. de. The Commentaries of the Great Alfonso Dalboquerque. Vol. 1-4, 1875 (Hakluyt Society).

94- Bayani k. Les relations de l' Iran avec l'Europe occidentale à l'époque safavide. P., 1937.

95- Belgrave. The Pirate Coast. L., 1966.

96- Buckingham. Travels in Assiria, Media and Persia. Vol. 1-2. L., 1830

97- Burnes A. Voyage de l'embouchire de l'Indus à Lahor, Caboul, Balkhet à Boukhara et retour par la Perse pendant les annèes 1831-1833. T. 1-3. P., 1835

98- Chardin J. Voyage en Perse 1711.T. 1-10. P., 1811

99- Calendar of the State Papers.-Colonial Series East Indies, Vol. 1-4. L., 1870

100- Conolly A. Journey of the North of India Overland from England, through Russia, Persia and Afghanistan. Vol. 1-2. L., 1838

101- Correspondence, Relating to Persia and Afghanistan. L., 1839.

102- Correspondence Respecting Relations with Persia. Vol. 1-2. L., 1841-1857.

103- Curzon G. Persia and the Persian Question. Vol. 1-2. L., 1892.

104- Driault E. La politique orientale de Napoléon. P., 1916.

105- Esmaili M. Le Golfe Persique et les îles de Bahrein. P., 1936.

106- Faroughy A. The Bahrein Islands (750-1951). A Contribution to the Study of Power Politics in the Persian Gulf. N. Y., 1951.

107- Francklin W. Observation Made on a Tour from Bengal to Persia in the years 1786-1787. L., 1790.

108- Frayer D. A New Account of East India and Persia, 1679-1681. L., 1698.

109- Gardane A. Mission du general Gardane en Perse sous le Premier Empire. P., 1865.

110- Hakluyt R. The Principal Navigations, Voyages and Discoveries of the English Nation. Vol. 1-2. Glasgow, 1903-1905 (Hakluyt Society).

111- Heude W. A Voyage up the Persian Gulf a Journey Overland from India to England in 1817. L., 1819.

112- Instructions nautiques. Le Golfe Persique et ses abords. P., 1979.

113- Ives E. A Voyages from England to India in the Year 1754. Also a Journey from Persia to England in 1758 and 1759. L., 1773.

114- Jaubert A. Voyages en Arménie, en Perse… en 1805-1806. P., 1821.

115- Johnson J. A Journey from India to England. L., 1818.

116- Kaye J. W. The Life and Correspondence of Sir John Malcolm. Vol. 1-2. L., 1865.

117- Kelly J. B. Britain and the Persian Gulf, 1795-1880. Ox., 1968.

118- Kinneir J. M. A Geographical Memoir of the Persian Empire. L., 1813.

119- Kuwait Today. A Welfare State. Nairobi, 1963.

120- Kumar H. R. India and the Persian Gulf Region. 1858-1907. A Study in British Imperial Policy. L., 1965.

121- Lockhart L. Nadir Shah. A Critical Study Based Mainly upon Contemporary Sources. L., 1938.

122- Low C. R. History of the Indian Navy. Vol. 1-2. L., 1877.

123- Malcolm J. A History of Persia. Vol. 1-2. L., 1823.

124- Markham G. A General Sketch of the History of Persia. L., 1874.

125- Marlow J. The Persian Gulf in XX Century. L., 1962.

126- Martens G. F. Table generale du recueil des traites de Martens et des ses continuateurs 1494-1874. Gottingue, 1876.

126a- Martens G. F. Nouveaux recueil generale des traités et autres actes relatifs aux rapports de droit international;

Continuation du Grande recueil de Martens. Sér. 2. Table generale. T. 1-25. Lpz., 1900.

127- Miles S. P. The Countries and Tribes of the Persian Gulf. Vol. 1-2. L., 1919 (2-nd ed.: 1966)

128- Misra G. S. British Foreign Policy and Indian Affairs 1783-1815. Bombay, 1963.

129- Morier J. A. A Journey through Persia, Armenia and Asia Minor. 1808-1809. L., 1812.

130- Morier J. A. A Journey through Persia. 1810-1816. Vol. 1-2. L., 1818.

131- [Mothamen ol-Molk]. Recueil des traités de l'Empire Persane avec les pays etrangers. Teheran, 1908.

132- [Outram]. Lieut-general sir J. Outram's Persian Campaign in 1857, Comprising General Orders and Dispatches Relating to the Military Operations in Persia from the Landing at Buchire to the Treaty of Peace. L., 1860.

133- Persian Gazetter.- Lorimer J.G and Birdwood L. Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia. Vol. 1-2. Calcutta, 1908-1915.

134- Persian Gulf. French and Portuguese Possessions. L., 1920.

135- [Purchas]. His Pilgrims. Vol. 1-20. Glasgow, 1905.

136- Rawlinson H. C. England and Russia in the East. L., 1875.

137- Salil-ibn-Razik. History of the Imams and Seyids of Oman Transl. by G. P. Badger. L., 1871.

138- Siassi A. La Perse au contact de l'occident. P., 1931.

139- Stuart D. The Struggle for Pesia. L., 1902.

140- Tadjbakhche G. R. La question des îles Bahrein. P., 196- (Publication de "La Revue générale de Droît International Public", sér. No 1).

141- Thieury J. Documents pour servir à l'history des relations entre la France et la Perse. Evreux, 1866.

142- Tour de J. J. La rivalites internationale en Perse et dans le Golfe Persique.-"Revue de Geographie". 1902, No 7-12.

143- Volbezen de E. Les anglais et l'Inde (nouvelles études). T. 1-2. P., 1875.

144- [Varthema L. de]. The Travels of Ludovico di Vartema, 1863 (Hakluyt Society).

145- Watson R. A History of Persia from the Beginning of XIX Century to Year 1858. L., 1866.

146- Whigham H. the Persian Problem, An Examination of Rival Positions of Russia and Great British in Persia. L., 1903.

147- Wilson A. T. The Persian Gulf. An Historical Sketch from the Earliest Times to the Beginning of the Twentieth Century. Ox., 1928.

المحتويات

الصفحة

تقديم	٥
مقدمة المترجم	٧
تعريف بالمؤلفة	٩
المقدمة	١١
الفصل الأول: الدراسات التاريخية	١٥
الفصل الثاني:توسع الدول الأوربية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر	٦٠
الفصل الثالث:تنافس الدول الأوربية في بلاط الشاه في بداية القرن التاسع عشر	١٢٧
الفصل الرابع:السياسة البريطانية تجاه المشيخات	١٩٢
الفصل الخامس:تحويل الخليج العربي إلى بحيرة بريطانية	٢٦١
الخاتمة	٣٢٣
الملاحق	٣٣١
قائمة المراجع	٣٤١
المحتويات	٣٥٤

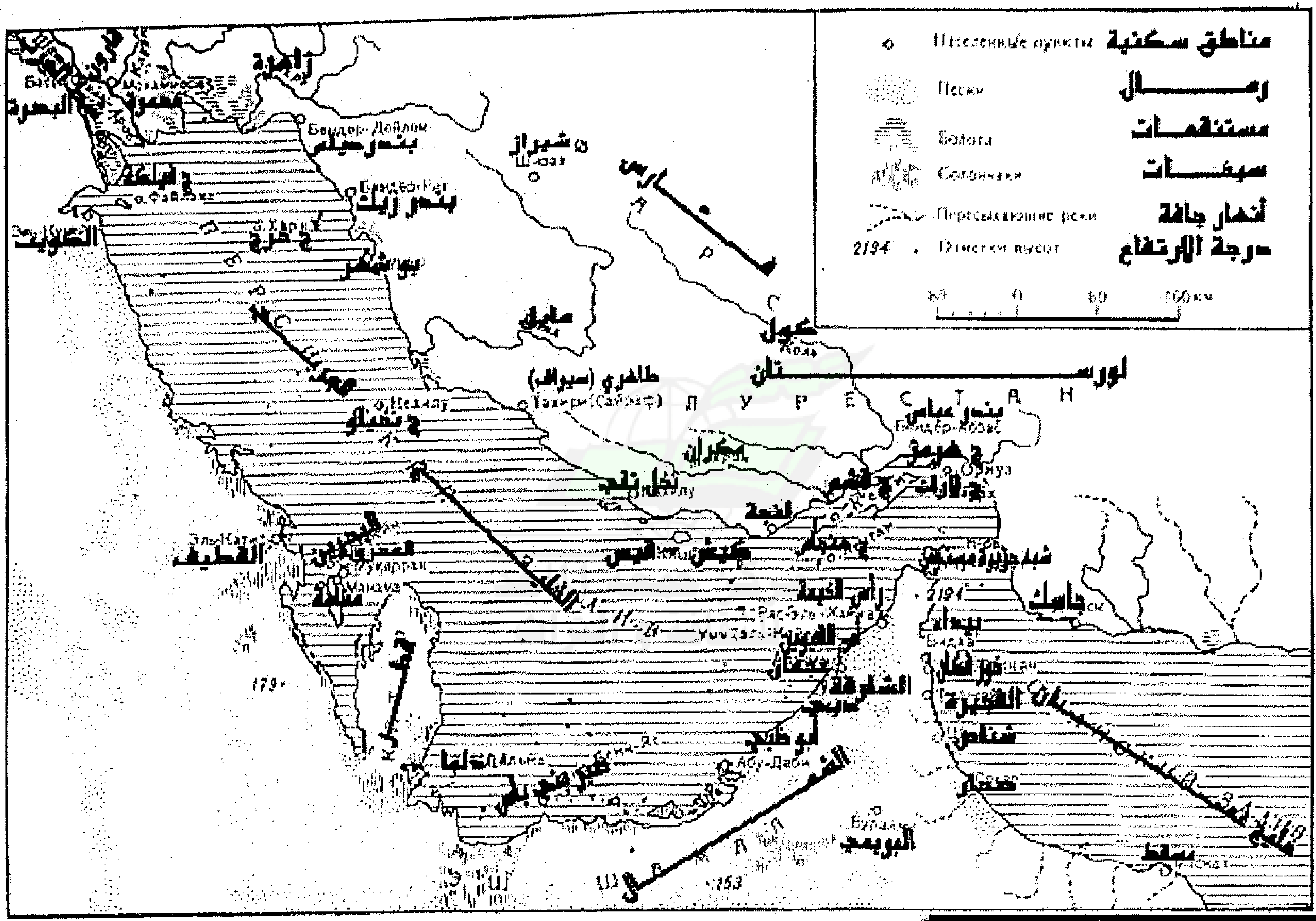

Персидский залив на рубеже XVIII—XIX вв.

الخليج العربي في القرنين 18 – 19

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

ص.ب 55156 = دبي= الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 2624999 4 971+ - فاكس: 2696950 4 971+

E-mail: info@almajidcenter.org-www.almajidcenter.org